

رؤية  
VISION 2030  
المملكة العربية السعودية  
KINGDOM OF SAUDI ARABIA



المركز السعودي للأبحاث  
وزارة التعليم  
جامعة الإمام محمد سعود بن عبدالعزيز  
المدينة المنورة

# مَجَلَّة الدَّاعِيَّةُ الْعِلْمِيَّةُ

مجلة علمية دورية محكمة

## عناوين الأبحاث:

- دعوة النخب العربية بالإعجاز التثريعي في القرآن الكريم- دراسة تحليلية -
- بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
- الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
- منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.
- استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين - الإستراتيجية التضامنية أنموذجاً-
- المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية".
- المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية.

<https://dawa.center>



المركز الإسلامي للدراسات  
Osoul Center For Studies



المركز العربي للبحوث والدراسات  
وإدارة الشؤون  
بجامعة الإمام محمد سعود بن عبدالعزيز  
بالمدينة المنورة

# مجلة الإسلام والعصر

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثامن  
رجب ١٤٣٧هـ

### المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف وفاكس: ٢٥٨٥١٣٢ - ١١ - ٠٠٩٦٦

المشرف العام  
د. أحمد بن علي الخليفي  
رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير  
أ. د. حمد بن ناصر العمار

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي  
د. عبدالله بن إبراهيم الشويمان

أ. د. سليمان بن قاسم العيد  
د. خالد بن هدويب المهيدب

أمين المجلة  
المحاضر/ راشد بن محمد الجاسر

إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

ردمك: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





## قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة.
- ٢- أن يكون متسماً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.
- ٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.
- ٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٨- أن لا يكون مستلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال: معالم الدعوة، عبدالوهاب بن لطف السديلمي ط ١ (جدة، دار المجتمع، ١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين

قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية- والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.

- ٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).
- ٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة.
- ٥- أن يترك مسافة قدرها (٥,٤) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.
- خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين.
- سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، وإرساله بالبريد الإلكتروني.
- سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ثامناً: يعطى الباحث نسختين من المجلة وعشر مستلآت من بحثه الذي تم نشره.
- تنبية: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

## مقدمة العدد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

قال سماحة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:  
 "ليس من الخافي على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الواضحة الجليلة التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه"<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فإننا نحسب أن ما نقدّمه في هذا العدد الثامن من أعداد "مجلة الدراسات الدعوية" والذي يصدر من الجمعية السعودية للدراسات الدعوية في ثوب علمي رصين محكم، هو نوع مشاركة علمية في إيضاح بعض أحكام الإسلام ومحاسنه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

وقد اشتمل هذا العدد على الأبحاث العلمية الآتية:

١. دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية".
٢. بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.
٣. الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ (لفتة الكبد إلى نصيحة الولد).
٤. منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي
٥. استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين "الاستراتيجية التضامنية أمودجا".

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز في الدعوة، زياد محمد السعدون، ص ٢٢.

٦. المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها "دراسة ميدانية تقويمية دعوية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها".

٧. المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية. نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.

وبهذه المناسبة فإننا نثيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني [bsserah@gmail.com](mailto:bsserah@gmail.com)، وتقديم الجديد النافع،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصى وتتواصل...

**رئيس هيئة التحرير**

**أ.د. حمد بن ناصر العمار**

البحث رقم (١)

**دعوة النخب الغربية بالإعجاز  
التشريعي في القرآن الكريم**  
"دراسة تحليلية"

إعداد

د. محمد بن إبراهيم بن أحمد الزهراني

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

### أهمية الدراسة:

يعد الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أحد عوامل التأثير في المدعو منذ العهد النبوي حتى عصرنا الحاضر، ويأتي هذا التأثير من طبيعة الإعجاز التشريعي الذي استوعب جميع أحوال البشر، فقد نزل القرآن الكريم على نبي أمي في أمة أمية، فكانت تشريعاته سبباً في هداية كثيرٍ من المدعويين إلى نور الله، فأبدلت شركهم توحيداً خالصاً لله تعالى، وهذبت أخلاقهم وتمت مكارم الأخلاق، فأصبح المدعوون يصرفون عبادتهم لله وحده، وفي المقابل ترى في العصر الحديث عدداً من علماء الغرب ومفكره يشيد بتشريعات القرآن الكريم، بل ذهب بعض مفكره إلى المطالبة بتطبيقها في ديارهم، من هنا يظهر تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية.

كما يعزز ويؤكد هذا صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وأن هذه الدعوة خالدة إلى يوم القيامة، من هنا رأى الباحث أهمية دراسة هذا المجال الدعوي.

### أسباب اختيار الدراسة:

- ١- الحاجة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.
- ٢- الرغبة في توظيف أساليب دعوية معاصرة ومؤثرة مع المدعويين.
- ٣- جمال وروعة الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم جديرة بالدراسة الدعوية.

### أهداف الدراسة:

- ١- تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٢- بيان أوجه إعجاز القرآن الكريم الموظفة في الدعوة إلى الله.

٣- التعرف على الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

٤- الوقوف على تأثير عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي.

### منهج الدراسة:

تعد هذه الدراسة دراسة نظرية، ولهذا وظف الباحث المنهج الكيفي في جمع معلومات الدراسة، ويتضمن هذا المنهج وضع الأدلة المأخوذة من الوثائق والسجلات بطريقة منطقية، والاعتماد على هذه الأدلة في تكوين النتائج التي تؤسس حقائق جديدة<sup>(١)</sup>، فتم توظيفه في جمع معلومات الدراسة المتعلقة بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، والوقوف على موضوعاته وأبرز القضايا الدعوية فيها، ومن ثم الوقوف على تأثير عدد من النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

### تقسيمات الدراسة:

مقدمة: أهمية الدراسة - أسباب اختيار الدراسة - أهداف الدراسة - منهج الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وأوجه الإعجازية.

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة.

المطلب الثاني: أوجه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

(١) انظر: البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط ١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - ١٤.



- المطلب الأول: موضوعات الدعوة المتعلقة بالعبادة.
- المطلب الثاني: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام.
- المطلب الثالث: موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق.
- المبحث الثالث: إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.
- المطلب الأول: استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية.
- المطلب الثاني: شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- القوائم.

## المبحث الأول

### مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

#### وأوجه الإعجازية

#### المطلب الأول

#### التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة

لتحلية مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي لابد من الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، للخروج بتصوير علمي يوضح المقصود بتلك المصطلحات مجتمعة مع بعضها، إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يمكن فهم مسار بحث علمي دون تحديد مكوناته العلمية وحدود مجالاته، ولهذا سأتحدث عن مصطلحات الدراسة مصطلحاً مصطلحاً:

#### أولاً: مفهوم الدعوة:

وردت الدعوة في اللغة بمعان عدة أبرزها :

الطلب والسؤال والنداء والتجمع والدعاء والاستمالة ، والدعوة مصدر للفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة ، والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء<sup>(١)</sup> ودعاه: صاح به، ومنه الدعاء الأدعية<sup>(٢)</sup> .

ويقال: دعا بالشيء طلب إحضاره ، ودعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثه على

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر - ١٠ ، ٢٧ ) مادة دعا ) وانظر: القاموس المحيط - للفيروز آبادي - دار الرسالة - ١٦٥٥ .

(٢) انظر: الصحاح - إسماعيل الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٦ / ٢٣٣٦ - ٢٣٣٨ .

اعتقاده وساقه إليه<sup>(١)</sup>.

وقد تكون الدعوة دعوة حـق أو دعوة باطل ، فمن الحق قوله تعالى : ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾<sup>(٢)</sup> ومن دعوة الباطل دعوة الشيطان ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ اصْحَابِ السَّعِيرِ﴾<sup>(٣)</sup> .  
والأصل في مفهوم الدعوة اعتماده على البيان والكلام: أي تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك<sup>(٤)</sup> .

وأما الدعوة في الاصطلاح فيراد بها أحد معان ثلاثة :

أولها : الدين أو الإسلام، وثانيها: عملية النشر والبلاغ، وثالثها: الفن المستقل بذاته عن الفنون الشرعية<sup>(٥)</sup> .

## ١ — الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة :

وعلى هذا المعنى عرفها بعض العلماء بأنها:

«الخشوع لله والانقياد لتعاليمه بلا قيد ولا شرط»<sup>(٦)</sup>.

وقيل هي : «نداء الحق إلى الخلق ، ليوحدوا المعبود ، ويعبدوا الواحد ،

(١) انظر : المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت - بدون رقم وتاريخ ٢٨٦/١ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : (١٤) .

(٣) سورة فاطر ، الآية : ( ٦ ) ، وانظر : مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض ط ١ - ١٤١٣هـ - ٧ .

(٤) انظر : مقاييس اللغة — أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ- ٢٧٩/٢ .

(٥) انظر : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام — أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي ، ط ١ - ١٤٢٠هـ - ١٨ .

(٦) الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها — أ. د . أحمد أحمد غلوش — دار الكتاب المصري ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٧ — ١ ، وانظر الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان — محمد سعيد البارودي — دار الوفاء للنشر والتوزيع — جدة ط ١ ١٤٠٦هـ — ١٩٨٥ - ٢٥ . وانظر : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية — محمد الراوي — مكتبة الرشد — الرياض — ط ٣ ١٤١١هـ - ٣٩ .

حنفاء لله غير مشركين به متبعين غير مبتدعين»<sup>(١)</sup> .

(٢) الدعوة بمعنى النشر والبلاغ :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : «إن الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى أن يعبد ربه كأنه يراه»<sup>(٢)</sup> .

ومن تعريفات المعاصرين للدعوة : «تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة»<sup>(٣)</sup> .

(٣) الدعوة كفن مستقل بذاته :

«هي علم يبحث فيه عن الكيفية التي تتم بها إمالة الناس إلى الإسلام، وإقناعهم باتباعه على مر الزمان، حسب المنهج الشرعي الصحيح»<sup>(٤)</sup> .

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته — د . محمد الأحمدى — بدون رقم وتاريخ — ١٩ ، وانظر : الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة — الهدف — د . توفيق الواعي — دار اليقين ، مصر ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م — ١٨ .

(٢) انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية — جمع عبدالرحمن بن قاسم — دار عالم الكتب — الرياض ١٤١٢هـ — ١٩٩١م ، ١٥٦/١٥ .

(٣) انظر : المدخل إلى علم الدعوة — أ.د . محمد أبو الفتح البيانوني — مؤسسة الرسالة — بيروت — ط ١ ، ١٤٠٤هـ ، ١٧ .

وانظر : مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت — ط ١ ، ١٤٠١هـ — ٢٤ وانظر : الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل — د . محمد سيدي بن الحبيب ، الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ — ٢٧ .

(٤) مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ — تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه — د . عبدالرحمن بن سليمان الخليلي — ٢٤٣ .  
وانظر : مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر — علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور — ١٤٠٩هـ — ٢١ .

هذا وقد أراد الباحث المعنى الثاني للدعوة ، وهو عملية النشر والبلاغ، والحث على التمسك بتعاليمه .

### ثانياً: مفهوم النخب الغربية:

لغة: النخب جمع نخبة وهو المختار من كل شيء، وهم مجموعة غالباً تكون صغيرة وتمتاز بالثقافة<sup>(١)</sup>.

وأما في الاصطلاح: فهي صفوة أو طليعة، تمتلك مؤهلات فكرية مثل: الخبرة، والمهارة، والمعرفة التي تؤهلها لإدارة مفاصل معينة من الدول الحديثة<sup>(٢)</sup>، وأعني بها في هذا البحث مفكري الغرب ومنتقفيهم.

### ثالثاً: مفهوم الإعجاز:

الإعجاز في اللغة مصدر أعجز، والعجز نقيض الحزم والتعجيز هو التثبيط، والمعجزة واحدة المعجزات، وعجز الإنسان أي ضعفه وعجز عن الأمر أي قصر عنه<sup>(٣)</sup>.

وكلمة العجز عدم القدرة على إتيان الأمر، قال تعالى حكاية عن ابن آدم:

﴿يَتَوَلَّىٰ أَعْرَجٌ بِأَعْرَجٍ أَن أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرْبِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي﴾<sup>(٤)</sup>،

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري- دار صادر - بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ- فصل النون - ٧٥١ .

(٢) انظر: فاضل ثامر، جريدة تاتوو، النخبة الثقافية العراقية، السبت ١٩-٠١-٢٠١٣ :

http://www.tatoo.com/news.php?action-view&cid=١٠٦٦ وانظر: عبدالجبار محسن:

النخبة ودورها، تاريخ الدخول على الصفحة ٢٠/١١/١٤٣٦هـ، موقع الحقيقة :

http://www.factjo.com/pages/memberdetails.aspx?id=٩٠٠

(٣) انظر لسان العرب - لابن منظور — ٦٩١/٤ .

(٤) سورة المائدة، الآية: (٣١).

(٥) سورة الشورى، الآية: (٣١).

ومنه عجز الخلق عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ لَيْنِ  
 اجْتَمَعَتِ آئِسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ  
 كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾<sup>(١)</sup>. أي عدم قدرتهم عن الإتيان بمثل القرآن  
 الكريم.

وأما الإعجاز اصطلاحاً فهو: «أمر يعجز عنه البشر متفرقين أو مجتمعين،  
 أو هو أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله على يد  
 مدعي النبوة عند دعواه إياها شاهداً على صدقه»<sup>(٢)</sup>.

ويرد على هذا التعريف أن المعجزة خارقة للخلق وليس للبشر فقط، كما  
 يرد عليه تقييده أن الأمر الخارق يحدث مع مدعي النبوة عند دعواه، وهذا يخرج  
 كثيراً من معجزات الأنبياء التي حدثت قبل مبعثهم أو حدثت في غير مقام ادعاء  
 النبوة كتكثير الماء والطعام وغيرها كثير.

وقد عرف بعض المعاصرين المعجزة بأنها: «أمر يجريه الله على يد نبيه، أو  
 علم يبيده من قوله، لا يقدر أحد عن الإتيان بمثله في زمانه يكون دليلاً على  
 نبوته لخروجه عن طاقة الخلق»<sup>(٣)</sup>.

ولعل هذا التعريف أجمع التعاريف وأمنعها وهو المختار لدي.

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٨).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر - ط١ - ١٤١٣هـ -  
 ١٩٩٢م - ٦٥.

(٣) الإعجاز العملي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا - مكتبة العبيكان - الرياض - ط١ - ١٤٢١هـ -

## رابعاً: مفهوم القرآن:

القرآن لغة: اتفق أهل العلم رحمهم الله على أن لفظ "قرآن" اسم وليس بفعل ولا حرف، قال الزرقاني: (أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ،

﴿١٨﴾ (١)، ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف، وإذا دخلته (ال) بعد التسمية فإنما هي للمح الأصلى لا للتعريف (٢)، وسمي القرآن قرآناً لأنه يجمع الآيات والسور ويضم بعضها إلى بعض، ولقد أصبح القرآن علماً شخصياً على كلام الله تعالى، ومنه قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (٣).

وأما القرآن في الاصطلاح فهو:

«كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر» (٤).

خامساً: مفهوم التشريعي:

لغة: نسبة للتشريع فالياء للنسب، والتشريع مصدر للفعل شَرَعَ، والشريعة

هي الطريقة المستقيمة. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا

(١) سورة القيامة، الآيتان: (١٧ - ١٨).

(٢) انظر: مناهل العرفان للزرقاني - محمد عبدالعظيم الزرقاني - ط ٣ - ١٤ / ١.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (قرأ): ١٢٨ / ١.

(٤) مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - ط ٣ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

- ٤١٧٠، وانظر: مناهل العرفان - الزرقاني: ١ / ٢١، وانظر: عظمة القرآن الكرم - محمود بن أحمد

بن صالح الدوسري - دار ابن الجوزي - ط ١ - ١٤٢٦ - ٤٩.

وَلَا تَسْبِغْ أَمْوَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾<sup>(١)</sup>، كما تطلق العرب الشريعة على مورد الماء، ومنه قولهم: وردت الإبل شريعة الماء<sup>(٢)</sup>.

اصطلاحاً: الهدايات الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بتنظيم جميع شؤون الحياة العقدية والفقهية والأخلاقية.

فليس المقصود بالتشريعي الأحكام الفقهية فقط، بل الفقهية والعقدية والأخلاقية بشقي تشريعاتها وهداياتها.

وبعد الوقوف على مفاهيم مصطلحات الدراسة خرج الباحث بتصور علمي عن مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

إذ يمكننا القول بأن المراد به هو: إمالة مفكري الغرب ومثقفهم إلى الإسلام، بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها.

#### محتركات التعريف:

إمالة مفكري الغرب ومثقفهم إلى الإسلام: خرج به كل إمالة إلى غير الإسلام، كما خرج به غير مفكري الغرب.

بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية: خرج به الهدايات الواردة في الحديث القدسي والحديث النبوي الصحيح، كما خرج به كل شرع أوحى إلى الأنبياء السابقين، وأيضاً خرج به بقية معجزاته صلى الله عليه وسلم.

عن الإتيان بمثلها: خرج به جميع التشريعات التي أتى بها الخلق، التي هي ضمن قدرة بعض المفكرين والمشرعين.

وبعد الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة، ناسب أن أذكر أوجه إعجاز القرآن الكريم، للوقوف على الفرق بينها وبين الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما سأتناوله في المطلب الثاني.

(١) سورة الجاثية، الآية: (١٨).

(٢) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم - ٣١٥/٢.



## المطلب الثاني

### أوجه إعجاز القرآن الكريم

عندما نتحدث عن إعجاز القرآن الكريم لا بد من الإشارة إلى وجوه إعجاز القرآن الكريم، إذ تعددت أقوال العلماء في ذلك، وليس هذا مقام بسطها ولكن يمكن القول بأن وجوه الإعجاز القرآني في مجملها تعود إلى أربعة وجوه هي:

#### ١- الإعجاز البياني:

هو البيان الذي أسر عقول المدعويين العرب ملوك الفصاحة والبيان، وسلب إرادتهم، وانحنوا لقوة تأثيره في نفوسهم، فسيطرت عليهم الحيرة والعجب، فلم يستطيعوا الإتيان بآية منه، وهم أسياد البلاغة والكلمة والحرف، واستقر في نفوسهم أن هذا ليس كلام البشر بل هو كلام الله جل في علاه، فأمن منهم من آمن، وتحمل في سبيل ذلك ألوان العذاب والتنكيل، ومنهم من أبي واستكبر واستمر في غيه وطغيانه مُعرضاً عن دعوة الإسلام.

وأمام إعراضهم عن الدعوة الإسلامية تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة من مثله، فكسر غرورهم وعنادهم، وأظهر عجز ملوك الفصاحة أمام بيان القرآن، ولم يكن لأحد من أولئك المدعويين أن يتجرأ على ارتكاب حماقة معارضة القرآن، لعجزهم أولاً، ولكي لا يكون أضحوكة بين العرب، سوى مسيلمة الكذاب الذي أتى بالمضحكات، فبعد سماعه سورة النازعات قال: «الزراعات زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً» وأصبح كلامه المفترى مضحكات تروى بين العرب<sup>(١)</sup>، وهكذا ظهر عجز المدعويين أمام إعجاز القرآن البياني، ولهذا يقول ابن عاشور: إن الله تعالى تحدى بلغاءهم أن يأتوا

(١) انظر: بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ- ١/٤٨٧ .

بسورة من مثله، فلم يتعرض واحد إلى معارضته اعترافاً بالحق، ورَبِّناً بأنفسهم عن الافتضاح، مع أنهم أهل القدرة في أفانين الكلام<sup>(١)</sup>.

## ٢- الإعجاز التشريعي:

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعوين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، وينظم لهم شؤون حياتهم، ويبين لهم الحلال من الحرام، ورغم أن المدعوين في مجتمع أمي يصعب تغيير قناعاته تجاه عبادات وعادات شتى، إلا أن هذا القرآن بإعجازه التشريعي غيّر سلوك المدعوين، بل إن استجابتهم لتعاليمه ولنوره كانت ضرباً من المستحيل في معايير البشر لذا نالت إعجاب المفكرين، فأصبح بعض غير المسلمين ينادون بتطبيق بعض تشريعات القرآن الكريم في بلدانهم الغربية، يقول المستشرق الألماني جوزيف شاخت: من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بالشريعة، فالشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إلى حد أن دراستها أمر لا غنى عنه لكي نقدر المدى الكامل للأمور القانونية تقديراً كافياً، إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشمل شعائر دينية وقواعد سياسية وقانونية<sup>(٢)</sup>، وهذا تأكيدٌ لقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِهِ تَمَّتْ لَكُمْ دِينُكُمْ وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، وسيأتي مزيد تفصيلٍ عن إعجاز القرآن التشريعي، إذ هو محور هذه الدراسة العلمية.

(١) انظر: التحرير والتنوير - الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ -

١٠٦/١، وانظر: الإتيان في علوم القرآن - عبدالرحمن السيوطي - ٢٢٩/٢.

(٢) انظر: تراث الإسلام - جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة -

الكويت - ١٩٧٨م - ٩/٣.

(٣) سورة المائدة، آية: (٣).

## ٣- الإعجاز الغيبي:

لقد تضمن القرآن الكريم أخباراً غيبية كثيرة، فمنها أخبار غيب الماضي التي ورد كثير منها في قصص الأنبياء ومدعوهم، كقصة نوح (عليه السلام) عند دعوته لقومه، فمن ذلك حوارهِ (عليه السلام) مع ابنه وهو يدعوهُ، قال تعالى: ﴿ قَالَ سَتَأْتِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ يَْعَصْمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٧﴾ وَقِيلَ يَتَّزِقُ آبَاؤُكَ وَيَسْمَأُ أَقْلِبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٩﴾ قَالَ يَسُوءُ إِلَهُهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَحْتَسِبُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَعْطَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥١﴾ ١

وفي ختام هذه القصة بين الله سبحانه وتعالى أنها من الأنباء الغيبية التي لم تكن يا محمد تعلمها أنت ولا مدعوك قبل الوحي، وهنا يظهر إعجاز غيب الماضي، عند قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِن أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٢

كما تضمن القرآن الكريم أنباء غيب مستقبلية، وهي كثيرة، كإخباره بهلاك

(١) سورة هود، الآيات: (٤٧-٤٢).

(٢) سورة هود، الآية: (٤٩).

أبي لهب وامرأته على الكفر، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَمٍ ۝٥ ﴾ (١) وكذلك الإخبار بهلاك أبي جهل على الكفر، قال تعالى: ﴿ خذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٤٧ ﴾ (٢) وقال في شأن الوليد بن المغيرة: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٣ ﴾ (٣) وكلهم هلكوا على الكفر، إذ لم يستجيبوا للدعوة الإسلامية، وهذه وغيرها من الأنباء الغيبية تؤكد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

#### ٤- الإعجاز العلمي:

وهو ما أخصر به القرآن الكريم من حقائق أثبتتها العلم، وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (٤).

وتعد أطوار خلق الإنسان المذكورة في القرآن الكريم من أوضح أمثلة

الإعجاز العلمي، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا ۝١٤ ءآخِرٌ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٥ ﴾ (٥).

اكتشف العلماء حديثاً أطوار خلق الإنسان، ولم يتمكنوا من معرفة أطوار

(١) سورة المسد، الآيات: (١-٥) .

(٢) سورة الدخان، آية: (٤٧) .

(٣) سورة المدثر، آية: (٢٦) .

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط ١ - ١٤١٧هـ -

(٥) سورة المؤمنون، آية: (١٤) .

خلق الإنسان إلا بعد متابعة الجنين في رحم أمه منذ كان نطفة تمين، وبعد توظيف الأجهزة الحديثة في هذه المتابعة، خرج البرفيسور الكندي (كيث إل مور) أشهر علماء التشريح والأجنة ليذكر الحقيقة الآتية: إنني أشهد بإعجاز الله في خلق كل طور من أطوار خلق الإنسان في القرآن، ولست أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أو غيره من البشر يستطيع معرفة ما يحدث في تطور الجنين، لأن هذه التطورات لم تكتشف إلا في الجزء الأخير من القرن العشرين، وأريد تأكيد كل حقيقة قرأتها في القرآن عن أطوار خلق الجنين، وتطوره داخل الرحم، فهو ينطبق على كل ما أعرفه كعالم من علماء الأجنة البارزين<sup>(١)</sup>، وقد أسلم عدد من المدعويين بعد محاضرات البرفيسور (كيث إل مور)، منهم عميد كلية الطب في بانكوك بتايلند الذي أسلم على يديه خمسة من طلاب الطب في مرحلة الدراسات العليا<sup>(٢)</sup>.

وبعد انتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الأول، وقد تحدثت فيها عن التعريف بمصطلحات عنوان الدراسة، وخرجت بمفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم وهو: إمالة مفكري الغرب ومثقفهم إلى الإسلام. كما ورد في كتاب الله من هدايات عقديّة وفقهيّة وأخلاقيّة تنظم حياة المدعو، وعجز الخلق عن الإتيان بمثلها، كما تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وهي الإعجاز البياني والغبي والتشريعي والعلمي.

وبعد ذكر هذه المصطلحات العلمية والأوجه الإعجازية للقرآن الكريم، ناسب الحديث عن الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثاني.

(١) انظر: إنه الحق - إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة

المكرمة - ط٣ - ١٤٢٠ - ١٣.

(٢) انظر: المرجع السابق - ٢٨.

## المبحث الثاني

### الموضوعات الدعوية المتعلقة بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

#### المطلب الأول

#### موضوعات الدعوة المتعلقة بالعقيدة

لقد جاء القرآن الكريم كتاب هداية للمدعويين، ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بالله جل جلاله، فتزل بين أمة أمية وجدت آباءها على عبادة الأوثان فسارت على نهجها وطريقتها، وهذا ما عزز صعوبة المهمة الدعوية التي واجهت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن في مقدور داعية بإمكاناته المحدودة إقناع هذا المجتمع القبلي الموغل في التعصب والجهل أن يترك عاداته التي ورثها عن آبائه وتأسلت في نفوس مدعويه، فكانت المرحلة تقتضي عملاً خارقاً للعادة، يشمل تغيير عقيدة المدعو وعباداته وأخلاقه، فهي القضايا الرئيسة في حياة المدعو، ولأن الحال اقتضى عملية دعوية جذرية كانت الهدايات العقديّة هي السمة الغالبة على العهد المكي، وخلال تلك الفترة المكية التي امتدت ثلاثة عشر عاماً كان القرآن يتحدث عن قضايا محددة، أبرزها توحيد الله وإفراده بالعبادة، وأن القرآن كلامه جل وعلا وقضية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، وقضية الإيمان باليوم الآخر وقيام الساعة ونعيم الجنة وجحيم النار فخاطب القرآن الكريم المدعويين بأساليب شتى، لإقناعهم بقبول دعوة الإسلام، وترك برائن الشرك بالله، وسأعرض بعض القضايا الدعوية المتعلقة بالعقيدة.

#### أولاً: وحدانية الله:

لقد كان أول ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم هو توحيد الله، بأن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا استقام الأصل استقامت الفروع، فخاطب فطرة الإنسان السليمة من خلال عقله، بقوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ

عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَىٰ ۗ ءَآلَهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ دَاتٍ بِهَجْجَةٍ مَّا  
 كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ ءَآلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ  
 جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ  
 الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ ءَآلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ  
 الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ ءَآلَهُ مَعَ اللَّهِ  
 قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ  
 يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ ءَآلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ ءَآلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ  
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ <sup>(١)</sup>، فالآيات الكريمة تخاطب  
 المدعويين بأسلوب عقلي، وتبين لهم أن الله عز وجل هو خالق السموات والأرض  
 وهو المدبر لكل شيء، وتكرر عليهم السؤال، هل هناك إله مع الله خلق كل هذا،  
 ويطلب منهم تقديم البرهان إن كانوا صادقين في زعمهم، فكان القرآن في دعوته  
 إلى توحيد الله سهلاً واضحاً، يعرضها للمدعويين بأروع بيان، قال تعالى: ﴿أَمْرٌ  
 أَنْتَ خَدُّوا إِلَهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٦١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا  
 فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٦٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٦٣﴾  
 أَمْرٌ أَنْتَ خَدُّوا مِنْ دُونِهِ ۗ ءَآلَهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ

(١) سورة النمل، الآيات: (٥٩-٦٤).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ  
 إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا  
 سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ  
 يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ  
 ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ  
 فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ (١)، وفي مثل هذا  
 الموضوع ومواضع كثيرة من القرآن دعاهم إلى وحدانية الله، وكما دعاهم إلى  
 الوحدانية دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، قال تعالى: ﴿نَحْنُ  
 خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ  
 ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تَبْدِلَ أَمْرَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ  
 فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
 تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ  
 تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾  
 ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ  
 ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾  
 نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ (٢).

(١) سورة الأنبياء، الآيات: (٢١-٢٩).

(٢) سورة الواقعة، الآيات: (٥٧-٧٤).



ثانياً: القرآن كلام الله:

إن إحدى أهم القضايا الدعوية المتعلقة بالعبقدية، قضية الإيمان بالقرآن الكريم، التي حكى القرآن عنها حوارات عديدة مع منكريه، قال تعالى: حكاية عن تكذيبهم القرآن: ﴿ وَقَالُوا أَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٥١ ﴾<sup>(١)</sup>، وإثبات هذه القضية العقدية تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فكان التحدي الأول للمدعويين عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨ ﴾<sup>(٢)</sup>.

فأخبر جل ثناؤه في هذه الآية، أن مثل القرآن لا يأتي به الجن والإنس ولو تظاهروا وتعاونوا على الإتيان به<sup>(٣)</sup>، وهكذا لم ولن يتمكن المدعويون كلهم على الإتيان بمثل هذا القرآن، وعجزهم هذا يؤكد أن هذا القرآن كلام الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو التحدي الأول للمدعويين.

وبعد أن تحدى القرآن المدعويين بالإتيان بمثل هذا القرآن، انتقل إلى تحدٍ أقل درجة ليظهر عجزهم وضعفهم أمام معجزة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ آم يَقُولُونَ أَفَلَنُؤْتِيهِمْ لَقْمًا يُخَبَّذُ فَلْيَأْكُلُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مَوْلَاكُمْ لَنْ يَخْشِيَ اللَّهُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ الْآخِرَةَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦ ﴾

(١) سورة الفرقان، الآية: (٥).

(٢) سورة الإسراء، آية: (٨٨).

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري - تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٢٠هـ - ١ / ٣٧٨، وانظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت - ط١ - ١٤٢٢هـ - ٥٢/٣.

دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾<sup>(١)</sup>، وكما عجزوا في التحدي السابق عجزوا في التحدي اللاحق، إذ كانت أعظم أماني مشركي قريش تكذيب الدعوة الإسلامية، ورغم فصاحتهم وبلاغتهم لم يتمكنوا من الإتيان بعشر سور من هذا القرآن، ليكون عجزهم شاهداً على صدق الدعوة الإسلامية وأن محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد التحدي الثاني الذي أظهر مزيداً من عجز المشركين أمام القرآن الكريم، تحداهم القرآن أن يأتوا بسورة واحدة منه، أي سورة منه كانت، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

إن كان مُحَمَّدٌ افتراه من عند نفسه، فأتوا أنتم بمثله، إذ لسانه ولسانكم واحد، فأنتم قد عُرفتم بالفرية والكذب، ومُحَمَّدٌ لم يُعرف به قط، ولا أخذ عليه كذب قط، فأنتم أولى أن تأتوا بسورة مثله، وقوله تعالى: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ بَعْضُهُمْ: ادعوا بالهتكم التي تعبدونها؛ ليعينوكم على إتيان مثله.

وقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ﴾ أي: بمن لسانه مثل لسانكم، ليعينوكم على ذلك<sup>(٣)</sup>، وهذا التحدي الأخير كسر غرور كفار قريش وعنادهم،

(١) سورة هود، الآية: (١٣).

(٢) سورة يونس، الآيات: (٣٨-٣٩).

(٣) انظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د. مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٤٢٦هـ - ٤٣/٦.

وأظهرهم في منتهى العجز، فقد كانوا أحرص الناس على تكذيب دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من هذا القرآن ليظفروا بمعركتهم مع الدعوة الإسلامية، بل صار عجزهم هذا شاهداً على صدق دعوتهم صلى الله عليه وسلم.

ولكي لا يقال إن القرآن تحدى كفار قريش وهم أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وليس لديهم علم بالكتب المنزلّة، أعاد القرآن تحديه الثالث للمسدوعين في المدينة ومنهم أهل الكتاب، ليسجل عجز المدعويين من أهل الكتاب كما سجله على كفار مكة من قبل.

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ آتِي وَفُودَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١).

عني بذلك: إن كنتم في شك في صدق محمد فيما جاءكم به من عندي أنه من عندي، فأتوا بسورة من مثله، وليستنصر بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم، حتى تعلموا أنكم إذا عجزتم عن ذلك أنه لا يقدر على أن يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم ولا من البشر أحد، ويصح عندكم أنه تزيلي ووحشي إلى عبدي (٢).

وهنا تحلى عظمة القرآن، فتحدهم مجتمعين ومتفرقين، وتحدهم في العهد المكي والمدني، وتحدى ملوك الفصاحة واللغة والبيان، وتحدى أهل الكتاب فلم يستطيعوا الإتيان بسورة واحدة مماثلة لسور القرآن، ليثبت عجز الخلق أمام معارضة القرآن الكريم، وهذا يؤكد للمدعويين أنه كلام الله.

(١) سورة البقرة، الآيتان: (٢٣-٢٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير - ٤٠٢/١.

ويتضح مما تقدم أن الهدايات العقدية كانت الأبرز في العهد المكي مراعاة لطبيعة الدعوة والمدعويين، فكانت قضية الإيمان بتوحيد الله وأن القرآن كلام الله أبرز القضايا الدعوية، إذ أن المدعو إذا استجاب لدعوة التوحيد وآمن بأن القرآن الكريم هو كلام الله آمن أيضاً بما جاء في القرآن الكريم من تشريعات عقدية وفقهية وأخلاقية، وبعد انتهاء هذا المطلب ناسب ذكر الموضوعات الدعوية المتعلقة بالأحكام.

## المطلب الثاني

### موضوعات الدعوة المتعلقة بالأحكام

لقد كانت قضية الدعوة إلى التوحيد هي قضية الدعوة الأولى، فهي الأصل الذي قامت عليه الدعوة الإسلامية، ولهذا تميزت قضايا الدعوة في العهد المكي بالدعوة إليه، وهذا لا يعني أن تلك الفترة الدعوية خلت من التشريعات الأخرى، إذ شرعت الصلاة والحج على صلة الرحم ومكارم الأخلاق في العهد المكي<sup>(١)</sup>، وعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وتكون المجتمع المسلم، بدأت التشريعات الفقهية تنظم شؤون المجتمع.

قال تعالى: ﴿ مَا فَطَرْنَا فِي السَّمَاءِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾<sup>(٣)</sup>، فكانت تشريعاته تنظم علاقة المدعو مع ربه، وأسرته وقربته، بل تعدى ذلك كله لتنظيم دعائم الحكم وعلاقة الراعي والرعية، وواجبات كل منهما تجاه الآخر، وتلك الأحكام التشريعية أكثر من أن تحصر، ولهذا سأذكر بعض النماذج التي توضح روعة التشريع القرآني.

#### ١- تشريعات حفظ الأسرة:

الأسرة هي نواة المجتمعات، لهذا عني القرآن بشأنها وتنظيمها، بدءاً من تكوينها ونشأتها، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

(١) انظر: مباحث في علوم القرآن - مناع القطان - ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام، الآية: (٣٨).

(٣) سورة المائدة، الآية (٣).

يَنْفَكُرُونَ ﴿٦١﴾ (١)(٢) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا  
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ  
يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (٧٢) (٣)(٤).

ولم يكتف القرآن الكريم بالحث على الزواج، بل نظم العلاقة بين الزوج  
والزوجة في قضايا عدة منها: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ  
بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَّتِ قَلْبِنْتُ  
حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ  
وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُمْ فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِمْ  
سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ (٣٤) (٥).

كما حذرت تشريعات القرآن في المقابل من العلاقة المحرمة بين الذكر والأنثى  
صوناً للأعراض وحفظاً لتماسك المجتمع المسلم، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

(١) سورة الروم، الآية: (٢١).

(٢) فيه قولان: أحدهما: أنه يعني بذلك آدم، خلق حواء من ضلعه، وهو معنى قول قتادة. والثاني: أن  
المعنى: جعل لكم آدميات مثلكم ولم يجعلهن من غير جنسكم، قاله الكلبي. قوله تعالى: لنسكنوا إليها  
أي: لتأواوا إلى الأزواج وجعل بينكم مودة ورحمة وذلك أن الزوجين يتوادان ويتراحمان من غير رحم  
بينهما إن في ذلك الذي ذكره من صنعه آيات لقوم يتفكرون في قدرة الله عز وجل وعظمته. قوله  
تعالى: واختلاف ألسنتكم يعني اللغات من العربية والعجمية وغير ذلك وألوانكم لأن الخلق بين أسود  
وأبيض وأحمر. انظر: زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي -  
٤٢٠/٣.

(٣) سورة النحل، الآية: (٧٢).

(٤) جعلها الله آية تنطوي على آيات، ويتضمن ذلك الصنع نعماً كثيرة، كما أشار إليه قوله تعالى:  
وبنعمت الله هم يَكْفُرُونَ. والقول في جملة والله جعل لكم كالتقول في نظيرتها المتقدمتين. واللام في  
جعل لكم لتعدية فعل جعل إلى ثان. انظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ٢١٧/١٤.

(٥) سورة النساء، الآية: (٣٤).

كُلِّ وَجِدْرٍ مِّنْهُمَا مِائَةٌ جَلْدَةٌ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِ لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً  
وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ (١)

تقول الإعلامية الإنجليزية روز ماري هاو: إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاهها حقوقها كإنسانة، وكامرأة، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها، فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة، فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش، أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة، فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته، فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة، وهو الإنجاب وتربية الأبناء، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك، وإذا اقتضت ظروفها ذلك (٢).

## ٢- تشريعات حفظ النفس:

جاءت تشريعات قرآنية لحفظ دماء الناس، فشرع تحريم الاعتداء على الأنفس المعصومة، فالقاتل يقتل، والمعتدي يقتص منه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۖ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِيَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ

(١) سورة النور، الآيتان: (٢-٣).

(٢) انظر: تعرف على الإسلام - منقذ محمود السقار - رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ٨٨ .

رَبِّكُمْ وَرَحْمَةً ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ (١)، وقال تعالى:  
﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ  
وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ  
فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ  
﴿١٧٨﴾ (٢)﴾.

وبمثل هذه التشريعات وغيرها صان القرآن دماء الناس، وحافظ على ترابط  
المجتمع المسلم، وكبح جماح الأنفس، فلا تنهور في ساعة الغضب فتقدم على سفك  
دم معصوم، لأن عاقبة المعتدي القصاص بقدر اعتدائه.

### ٣- تشريعات حفظ المال:

المال عصب الحياة، ومن أهم مقوماتها، ولهذا جاء التشريع القرآني بتنظيم  
التعامل مع هذا المال بتشريعات عديدة، تهذب العلاقة مع المال، بل أصبحت تلك  
التشريعات محل إعجاب الغرب كما سيأتي (٤)، ومنها تشريع القرآن تحريم الاعتداء  
على المال العام والخاص، وتوعده من يعتدي بحد السرقة والعذاب في الآخرة، قال  
تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ

(١) سورة البقرة، الآية: (١٧٨).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٤٥).

(٣) كانت هذه العقوبة موجودة قبل الإسلام، ولكن للاعتدال فيها يده المثمرة، وللإسراف فيها ضرره  
البالغ، فحد الإسلام من غلوئها، وقصر من عدوانها، ومنع الإسراف منها. فقال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ  
مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَالِهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مُنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] فلم يحج دم من لم  
يشترك في القتل قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعُدُو  
بِالْعُدُوِّ وَالْأَثَىٰ بِالْأَثَىٰ﴾. انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن  
مخلف الثعالبي - تحقيق: / محمد علي معوض وعادل أحمد عبدالموجود - دار إحياء التراث العربي -

بيروت - ط ١ - ١٤١٨هـ - ٣٦٨/١.

(٤) انظر: المبحث الثالث من هذه الدراسة.



اللَّهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ (١).

كما نظم التشريع القرآني علاقة الغني بالفقير، ومتى يدفع الغني للفقير، ومقدار ما يدفع ليحقق التكامل بين أفراد المجتمع الدعوي، وهذا ما يدعو المدعويين من الفقراء إلى القناعة بعدالة الدعوة الإسلامية، ويدفعهم إلى اعتناق هذا السدين العظيم، قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢).

ولم يقف عند هذا بل حفظ للفقير كرامته، قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (٣)، والحديث عن تشريعات حفظ المال يطول، وما ذكر مجرد أمثلة لتنظيم رباني بديع فاق الأنظمة الرأسمالية والشيوعية في التعامل مع المال، كتحريم الربا وبعض أنواع البيع وغيرها.

ويتضح مما تقدم بعض تشريعات الأحكام في القرآن الكريم التي جاءت في سياقات شتى، وكان غالبها قد نزلت في العهد المدني بعد أن تكونت نواة المجتمع المسلم وقويت دعائمه، وسأنتقل في المطلب الآتي إلى الحديث عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريع الأخلاقي في القرآن الكريم.

(١) سورة المائدة، الآية: (٣٨).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٠٣).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٦٤).

## المطلب الثالث

### موضوعات الدعوة المتعلقة بالأخلاق

وردت آيات كثيرة في هداية المدعويين لأحسن الأخلاق، فبعد أن بدأ القرآن بالأصل وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة أتت التشريعات الأخلاقية متوافرة تَهْدِبُ أخلاق المدعويين، وهذا لا يعني عدم تحلي المدعويين في العهد المكي ببعض مكارم الأخلاق، فقد اشتهر العرب بالكرم ونجدة المظلوم والشجاعة وغيرها من حميد الأخلاق، وكما قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»<sup>(١)</sup>، وقد وردت التشريعات الأخلاقية في القرآن في سياقات شتى، فتارة يوجه الخطاب له صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ **فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن تَلَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾<sup>(٢)</sup> (١٥٩)

ومواضع أخرى يذكر القرآن تشريعات أخلاقية في شكل حوار بين لقمان عليه السلام وابنه، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ**

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، حديث رقم (٢٧٣) - السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية - رقم الحديث (٤٥) - ٤٤/١، وانظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث، ٢٦٦، وانظر: الاستدكار - للقرطبي - تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤٢١ - ٢٧٦/٨ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم - أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣ - ١٤١٩هـ - ٨٠٠/٣ .

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ  
 وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ. فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾  
 وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا  
 فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تُمْرًا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا  
 كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنِيٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ  
 أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنِيٰ أَقِيمِ  
 الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ  
 الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ  
 مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَسِّكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ  
 لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴿١﴾ (٢).

وتارة يأتي التشريع الأخلاقي في معرض الشاء على كرم الأنصار مع  
 المهاجرين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَن هَاجَرَ إِلَيْهِمْ

(١) سورة لقمان، الآيات: (١٣-١٩).

(٢) لما أمر بالقيام بحقه، بترك الشرك الذي من لوازمه القيام بالتوحيد، أمر بالقيام بحق الوالدين فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: عهدنا إليه، وجعلناه وصية عنده، سنسأله عن القيام بها، وهل حفظها أم لا؟ فوصيها «بِوَالِدَيْهِ» وقلنا له: «اشْكُرْ لِي» بالقيام بعبوديتي، وأداء حقوقي، وأن لا تستعين بنعمي على معصيتي. «وَلِوَالِدَيْكَ» بالإحسان إليهما بالقول اللين، والكلام اللطيف، والفعل الجميل، والتواضع لهما، [وإكرامهما] انظر: تيسر العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان بن عبدالله بن محمد ابن عبد الوهاب - تحقيق: زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط ١ - ١٤٢٣هـ - ٤٩، وانظر: تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي) - أبو محمد عز الدين عبد العزيز، الملقب بسلطان العلماء - تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهي - دار ابن حزم - بيروت - الطبعة ١ - ١٤١٦هـ - ٥٣٩/٢

وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾<sup>(١)</sup> (٢).

وبانتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثاني، وقد تحدثت فيه عن القضايا الدعوية المتعلقة بالتشريعات العقدية والفقهية والأخلاقية في القرآن الكريم، وسأنتقل للحديث عن إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، وهذا ما ستطرقه الدراسة في المبحث الثالث.

(١) سورة الحشر، الآية: (٩).

(٢) يعني الفاقة فآثروا المهاجرين بالفيء على أنفسهم، ثم قال: وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ يَعْنِي وَمَنْ يَفْقِهَ اللَّهَ حِرْصَ نَفْسِهِ يَعْنِي الْأَنْصَارَ حِينَ طَابَتْ أَنفُسُهُمْ عَنِ الْفِيءِ لِإِخْوَانِهِمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ - ٩ - فقد ذهب صنفان المهاجرون والأنصار وبقي صنف واحد وهم التابعون الذين دخلوا في الإسلام إلى يوم القيامة وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَعْنِي مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان - أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشر البلخي - تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط ١ - ١٤٢٣هـ - ٤/٢٦٩.

## المبحث الثالث

### إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

#### المطلب الأول

#### استجابة بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية

تميزت الدعوة الإسلامية عن دعوات الأنبياء السابقين (عليهم السلام)، بأنها شاملة للزمان والمكان والمكلفين، فدعوات الأنبياء (عليهم السلام) كانت موجهة من النبي إلى قومه فقط، وترتب على هذا أن تكون معجزات أولئك الأنبياء (عليهم السلام) معجزات حسية تنتهي بانتهاؤهم وإقامة الحجة على أقوامهم المدعويين، وفي الحديث الصحيح: « ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، أي أن كل نبي يُبعث إلى قومه خاصة ويجري الله على يديه أمراً خارقاً للعادة من جنس ما نبغ فيه قومه، فيظهر عجزهم عن الإتيان بمثله، فيدفعهم إلى الإيمان به.

لقد كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم (عليه السلام)، وكانت ناقة صالح (عليه السلام) لها شرب ولهم شرب يوم معلوم، وكانت عصا موسى (عليه السلام) حية تلقف ما صنعوا، وكان عيسى (عليه السلام) يرى الأكمة والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، لكن معجزة رسولنا صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان، وقد تحدى الله بها الجن والإنس مجتمعين على أن يأتوا بمثلها فلم ولن يقدرُوا على ذلك<sup>(٢)</sup>، وتأثير الإعجاز التشريعي في النخب الغربية يؤكد شمول

(١) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري - اعتنى به عبدالسلام علوش - كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل - مكتبة الرشد - ط١ - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م - رقم الحديث (٤٩٨١) - ٧١٤ .

(٢) انظر: فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق - ٤٨٥/١ .

الدعوة الإسلامية لجميع المدعويين، وهذا ما نسميه عالمية الدعوة الإسلامية، وترتب على هذه العالمية ضرورة تشريع ينظم حياة المدعويين في كل زمان ومكان، وهذا ما تميز به التشريع الإسلامي، إذ تجلّى إعجازه في تبيان كل شيء للمدعويين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المين، فقد افترى عليه صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(٣)</sup>، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج نزل بها القرآن<sup>(٤)</sup>.

ولذلك فإن المتأمل في التشريع القرآني يجد هدايات العقيدة والأحكام والأخلاق وتفصيل كل شيء في نسق بديع، إذ أن تلك الهدايات بشتى مجالاتها نزلت على نبي أمي لا يقرأ ولا يكتب أرسل إلى أمة أمية في بيئة صحراوية لا تعرف النظم والقوانين، يقول أحدهم: القرآن له أعلى حظوة عند المسلمين، وهو ليس مجرد كتاب صلوات أو أدعية نبوية، أو غذاء للروح أو تسابيح روحانية فحسب، بل إنه أيضاً القانون السياسي وكرت العلوم ومرآة الأجيال، إنه سلوى الحاضر وأمل المستقبل<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي -

تحقيق: أحمد شاكر - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية

السعودية - ط ١ - ١٤١٨ - ١٧٠/١

(٣) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - ٤٤/١٧ .

(٥) انظر: دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم -

١٩٧٤ - ١٨ .

إن إعجاز التشريع الإسلامي مدرك بالعقول حيث إن (النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يعارضها معقول بين قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب، وما علم أنه حق، لا يعارضه ما فيه اشتباه واضطراب لم يُعلم أنه حق) (١).

فالتشريع الإسلامي الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة من عند الله موافق للعقول السليمة والفطر السوية.

حيث إن العقول والأفهام إن تفاضلت واختلفت فلا يفصل بينها إلا النص التشريعي، والمدعون جميعاً (لا يفصل بينهم التزاع إلا كتاب منزل من السماء، وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل) (٢).

وقد أدرك المنصفون من النخب الغربية هذه الحقيقة، فتبين لهم مدى الاختلاف الذي أحدثته عقائد اليهود والنصارى المحرفة.

فمنهم المستشرق ليوبلد فايس (محمد أسد) (٣)، حيث شاهد واقع المسلمين المعاصر وما حل بهم من التفرق والاختلاف والانفصال عن ماضيهم، فقاده بحسه عن السبب إلى اعتناق الإسلام.

فبدأ محمد أسد بالتفكير في أسباب انفصال المسلمين عن ماضيهم وبعدهم عن التشريع الإسلامي فيقول: إن الحياة الإسلامية في الواقع تظهر على كل حال

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية - تحقيق: محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١١هـ - ١٩٩١م - (١/١٥٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل - لابن تيمية - (١/١٤٧).

(٣) فايس - ليوبولد (Weiss, Leopold) مستشرق نمساوي كان يعتنق الديانة اليهودية - ثم أسلم وتسمى بمحمد أسد - أنشأ مجلة (الثقافة الإسلامية في حيدر أباد الدكن عام ١٩٢٧م بالتعاون مع المستشرق وليم بكتول الذي أسلم هو الآخر - ومن خلال كتاباته في المجلة صحح محمد أسد كثيراً من أخطاء المستشرقين - من أبرز آثاره: ترجم صحیح البخاري بتعليق وفهرس سنة ١٩٣٥م - وألف أصول الفقه الإسلامي - والطريق إلى مكة - والإسلام على مفترق الطرق - ومبادئ الدولة والحكومة في الإسلام - انظر: المستشرقون - نجيب العقيقي - دار المعارف - بدون رقم وتاريخ (٢/٢٩١).

بعيدة جداً عن الإمكانيات المثلى التي تقدمها التعاليم الدينية في الإسلام<sup>(١)</sup>. إلى أن قال: لقد شجعني هذا الاكتشاف، ولكن الذي حيرني كان ذلك التباعد البين بين الحاضر والماضي، من أجل ذلك حاولت الاقتراب من هذه المشكلة البادية أمامي من ناحية أشد صلة، لقد تخيلت نفسي واحداً من الذين يضمهم الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ثم يؤكد أن سبب اعتناقه الإسلام هو إدراكه لشمول الشريعة الإسلامية وتكاملها في جميع الجوانب فيقول: «لم يكن الذي جذبني تعليم خاص من التعاليم، بل ذلك البناء الجموع العجيب والمتراص بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية بالإضافة إلى منهج الحياة العملية، ولا أستطيع اليوم أن أقول أي النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها، فإن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزائه قد صيغت ليلم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً»<sup>(٣)</sup>.

وتتضح عظمة التشريع وإعجازه في استجابة أحد النخب الغربية مثل محمد أسد للدعوة الإسلامية بصورة سببت صدمة وذهولاً للأوروبيين، إذ يقول: «وقد بدا هذا غريباً جداً لمعظم أصدقائي الغربيين، ذلك بأنهم لم يستطيعوا أن يتصوروا تماماً كيف أن رجلاً غربي المولد استطاع أن يثبت شخصيته إثباتاً كاملاً، ودونما تحفظ عقلي في العالم الإسلامي، وكيف استطاع قبول أيديولوجية دينية واجتماعية كانت في اعتقادهم المطلق أحط كثيراً من جميع المفاهيم والمعتقدات الأوروبية»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمر فروخ - دار العلم للملايين - ١٧.

(٢) انظر: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ١٧.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ١٩.

(٤) المرجع السابق - ٢٠.



إن أحد جوانب الإعجاز في التشريع الإسلامي هو ثباته وعدم تغيره. بمرو الزمن، وهذا ما قاد المستشرق (مراد هوفمان)<sup>(١)</sup> وهداه إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، إذ تعمق إيمانه بأن مصادر التشريع الإسلامي قامت على (أسس ثابتة راسخة، لا تغيير فيها إلا وهي الكتاب والسنة)<sup>(٢)</sup>.

وفي حديثه عن حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية يبين (هوفمان) أثر الإيمان بالله تعالى في رعاية حقوق الإنسان، وعجز القوانين الوضعية أن تكون مقنعة في مجال حقوق الإنسان فيقول: (إن المعول في قيام حقوق الإنسان أو سقوطها إنما يتعلق أولاً وأخيراً بالإيمان بالله، فإذا أنكر امرؤ وجود الله، فإنه بهذا يضع كافة الحقوق تلقائياً تحت تصرف الإنسان أو رحمته، حتى لو استطاع بذلك خداع نفسه حيناً من الدهر بإشارته إلى الحقوق الطبيعية المزعومة.

فضلاً عن ذلك فإنه لم يتح لأي إنسان منذ بدء الخليقة أن يخرج علينا بنظام قانوني مقنع عام استقاه أو استوحاه من مراقبة الدراسة للطبيعة، والحق إن غاية ما يتوصل إليه الإنسان وحده في مثل تلك الحالات مجرد إسقاط لتصورات مثالية على الإنسان من بيئته)<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما تقدم تأثير الإعجاز التشريعي على النخب الغربية، هذا التأثير الذي قاد عدداً منهم إلى الاستجابة للدعوة الإسلامية، وبعد ذكر بعض من أسلم من تلك النخب الغربية ناسب ذكر بعض شهادات النخب الغربية في إنصاف الدعوة الإسلامية ممن تأثر منهم بالإعجاز التشريعي.

(١) مراد هوفمان - مستشرق ألماني كان سفيراً لبلاد في المغرب (١٩٩١-١٩٩٥م) - ومديراً في حلف شمال الأطلسي - اعتنق الإسلام وتزوج من مغربية مسلمة - من أبرز آثاره: (الإسلام كبديل) و (الطريق إلى مكة) - و (الإسلام في القرن العشرين) - انظر: معجم أسماء المستشرقين - يحيى مراد - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٢ - ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ - ٧٠٩ ..

(٢) الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط ٢ - ١٤١٨ - ١٩٩٧م - ١٠٥ .

(٣) الإسلام كبديل - مراد هوفمان - ١٨٨ .

## المطلب الثاني

### شهادة بعض النخب الغربية في الدعوة الإسلامية

لقد قصرت شرائع اليهودية والنصرانية اللتين يعتنقهما كثير من النخب الغربية عن الوفاء بما تتطلبه الحياة البشرية، فاليهودية نسبت العجز عن تدبير الخلق إلى الخالق<sup>(١)</sup>، والنصرانية جعلت الإله محتاجاً إلى الابن في تحقيق سعادته وتلبية رغباته<sup>(٢)</sup>.

إضافة إلى أن معتقدات النصارى قد أعطت الكنيسة حق التشريع فبدل رجال الكنيسة وغيروا فضلوا وأضلوا<sup>(٣)</sup>، كما قال تعالى: عن الأحرار والرهبان:

﴿ أَخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>

وهذا ما جعل اليهودية والنصرانية تخفق في تحقيق ما تصبو إليه المجتمعات الغربية، فحاولت تلك المجتمعات عبثاً ممثلة في حكوماتها تلافي ذلك القصور بوضع نظرية حاسمة عن الحكم الكاثوليكي المعتمد على الحق الإلهي والتي حولت لكل ملك فيهم التصرف بصفته الممثل لله<sup>(٥)</sup>. وترتب على ذلك صراع بين الدين

(١) انظر: دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة - دار الكتب المصرية - ط١ - ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م - ١٠٨، وانظر: الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - عبدالقادر شيبه الحمد - مكتبة دار الزمان - المدينة المنورة - ط٤ - ١٤٣٢هـ، وانظر: اليهودية - أحمد شلبي - دار النهضة المصرية - مصر - ط٨ - ١٩٨٨م.

(٢) انظر: المرجع السابق - ١١٨.

(٣) انظر: المرجع السابق - ١٣٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: (٣١).

(٥) انظر: تاريخ الثورة الفرنسية - ألبر سوبول - ترجمة: جورج كوسي - ط٤ - ١٩٨٩م - منشورات البحر المتوسط - وعودات - بيروت - باريس - ٦٤.

والسياسة ، ثم تطور إلى فصل الكنيسة عن الدولة<sup>(١)</sup> فكان ذلك من أعظم أسباب الثورة الفرنسية التي قضت على سلطة الكنيسة ونذت القيود الدينية إلى اليوم. لقد كان القرآن الكريم ولا زال مصدر هداية للمدعوين في جميع مجالات الحياة، فعند حدوث أزمة الاقتصاد العالمي عام ٢٠٠٨م طالب الفاتيكان عبر جريدته الرسمية المعروفة باسم «أوسير فاتور توتارو»، أنه يتوجب على البنوك الغربية أن تنظر في قواعد المال الإسلامية، فقد تقوم التعليمات الأخلاقية التي تركز عليها المالية الإسلامية بتقريب البنوك إلى عملائها بشكل أكثر من ذي قبل، فضلاً عن أن هذه المبادئ قد تجعل هذه البنوك تتحلى بالروح الحقيقية المفترض وجودها بين كل مؤسسة تقدم خدمات مالية<sup>(٢)</sup>، وصدور هذا الاقتراح من أعلى سلطة نصرانية في العالم، يؤكد الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وشموله لجميع شؤون المدعو، وما عجز عنه النظام الرأسمالي في القرن الواحد والعشرين، وضع حلوله القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، ولكي لا يقول قائل إن الفاتيكان سلطة دينية لا معرفة له بشؤون الاقتصاد العالمي، عزز هذا الاتجاه ما ذكره اقتصاديون غربيون طالبوا بتطبيق التشريع القرآني عوضاً عن تشريعات الإنجيل والرأسمالية، يقول بوفيس فانسون: أظن أننا بحاجة أكثر في هذه الأزمة إلى قراءة القرآن بدلاً من الإنجيل، لفهم ما يحدث بنا وبمصارفنا ، لأنه لو حاول القائمون على مصارفنا احترام ما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام وطبقتها، ما حل بنا ما حل من كوارث وأزمات وما وصل بنا الحال إلى هذا الوضع المزري<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: المرجع السابق - ١٨١.

(٢) انظر: جريدة الاقتصادية- العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٢٠٠٩/٣/٧م- نقلاً عن جريدة الفاتيكان الرسمية.

(٣) انظر: مجلة (تشانلنجر) إحدى أكبر مجلات الاقتصاد الأوروبية - والمقال لرئيس التحرير - ٢٠٠٨/٩/١١م، وللإستزادة من معرفة تفوق التشريع الإسلامي على النظام الرأسمالي في الاقتصاد، انظر: أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة- أ.د. محمد بن ناصر العمار- دار اشبيليا - ط٣- ١٤١٨هـ-١٩٩٨م-٥٥١.

إن مثل هذه الأقوال الصادرة من خبراء الاقتصاد في العالم الغربي وقبلها تصريحات الفاتيكان لتؤكد تأثير الإعجاز التشريعي في نفوس النخب الغربية، وجمال تكامله وبيانه لكل شيء، ولهذا كانت الدعوة الإسلامية دعوة موجهة لجميع المدعوين منذ بعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حتى قيام الساعة.

وفي سياق شهادة أخرى تؤكد إعجاز القرآن التشريعي، يقول الدكتور شريك النمساوي: إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها، إذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يسأتي بتشريع سنكون نحن في أوروبا أسعد ما نكون إذا توصلنا إلى قمته<sup>(١)</sup>. فهذا المفكر النمساوي يقر بعظمة التشريعات الإسلامية وأن أوروبا ستسعد بها. ويقول الدكتور مايكل هارت الأمريكي في كتابه مائة رجل من التاريخ: إن اختياري محمداً ليكون الأول في أهم وأعظم رجال التاريخ قد يدهش القراء، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الدنيوي والديني، فهناك رسل وأنبياء وحكماء بدؤوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالسيح - عليه السلام - في المسيحية أو شاركهم فيها غيرهم، أو سبقهم إليهم سواهم، كموسى - عليه السلام - في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي أتم رسالته الدينية، وتحددت أحكامها، وآمنت بها شعوب بأسرها في حياته، ولأنه أقام جانب الدين دولة جديدة فإنه في هذا المجال الديني أيضاً وحد القبائل في شعب، والشعوب في أمة، ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها، ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم<sup>(٢)</sup>.

(١) كلمة للدكتور شريك - عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا - بمؤتمر الحقوق ١٩٧٧م.

(٢) انظر: The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History مايكل هارت

١٩٧٨ - ترجمة: أنيس منصور وسماء (أعظم ١٠٠ رجل، وأعظمهم محمد).

ورغم أن الألمانية زيغريد هونكة<sup>(١)</sup> نظرت للإسلام على أنه دعوة خاصة بالعرب، إلا أنها أقرت بالإعجاز التشريعي في جانب الأخلاق بفضل ما اشتمل عليه من تسامح لم يوجد عند أهل الديانات الأخرى، ويتضح ذلك من العنوان الذي بدأت به الفصل المتضمن التطور الذي أحدثه الإسلام في الشعوب التي اعتنقته، فتساءل تحت عنوان (المعجزة التي حققها العرب): «إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سلم الحضارة والتي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللا شيء هي ظاهرة جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة للشعوب المتحضرة في هذا العصر لفريدة في نوعها لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها، وتدعونا هنا أن نقف هنيهة متأملين كيف حدث هذا؟»<sup>(٢)</sup>.

ثم تطرح السؤال الثاني فتقول: «ما المقومات التي احتاجها هذا الشعب ليعت مثل هذا البعث؟ وما العوامل التاريخية والاجتماعية والروحية والفكرية التي لا بد لها أن تجتمع لتخلق هذه المعجزة التي حققها العرب؟»<sup>(٣)</sup>.

ثم تحيب هونكة عن ذلك مبينة تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارات الأخرى فتقول: (والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عدداً ضئيلاً من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعله العرب،

(١) مستشرقة ألمانية زوجة المستشرق الألماني شولترا- تميزت بدفاعها عن قضايا العرب والوقوف إلى جانبهم حتى أقمها الأوروييون بالتحيز للعرب والتعصب لهم، بعد تأليفها لكتاب (شمس العرب تسطع على الغرب)- وقد زارت البلاد العربية، وعندما وجهت لها الحكومة العراقية، دعوة لزيارة العراق في عام ١٩٦١م تقديراً لجهودها وكتاباتها عن العرب، ومن أبرز آثارها: (كتاب (الرجل والمرأة) والذي أكدت فيه على فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة والحضارة الإنسانية عامة: انظر: مقدمة كتاب شمس العرب تسطع على الغرب - ٧- ٨.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب- زيغريد هونكة- ترجمة: فاروق بيضون- كمال دسوقي - ط٨- ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار الخيل - دار الآفاق - بيروت- ٣٥٤ .

(٣) المرجع السابق - ٣٥٥.

وكان لمسلكهم هذا أطيّب الأثر، مما أتاح للحضارة العربية أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية الزائفة ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إرادتها بالقوة<sup>(١)</sup>.

وهكذا تؤكد هونكة على تأثير التشريعات الأخلاقية، إذ كان لها الأثر البالغ في استجابة كثير للدعوة الإسلامية، بل أقرت بتفوق تلك التشريعات الأخلاقية على الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية.

كما أقر الإنجليزي توماس آرنولد<sup>(٢)</sup> بالقدر الكبير من التسامح الذي كان يتعامل به المسلمون مع النصارى خصوصاً في عصر الخلفاء الراشدين، فيقول: (ولما كان المسيحيون يعيشون في مجتمعهم آمنين على حياتهم وممتلكاتهم ناعمين بمثل هذا التسامح الذي منحهم حرية التفكير الديني، تمتعوا وخاصة في المدن بحالة من الرفاهية والرخاء في الأيام الأولى من الخلافة)<sup>(٣)</sup>.

ويعترف الإيطالي دافيد سانتلانا<sup>(٤)</sup> بهذا الإعجاز التشريعي، فيذكر أن التطور والرقى الموجود لدى الغرب في المفاهيم إنما هو مستمد من التشريع الإسلامي إذ يقول: (لا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسمّ الجانب الأكبر من

(١) المرجع السابق - ٣٥٨.

(٢) آرنولد، السير توماس (١٩٨٤-١٩٣٠م) Thomas Sir Arnod مستشرق إنجليزي تعلم في كمبردج وهو أول أستاذ كرسي في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن عام ١٩٠٤م - ثم اختير عميداً لها عام ١٩٣٠م - من أبرز آثاره العلمية: (الدعوة إلى الإسلام) - (العقيدة الإسلامية) - (تراث الإسلام) - انظر: معجم أسماء المستشرقين، د. يحيى مراد - ٩٤ .

(٣) الدعوة إلى الإسلام - توماس آرنولد - ترجمة: حسن إبراهيم حسن - وعبدالمجيد عابدين - ط٢ - ١٩٥٧م - مكتبة النهضة المصرية - ٨١ .

(٤) دافيد سانتلانا David Santillana (١٨٥٥-١٩٣١م) - مستشرق إيطالي ولد في تونس من أسرة يهودية، ذات أصل أسباني حصل على الشهادة الجامعية في الحقوق من جامعة روما - ومارس مهنة المحاماة وتخصّص في الشريعة الإسلامية - من أبرز آثاره: ترجمة مختصر خليل في الفقه المالكي - (نظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب الإمام مالك) - انظر: موسوعة المستشرقين - عبدالرحمن بدوي - ط٢ - ١٩٨٩م - دار العلم للملايين - بيروت - ٢٣٢ .



شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية، وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور<sup>(١)</sup>.

إن تواتر شهادات غربية في الإشادة بإعجاز القرآن التشريعي، وصدور هذه الشهادات من علماء لا ينتسبون للإسلام، يعد عنصراً مؤثراً في دعوة النخب الغربية، إذ أن دافع ثنائهم على التشريع الإسلامي نابعٌ من واقع الدعوة الإسلامية، إلا أنه يلاحظ أن هناك قصوراً في توظيف إعجاز القرآن التشريعي في دعوة المجتمعات الغربية، لا سيما أن تلك المجتمعات تتميز بمساحة واسعة من حرية التعبير عن الأفكار، وهذا التوظيف الدعوي يحتاج إلى تشكيل هيئة تحت مسمى هيئة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي، تدعم دعماً مادياً ومعنوياً كبيراً يكون ضمن خطة دعوية، تستهدف دعوة النخب الغربية في مجتمعاتها، من خلال عقد مؤتمرات ومحاضرات تسلط الضوء على مشكلات المجتمعات الغربية كأزمة الاقتصاد العالمي، وعقد مقارنات بين التشريع الإسلامي والتشريعات الغربية.

ويتضح مما تقدم إنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية بعد تأثرهم بالإعجاز التشريعي، وباتهاء هذا المطلب ينتهي المبحث الثالث، ويليه الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

(١) الشريعة لماذا- محمد يسري إبراهيم- الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م- دار الكتب المصرية- القاهرة- ١٨٥.

## الخاتمة

الحمد لله على تيسير إتمام هذه الدراسة العلمية، وأصلي وأسلم وأبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،،

فقد انتهيت في هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، وأوجه إعجاز القرآن الكريم، والموضوعات الدعوية المتعلقة بإعجاز القرآن التشريعي. وهي موضوعات: العقيدة والأحكام والأخلاق، وختمتها بإنصاف بعض النخب الغربية للدعوة الإسلامية، والآن سأذكر أبرز النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج:

- ١- أن مفهوم دعوة النخب الغربية بإعجاز القرآن التشريعي هو إمالة مفكري الغرب ومنتقفيهم إلى الإسلام بما ورد في كتاب الله من هدايات عقدية وفقهية وأخلاقية عجز الخلق عن الإتيان بمثلهما.
- ٢- أن للقرآن الكريم أوجهاً متعددة للإعجاز وهي الإعجاز البياني والغبي والتشريعي والعلمي.
- ٣- أن التشريعات العقدية كانت أبرز الموضوعات الدعوية في العهد المكي، كقضية وجوب وحدانية الله وإفراده بالعبادة.
- ٤- أن من أبرز قضايا الإعجاز التشريعي تلك التشريعات الفقهية والأخلاقية التي تبين في العصر الحديث أن وراء التحريم ضرراً على النفس أو المال، كتحريم أكل لحم الخنزير وتحريم الزنا والربا وغيرها.
- ٥- أن الدعوة بإعجاز القرآن التشريعي تحتاج إلى تنظيم جهودها، تبدأ بإنشاء هيئة علمية للإعجاز التشريعي تحت مظلة رابطة العالم الإسلامي.
- ٦- أن هناك من النخب الغربية من استجاب للدعوة الإسلامية متأثراً بالإعجاز التشريعي.



- ٧- أن هناك شواهد كثيرة لشهادات علماء ومفكرين غربيين تشيد بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.
- ٨- أن كثيراً من مشكلات المجتمعات الغربية أوجد لها القرآن الكريم حلاً في تشريعاته، بدليل مناداة الفاتيكان بتطبيق الشريعة الإسلامية في البنوك الإسلامية إبان أزمة الاقتصاد العالمية عام ٢٠٠٨م.
- ٩- أن الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أبرز صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان من حيث شمولها وثباتها ومرونتها.
- ١٠- أن الإعجاز التشريعي في القرآن حجة على المكلفين إلى قيام الساعة وأتى ليؤكد أن القرآن كلام الله.

#### ثانياً: التوصيات:

- ١- إنشاء هيئة علمية تحت مسمى هيئة الإعجاز التشريعي في القرآن والسنة، ويُستقطب لها علماء من أرجاء العالم الإسلامي وتدعم دعماً مادياً قوياً.
- ٢- عقد مؤتمرات علمية في العواصم الأوروبية البارزة مثل باريس ولندن وجنيف، وإقامة حوارات مع مفكري الغرب من أساتذة القانون والديانات، ووضع محاور تناول التشريعات الإسلامية.
- ٣- توجيه عدد من الباحثين إلى الدراسات التي تتعلق بمشكلات المجتمعات غير الإسلامية ووضع حلولها من التشريع الإسلامي، ومناقشة مفكري تلك المجتمعات في حلول التشريع الإسلامي كنوع من أساليب الدعوة.
- ٤- أهمية توظيف شهادات علماء الغرب ومفكريه التي تشيد بالتشريع الإسلامي في الدعوة إلى الإسلام، وذلك بإبراز تلك الشهادات في إعلام المجتمعات الغربية ونشرها عبر وسائل الاتصال الحديثة.
- ٥- التأكيد على الدعاة أن الثبات والمرونة في إعجاز القرآن التشريعي لا يعني التنازل عن الثوابت والأصول.

## المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة - أ.د. حمد بن ناصر العمار - دار إشبيلية- الرياض - ط٣- ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ٣- الاستذكار- للقرطبي- تحقيق: سالم حمد عطا، محمد علي معوض- دار الكتب العلمية - بيروت - ط١- ١٤٢١.
- ٤- الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - ترجمة عمر فروخ- دار العلم للملايين.
- ٥- الإسلام كبديل - مراد هوفمان - مكتبة العبيكان - ط٢- ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٦- الاعتصام- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي- تحقيق: محمد الشقير و سعد آل حميد وهشام إسماعيل الصبيح- دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - ط١- ١٤٢٩هـ.
- ٧- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تاريخه وضوابطه - د. عبدالله المصلح - ط١- ١٤١٧هـ.
- ٨- الإعجاز العملي في السنة النبوية - د. صالح أحمد رضا- مكتبة العبيكان - الرياض - ط١- ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٩- إنه الحق - إعداد هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - مطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة - ط٣- ١٤٢٠.
- ١٠- البحوث الإعلامية - أ.د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان - الرياض - ط١- ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ١١- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الدمشقي- تحقيق: موسى الدويش- مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٥هـ.

- ١٢- تاج العروس من جواهر القاموس - محمد الزبيدي - المطبعة الخيرية ، مصر .
- ١٣- تاريخ الثورة الفرنسية - ألبير سويول - ترجمة جورج كوسي - نشر البحر المتوسط - بيروت - باريس - ط٤ - ١٩٨٩م .
- ١٤- التحرير والتنوير - ابن عاشور - الدار التونسية للنشر - تونس - ١٩٨٤هـ .
- ١٥- التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته - د . محمد الأحمدى - بدون رقم وتاريخ -
- ١٦- تراث الإسلام- جوزيف شاخت ومعه آخرون - ترجمة محمد زهير - سلسلة عالم المعرفة - الكويت - ١٩٧٨م .
- ١٧- التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية - علي علي صبح - المكتب الأزهرية للتراث .
- ١٨- تعرف على الإسلام، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
- ١٩- تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)- أبو محمد عز الدين عبد العزيز ، الملقب بسليمان العلماء- تحقيق: عبد الله بن إبراهيم السوهي - دار ابن حزم - بيروت- الطبعة ١- ١٤١٦هـ
- ٢٠- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم- أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم - تحقيق: أسعد محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية - ط٣- ١٤١٩هـ .
- ٢١- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي - تحقيق: د. مجدي باسلوم - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- ١٤٢٦هـ .

- ٢٢- تفسير مقاتل بن سليمان- أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزديين البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)- تحقيق: عبدالله محمود شحاته - دار إحياء التراث - بيروت - ط١ - ١٤٢٣هـ
- ٢٣- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، سليمان ابن عبدالله بن محمد ابن عبدالوهاب - تحقيق: زهير السشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - دمشق - ط١ - ١٤٢٣هـ
- ٢٤- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري- تحقيق: أحمد محمد شاكر - مؤسسة الرسالة - ط١ - ١٤٢٠هـ.
- ٢٥- الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه - محمد بن إسماعيل البخاري- اعتنى به عبدالسلام علوش - مكتبة الرشد - ط١ - ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٠م.
- ٢٦- جريدة الاقتصادية - العدد رقم (٥٦٢٦)- السبت ٧/٣/٢٠٠٩م.
- ٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي - تحقيق: / محمد علي معوض وعادل أحمد الموجود - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ط١ - ١٤١٨هـ
- ٢٨- درء تعارض العقل والنقل - شيخ الإسلام ابن تيمية- تحقيق محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٢٩- دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية - د. محمد عبدالله دراز - دار القلم - ١٩٧٤.
- ٣٠- دراسات في مقارنة الأديان - د. محمود محمد مزروعة - دار الكتب العلمية - ط١ - ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٣١- الدعوة الإسلامية أصولها ومسائلها - أ/د. أحمد أحمد غلوش - دار الكتاب المصري، القاهرة ط٢ - ١٤٠٧هـ.

- ٣٢- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية - محمد الراوي - مكتبة الرشد - الرياض  
- ط ٣ ١٤١١هـ -
- ٣٣- الدعوة إلى الإسلام - توماس آرنولد - ترجمة حسن إبراهيم حسن  
وعبدالمجيد عابدين - مكتبة النهضة المصرية - ط ٢ - ١٩٥٧م.
- ٣٤- الدعوة إلى الله الرسالة ، الوسيلة - الهدف - د . توفيق الواعي - دار  
اليقين ، مصر ، ط ٢ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م -
- ٣٥- الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل - د . محمد سيدي بن الحبيب ،  
الناشر عبدالله محمد الشنقيطي ، ط ٢ ، بدون تاريخ.
- ٣٦- دعوة غير المسلمين إلى الإسلام - أ.د. عبد الله اللحيدان ، مطابع الحميضي  
، ط ١ - ١٤٢٠هـ .
- ٣٧- الدعوة والداعية في ضوء سورة الفرقان - محمد سعيد البارودي - دار  
الوفاء للنشر والتوزيع - جدة ط ١ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥ .
- ٣٨- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن  
محمد الجوزي - تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت -  
ط ١ - ١٤٢٢هـ .
- ٣٩- السلسلة الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني - مركز نور الإسلام  
لأبحاث القرآن والسنة - الإسكندرية .
- ٤٠- سلسلة محاسن التأويل - أبو هاشم صالح بن عواد بن صالح المغامسي -  
دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية .
- ٤١- شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد أبي العز الحنفي، الأذرعي  
الصالحى دمشقي - تحقيق: أحمد شاكر - وزارة الشؤون الإسلامية  
والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط ١ - ١٤١٨
- ٤٢- الشريعة لماذا - محمد يسري إبراهيم - دار الكتب المصرية - القاهرة -  
ط ١ - ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .

- ٤٣- شمس العرب تسطع على الغرب - زيغريد هونكه - ترجمة فاروق بيضون - كمال دسوقي - دار الجليل - بيروت - ط ٨ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٤٤- الصحاح - إسماعيل الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- ٤٥- عظمة القرآن الكريم- محمود بن أحمد بن صالح الدوسري- دار ابن الجوزي- ط١- ١٤٢٦هـ.
- ٤٦- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي - المالكي- قدم له: محب الدين الخطيب - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - ط ١- ١٤١٩هـ.
- ٤٧- فتح المنعم - موسى شاهين لاشين - دار الشرق .
- ٤٨- القاموس المحيط، للفيروزآبادي - مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة - إشراف محمد نعيم العرقسوسي - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان- ط٨- ١٤٢٦هـ.
- ٤٩- لسان العرب- لابن منظور - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي- دار صادر - بيروت- الطبعة: ٣ - ١٤١٤هـ
- ٥٠- مباحث في علوم القرآن - مناع القطان- مكتبة وهبة - جمهورية مصر العربية- ط١١- ٢٠٠٠م.
- ٥١- مجلة (تشالينجر) عدد ٤/١٠/١٤٢٩هـ الموافق ٥/١٠/٢٠٠٨.
- ٥٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ٢١ ، محرم ١٤١٩هـ - تاريخ الدعوة في عهد النبي ﷺ وفقه الدعوة منه - د . عبدالرحمن بن سليمان الخليلي.

- ٥٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية — جمع عبدالرحمن بن قاسم —  
دار عالم الكتب — الرياض ١٤١٢هـ — ١٩٩١م .
- ٥٤- المدخل إلى علم الدعوة — أ. د. محمد أبو الفتح البيانوني — مؤسسة الرسالة  
— بيروت — ط ١ ، ١٤٠٤هـ .
- ٥٥- مدخل إلى علم الدعوة- أ. د. عبد الرب نواب الدين- دار العاصمة الرياض  
ط ١ - ١٤١٣هـ .
- ٥٦- مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب — دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت —  
ط ١ ، ١٤٠١هـ —
- ٥٧- المستشرقون - نجيب العقيقي - دار المعارف - ط ٤ بدون تاريخ.
- ٥٨- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر — علي المرشد ، مكتبة لينة ، دمنهور  
— ١٤٠٩هـ .
- ٥٩- معجم أسماء المستشرقين - د. يحيى مراد - درا الكتب العلمية - بيروت -  
ط ٢ - ٢٠٠٤م - ١٤٢٥هـ .
- ٦٠- المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية- دار إحياء التراث العربي- بيروت -  
بدون رقم وتاريخ.
- ٦١- المفردات، للراغب الأصفهاني- تحقيق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم  
- الدار الشامية - دمشق - بيروت - ط ١ - ١٤١٢هـ .
- ٦٢- مقاييس اللغة — أمين قاسم- دار الفكر - بيروت- بدون رقم وتاريخ.
- ٦٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبدالعظيم الزرقاني - دار الفكر -  
ط ١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- ٦٤- الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة لناصر القفاري و ناصر العقل -  
الرياض - ١٤١٣هـ .
- ٦٥- موسوعة المستشرقين - عبدالرحمن بدوي - دار العلم للملايين- بيروت -  
ط ٢ - ١٩٨٩م .



٦٦- اليهودية، لأحمد شلبي - دار النهضة المصرية - مصر - ط٨ - ١٩٨٨م.

٦٧- The ١٠٠: A Ranking of the Most Influential Persons in History

مايكل هارت ١٩٧٨ - ترجمة : أنيس منصور وسماء ( أعظم ١٠٠ رجل ,

وأعظمتهم محمد ) - ١٩٧٨م .



البحث رقم (٢)

**بناء شخصية الداعية الاجتماعية  
على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل**

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن صالح الثويني  
الأستاذ المشارك في كلية المجتمع، جامعة القصيم



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أما بعد: ففي أثناء قراءتي في موضوع الأمثال، وجدت أن في هذا مادة علمية وآثاراً دعوية يفيد الداعية منها ويستفيد، كما أن المتبصر في معانيها يجد منها ما يساعده على بناء شخصيته، وتنمية ذاته بكل جوانبها، هذا في عامة الأمثال، فكيف إذا كانت الأمثال من كتاب الله سبحانه وتعالى أو سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟، فإن هذا يزيدنا ثقة وأهمية تسعى النفوس الأبية إلى علمها، ومن ثم فهمها والتعامل معها بحسب مقتضيات المقام والمقال.

ولما أردت الكتابة في هذا رأيت أبواباً تفتحت من كثرة أنواع الأمثال وأهمية كل نوع، فإذا الموضوع يحتاج إلى طول نفس ومناسبة حال البحث ومتطلباته، فكان الاقتصار على نوع واحد وهو القول السائر مسار المثل، فوجدته أيضاً كحال ما سبق طويلاً وتشعباً، فكان الاقتصار والاكتفاء على قسم منه وهو الجانب الاجتماعي في حياة الداعية أسميته: " بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل" مكتفياً في هذا بما في صحيح البخاري رحمه الله-، ومما يظهر منه كثرة استعماله في مجتمعي، سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

### حدود الدراسة:

سأقتصر في هذا البحث على أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- السائرة مسار المثل، بذكر بعض ما ورد في صحيح البخاري رحمه الله- ولو كانت مما هو متفق عليه في الصحيحين، وأراها قد استفاد استعمالها في مجتمعي المحلي فقط كما هو استعمال ((اشفوعوا تخرجوا)) مستفيداً من شروح من سبقني - في هذا - من أهل العلم والفضل بما يخدم البحث ويحقق مقصوده.

### منهج البحث:

- سأسير في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم أستنبط منه ما أراه عاماً من عوامل بناء الشخصية الاجتماعية.

- سأقتصر على عدد محدود من الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل ساعياً لتنوعها بحسب أثرها على بناء شخصية الداعية.

- مع الالتزام بمحدود الدراسة، قد أستشهدُ بحديث، أو أثرٍ من غير صحيح البخاري وذلك في ثنايا البحث، مع بيان أثر ذلك المثل الذي أقوم ببيان حال كونه عامل بناء لشخصية الداعية.

- مراعاة لطبيعة البحث لن آتي على كل ما يرد بما يتناسب وعنوان البحث.

- عوامل البناء محل اجتهاد وسأستفرغ جهدي باختيار الأنسب.

### أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختيار الموضوع لأسباب منها:

- أن يدرك الملقى للقول كمثلٍ بأنه يستند على ما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فيأخذ به مأخذ الجد والأهمية.

- أهمية تخلق الدعاة في ذلك إما فعلاً أو تركاً بحسب ما يقتضيه المثل من مقام.

- إن بناء الشخصية يتألف من تلك الأقوال النبوية التي هي محض الصدق والمناسبة.

- قلة المؤلفات في ذلك وبخاصة بالإفادة من الأمثال السائرة، إن لم تكن معدومة في جانب أثرها الدعوي.

### الدراسات السابقة:

أثناء إعدادي لهذا البحث بحثت عما كتب فيه لأفيد منه، أو أرى أنها كافية عما سأقوم به فوجدت أن المؤلفات في الأمثال عموماً الكتابة عنها متقدمة تاريخياً ومن ذلك حسب تاريخ الوفاة:

١- الأمثال الكامنة في القرآن الكريم، للحسين بن الفضل (ت ٢٨٢هـ).

٢- أمثال القرآن، للحنيد بن محمد القواريري (ت ٢٩٨هـ).

- ٣- أمثال القرآن، لنفطويه (ت ٣٢٣هـ).
  - ٤- أمثال الحديث، لأبي محمد الحسن بن عبدالرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠).
  - ٥- جمهرة الأمثال، للعسكري أبي هلال حسن بن عبدالله (ت ٣٩٥هـ).
  - ٦- أمثال القرآن، لمحمد بن الحسين السلمي (ت ٤١٢).
  - ٧- الأمثال والحكم، لعلي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ).
  - ٨- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ).
  - ٩- أمثال القرآن، للإمام شمس الدين ابن القيم (ت ٧٥١هـ).
- ومن المؤلفات المعاصرة ما يكون تأليفاً ابتداءً، أو رسالة علمية للماجستير، أو للدكتوراه، ومن تلك المؤلفات:
- ١- نظرات فقهية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث للدكتور عبد المجيد محمد عبدالمجيد.
  - ٢- ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وآثارها في تربية الجيل المسلم لمصطفى عيد الصياصنة.
  - ٣- أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع لعبدالرحمن حسن حبنكة الميداني.
  - ٤- موسوعة الأمثال القرآنية للدكتور محمد عبد الوهاب عبد اللطيف.
  - ٥- الأمثال في الحديث النبوي الشريف للدكتور محمد جابر العلواني.
  - ٦- الأمثال والحكم العربية في خدمة الداعية للشيخ سفر أحمد الحمداني. وقد اطلعت على هذه المؤلفات وأسستفيد منها بإذن الله. وأما الرسائل العلمية فمنها:
  - ١- رسالة ماجستير بعنوان: الأمثال النبوية في الكتب الستة النبوية وموطأ مالك (جمع ودراسة) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.

٢- الأمثال النبوية في صحيح البخاري (دراسة لغوية دلالية) لهاني طاهر محمد حسين.

٣- فقه الدعوة من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم، رسالة ماجستير لسارة بنت عبدالله جمعة البلوشي.

٤- فقه الدعوة إلى الله من خلال كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري، لعمر بن طه عبدالقادر السقاف.

وكل هذه المؤلفات يصعب العرض عنها لطبيعة هذا البحث، ولم تتناول ما أنا بصدهه بطريقة مباشرة، مما حدا بي إلى الاستمرار في مشوار هذا البحث سائلاً الله الإعانة والتوفيق.

وقد جعلت هذا البحث من تمهيد وستة مطالب:

التمهيد وفيه:

- المدخل للموضوع.
- حدود الدراسة.
- منهج البحث.
- أسباب اختيار الموضوع.
- الدراسات السابقة.

## أنواع الأمثال وأهميتها:

أولاً: أنواع المثل.

ثانياً: أهمية المثل.

تعريف المثل السائر.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانياً: تعريف المثل السائر اصطلاحاً.

بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية على ضوء الأحاديث النبوية

السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانياً: مقومات بناء شخصية الداعية في الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل،

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: إن من البيان لسحراً.

المطلب الثاني: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين.

المطلب الثالث: اشفعوا تؤجروا.

المطلب الرابع: اليد العليا خير من اليد السفلى.

المطلب الخامس: إنما الصبر عند الصدمة الأولى.

المطلب السادس: إن الدين يسرٌ.

ويلى ذلك خاتمة البحث، وفيها أهم النتائج، وثبت بالمصادر والمراجع المعتمدة

في البحث ، وفهرس الموضوعات.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن

يغفر لي ما شابته من نقص أو قصور، إنه سميع مجيب وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم.

## أنواع الأمثال وأهميتها

أولاً: أنواع المثل.

ثانياً: أهمية المثل.

أولاً: أنواع المثل:

تهدف هذه الفقرة إلى الإشارة - فقط - إلى أنواع المثل؛ سعياً للإبانة عن النوع المراد تناوله في هذا البحث، وهو من جملة أنواع كتب فيها المؤلفون والباحثون<sup>(١)</sup> فالأمثال كغيرها من فنون القول، فهي وإن درجت تحت اسم واحد إلا أنها تتنوع وتباين<sup>(٢)</sup> وهي:

النوع الأول: المثل الموجز السائر: وهو إما شعبي، لا تعمل فيه ولا تأتق ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابي، صادر عن ذوي الثقافة العالية، كالشعراء والخطباء كقولهم: "رب عجلة تمب ريثاً" أو "كالمستجير من الرمضاء بالنار"، ومما جاء في الحديث من هذا النوع قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحراً)).

النوع الثاني: المثل القياسي: سرد وصفي، أو قصصي، أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة ما، عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء، لتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين إلى الآخر، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهديب أو التوضيح والتصوير. وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير.

النوع الثالث: المثل الخرافي: وهو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان، لغرض تعليمي، أو فكاهي أو ما أشبه ذلك. كقولهم: "أكلتُ يوم أكل الثور الأبيض"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠).

(٢) انظر: من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، لنور الحق تنوير، نقلًا من نظرات فقهية في أمثال الحديث ص(٨١)، وينظر الأمثال في الحديث النبوي الشريف، د. محمد جابر العلواني ص(٤٠)، والأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك ص(٢٠) لمروان بن عبد الله بن محمد المحمدي.



## ثانياً: أهمية المثل:

تنبع أهمية المثل من إيصاله المقصود بأوجز عبارة وأجمعها، الأمر الذي يغني عن كثرة بيان وتضييع وقت الإنسان، مع سهولة حفظه وتداوله، قال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة" (١).

وقال ابن المقفع -رحمه الله-: "إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآتق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث" (٢).

قال الأبيشي -رحمه الله-: "اعلم أن الأمثال من أشرف ما وصلَّ به اللبيب خطابه، وحلَّى بجواهره كتابه. وقد نطق كتاب الله تعالى، وهو أشرف الكتب المتزلة بكثير منها، ولم يخل كلام سيدنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منها، وهو أفصح العرب لساناً، وأكملهم بياناً، فكم في إيراده وإصداره من مثل يعجز عن مباراته في البلاغة كل بطل" (٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "ففي الأمثال من تأنيس النفس، وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد، ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد، ومزكية له، فهي: ﴿كَرَّعَ أَخْرَجَ شَطْرَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ (٤)، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته" (٥).

وقال مصطفى عيد الصياصة: "وللمثل فوائد جمة لا تحصى، تناولها أصحاب

(١) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (٦/١) المقدمة.

(٢) نقلًا من كتاب مجمع الأمثال (٦/١) المقدمة.

(٣) كتاب المستطرف في كل فن مستطرف (٥٤/١).

(٤) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٠٦).

المصنفات وأرباب البلاغة والبيان بالذكر والشرح والتمحيص، فأطالوا الحديث ووصلوا البغية، ونحن بدورنا نحاول في هذه العجالة أن نجمل الأهم ونقف على الأعم من هذه الفوائد، والتي نراها في الآتي<sup>(١)</sup>.  
ولعل ما ذكر من الأنواع والأهمية فيه دلالة على الحاجة لمعرفة تلك الأمثال والإفادة منها في حياة الإنسان المسلم والداعية على وجه الخصوص.

(١) انظر: كتاب ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة، لمصطفى عيد الصياصة ص(٤٩).

## تعريف المثل السائر

أولاً: تعريف المثل السائر لغة.

ثانياً: تعريف المثل السائر في الاصطلاح.

أولاً: تعريف المثل السائر لغة:

قال ابن السكيت: المثل: لفظ يخالف لفظ المضروب له، ويوافق معناه معني ذلك اللفظ، شبهوه بالمثل الذي يعمل عليه غيره<sup>(١)</sup>.

وقال المبرد: المثل مأخوذ من المثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه<sup>(٢)</sup>.

وعند البحث عن المعنى اللغوي للمثل السائر، لم أجد تعريفاً مركباً، وجلُّ التعريفات مضمنة لتعريف المثل بعمومه، مع كون الأمثال كما قال ابن رشيق القيرواني: "المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً"<sup>(٣)</sup>.

ولذا قال الفاروقي: "إن المثل - بفتح الميم والثاء - في الأصل بمعنى النظر، ثم نقل منه إلى القول السائر - أي الفاشي - المُمَثَّل مَضْرِبُهُ بمورده، وهو من المجاز المركب"<sup>(٤)</sup>.

وسار الكلام والمثل في الناس: شاع<sup>(٥)</sup>.

ثانياً: تعريف المثل السائر في الاصطلاح:

(١) شرح التسهيل (١/٢٦٩).

(٢) شرح الأشمري (١/١٩٩).

(٣) العمدة في محاسن الشعر (١/٢٨٠)، نقلا من كتاب الأمثال في الحديث النبوي، د. محمد جابر العلواني ص (٤١).

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي محمد بن علي بن محمد الفاروقي (٤/١٣٤٠) نقلا من كتاب نظرات فقهية في أمثال الحديث ص (٧٩).

(٥) المعجم الصافي في اللغة العربية لصالح الصالح وزوجته أمينة الأحمد، مادة: سير ص (٢٨٢).

كما هو الشأن في التعريف اللغوي، فإن تعريف المثل السائر على وجه التحديد لم أجده قد حضي بتلك الخصوصية من بين تعريفات المثل، وقد عرفه الدكتور عبد المجيد قطامش بقوله: "هو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب. . . ." (١).

وجاء في تعريف المثل السائر في قاموس الأديان: " بأنه مقارنة أو تشبيه أو خطاب رمزي يهدف إلى تعليم الآخر حقيقة معينة" (٢).

ومن خلال الاستقراء يمكن أن يقال: إن المثل السائر: هو الأقوال والحكم والأشعار الموجزة التي شاعت بين الناس.

ولا يلزم أن تشبه حالة مضربه بحال مورده؛ لأن فيه تحذيراً وعظة (٣) أو ثناءً ودعوى للكمال (٤).

وأما ما نسميه المثل النبوي السائر فهو على اعتبار ما صار، حيث صارت العبارات التي قالها الرسول -صلى الله عليه وسلم- متداولة على الألسنة (٥).

(١) الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، عبد المجيد قطامش ص(٢٥-٢٦).

(٢) Robert- jacques, Thibault, Dictionnaire des religions, p ٢٠٧.

(٣) كما في قوله صلى الله عليه وسلم: (( لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

(٤) كما في حديث عبد الله بن عمر { أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (( إن من البيان لسحراً)).

(٥) الأمثال النبوية في صحيح البخاري دراسة لغوية دلالية، هاني طاهر محمد حسين ص(١٩).

## بناء الشخصية ومقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية

### على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية.

ثانياً: مقومات بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل.

أولاً: معنى بناء الشخصية وأهميته للداعية:

الإنسان ذلك المخلوق المكلف الميسر له ما في الكون ليقوم بواجب التكليف، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١) هو تلك الشخصية التي صورها الله سبحانه بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) أَلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَّلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رُبُّكَ (٨) (٢) فهو في هذا هيئة ظاهرة بها يعرف ويأخذ ويعطي، ومع هذا فلشخصية هذا الإنسان جانب آخر من السمات الفطرية والمكتسبة يتمايز بها إنسان عن آخر بعداً وقرباً من الشخصية السوية المدركة العاملة.

فالمراد بالشخصية: هي مجموعة الخصال والطباع المتنوعة الموجودة في كيان الشخص باستمرار، والتي تميزه عن غيره وتنعكس على تفاعله مع البيئة من حوله بما فيها من أشخاص ومواقف، سواء في فهمه وإدراكه، أو في مشاعره، وسلوكه وتصرفاته ومظهره الخارجي، ويضاف إلى ذلك القيم والميول، والرغبات والمواهب والقدرات والأفكار والتصورات الشخصية (٣).

والإنسان يتحمل مسؤولية بناء نفسه وهيئتها للحال والمآل، فسعى الأكثرون

(١) سورة الذاريات، الآية: (٥٦).

(٢) سورة الانفطار، الآيات: (٦-٨).

(٣) انظر: ما تحت الأقنعة ص(١٠).

إلى بناء أنفسهم ليكونوا في هذه الحياة الدنيوية على أفضل حال في معاشهم وعلاقاتهم وتأثرهم وتأثيرهم، وكان الإنسان المسلم فوق هذا ساعياً لبناء نفسه لما تصلح به دنياه لتكون مزرعة للآخرة التي يرى فيها حقيقة السعادة وكمال الحياة الطيبة، قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِي مَآءِآتِكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(١)</sup> وقال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

ولأهمية هذا البناء للإنسان فإنه من أولى ما تشغل به الأمم والمجتمعات، إذ الاستثمار في الإنسان هو الاستثمار الحقيقي الذي لا يعدله أي استثمار في مجال آخر.

وإذا كان هذا في شأن الأمم التي لا تعرف من الحياة إلا عالم المادة، وتنتهي عند الحياة الدنيوية الفانية، فكيف بالأمة التي اختارها الله لتكون خير أمة أخرجت للناس؟<sup>(٣)</sup>

إن بناء الإنسان هو في تكوين قلبه وتثقيف عقله وإرهاب وجدانه، ليكون تلك الشخصية الفاعلة المساهمة في بناء مجتمعا.

ولأهمية الدعوة إلى الله مسؤولية وأداءً، ولشرف وظيفة الدعوة إلى الله وسمو منزلتها، ولأهمية دور الداعية الفعال والمؤثر في تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية، ولما

(١) سورة القصص، الآية: (٧٧).

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٣) انظر: منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المرسي

ص(٧).

يناط به من مسؤوليات تجاه الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعاتٍ من تغيير وإصلاح ومواجهة للتحديات، فإنه لا بد من الاهتمام البالغ بإعداده وبناء شخصيته وفق منهج تربوي مستمد من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح<sup>(١)</sup>.

و الداعية إلى الله يشترك مع غيره في عوامل بناء الشخصية من ناحية قوة الشخصية، والإعداد العلمي وقوة التأثير بالمستهدفين، إلا أنه يفضل عن غيره بسمو المقصد وصدق المصدر، فمصادر بناء شخصيته: الكتاب والسنة أو ما صدر عنهما وما العوامل التي سأذكرها إلا دلالة واضحة على ذلك.

ثانيًا: عوامل بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل:

هذا المطلب هو أس البحث ودافعه، وبخاصة بعد الإشارة إلى البناء وأهميته في شخصية الداعية إلى الله، فعوامل البناء هي الباعث أو المؤثر في الشيء، فيقال: كثرة الإنتاج من عوامل الرخاء<sup>(٢)</sup>.

والعوامل المؤثرة كثيرة في حياة الإنسان، داخلية كانت أو خارجية، ولكني سأكتفي كما هي حدود الدراسة بعدد من الأحاديث النبوية مما في صحيح البخاري، إذ القرآن والسنة مصادر أصلية لبناء شخصية المسلم التي يجيها في طمأنينة ورضًا في محيطه الإنساني، ويظل مصغيًا لنداء المراقبة والمحاسبة في محيطه النفسي، غير هياب من عواصف الحياة، وغير قنوط من صدماتها<sup>(٣)</sup>.

ولكون الإنسان اجتماعي بطبعه فإن الداعية إلى الله حاجته أكثر من غيره لبناء شخصيته بما يناسب ومهمته العظيمة، فالأصل فيه أنه شخصية اجتماعية راقية،

(١) انظر: بحث مكمل لنيل درجة الماجستير، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، حنان بنت أبو بكر محمد فلاتة جامعة ام القرى كلية التربية.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مادة عمل (٦٢٨/٢).

(٣) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(٥).

كوّنتها مجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق، نطقت بها نصوص هذا السيد الخفيف من قرآن كريم وحديث شريف، وجعلت التخلق بها ديناً يثاب المرء عليه، ويحاسب على تركه، فاستطاعت بذلك أن تجعل من شخصية المسلم الصادق نموذجاً فذاً للإنسان الاجتماعي الراقى المهذب التقى الخير النظيف<sup>(١)</sup>.

ولذا فسأعرض لعدد من الأحاديث النبوية التي سارت مسار المثل ليجعل منها الداعية وسائل بناء في حياته الاجتماعية بين الناس ومن ذلك:

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، د. محمد علي الهاشمي ص(١٦٢).



## المطلب الأول

### « إن من البيان لسحراً »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه عبد الله بن عمر { أنه قدم رجلان من المشرق، فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن من البيان لسحراً - أو - إن بعض البيان لسحر))<sup>(١)</sup>.

وهذا المثل من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -صلى الله عليه وسلم-، قال العسكري -رحمه الله-: " أول من لفظ به النبي -صلى الله عليه وسلم-"<sup>(٢)</sup>

وقد فهم من هذا الحديث بعض العلماء أنه من باب الظم، وذهب أكثرهم إلى أنه من باب المدح، قال أبو هلال -رحمه الله-: " الصحيح أنه مدحه وتسميته إياه سحراً إنما هو على جهة التعجب منه؛ لأنه لما ذمَّ عَمَرُو الزُّبْرِقَانَ ومدحه في حال واحدة وصدق في مدحه وذمه فيما ذكر عجب النبي -صلى الله عليه وسلم- من ذلك كما يعجب من السحر فسماه سحراً من هذا الوجه وقد أجمع أهل البلاغة على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أرفع درجات البلاغة"<sup>(٣)</sup>.

قال الميداني -رحمه الله-: "يعني أن بعض البيان يعمل عمل السحر؛ ومعنى السحر: إظهار الباطل في صورة الحق، والبيان: اجتماع الفصاحة والبلاغة وذكاء القلب مع اللسن. وإنما شُبِّهَ بالسحر لحدَّة عمله في سماعه وسرعة قبول القلب له. يضرب في استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة"<sup>(٤)</sup>.

قال الخطابي -رحمه الله-: "البيان اثنان: أحدهما: ما تقع به الإبانة عن المراد

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب إن من البيان سحراً، (١٠/٢٣٧) رقم (٥٧٦٧).

(٢) جمهرة الأمثال ص (١١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) مجمع الأمثال (٧/١).

بأي وجه كان. والآخر: ما دخلته الصنعة، بحيث يروق للسامعين، ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر، إذا خلب القلب، وغلب على النفس، حتى يحول الشيء عن حقيقته، ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر في معرض غيره. وهذا إذا صرف إلى الحق بمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم"<sup>(١)</sup>.

### أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن من البيان لسحراً)) في المسائل التالية:

#### المسألة الأولى: أهمية الفصاحة والبيان:

البيان هو التبيين عما في النفس بالألفاظ الفصيحة البينة التي تأخذ بالمسامع والقلوب، فمتى استثمر الداعية حسن البيان لنصرة الحق والتأثير المباح بالمدعويين فإن هذا من المباح الذي لا شك فيه، على خلاف ما لو استثمر حسن بيانه وفصاحته بقلب الحقائق والتلبيس على الناس، فإن هذا مما حرم الله سبحانه وتعالى، وهو مذموم لا ممدوح. وقد يكون من أهل الباطل من هو كذلك، فلا يُبين تدليسه وتلبيسه إلاّ أهل الفصاحة والبيان من الدعاة الصادقين القادرين. ومتى كان الداعية في هذه الشخصية المؤثرة، فإن أثره واضح في نشر الحق ودحر الباطل.

#### المسألة الثانية: أهمية القصد في الكلام:

وكما أن جمال العبارة وتحليلتها بالاستشهادات المتنوعة يكسوها هيبه ويرفعها عند السامعين، فإن اختيار الوقت المناسب والاختصار على الموضوع المراد تناوله من أعظم المؤثرات؛ إذ الإطالة وتشتيت الذهن بتعدد الموضوعات التي يتناولها الداعية في مقام واحد تجعل المدعو قليل أو عديم الفائدة مما تم الحديث عنه، فإن من الأدب الإسلامي الرفيع القصد في الكلام، فهو سمة الشخصية المعتدلة، التي يتخلق صاحبها بالخلق الإسلامي النبيل، فيبدو رزيناً في مجلسه هادئاً في مشاعره، يكسوه

(١) فتح الباري (١٠/٢٣٧)، وينظر معالم السنن (٤/١٢٧).

الوقار، وتعلوه الهيبة، فلا ينطق لسانه بالقول في أي مجال، ولا يقحم نفسه في أحاديث الناس، فإن الكلام عند كثير من الناس شهوة من الشهوات، إذا استبدت بالإنسان أوردته موارد الهلاك، ولذا فقد عُنِيَ الإسلام - في بناء الشخصية - بالقصد في الكلام، كما هو خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعن عائشة رضي الله عنها: ((أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يحدث حديثاً لو عدّه العاُد لأحصاه))<sup>(١)</sup>.

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: ((أَلَا يُعْجِبُكَ أَبُو فَلَانٍ جَاءَ فَحَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الْحَدِيثَ كَسَرَدِكُمْ))<sup>(٢)</sup>.

وكما أن القصد في الكلام من الفصاحة والبيان فإن الإنسان أيضاً مؤاخذ على ما يتكلم به، قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (٥٦٧/٦) رقم (٣٥٦٧).

(٢) رواه البخاري واللفظ له. كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، (٥٦٧/٦) رقم (٣٥٦٨). رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي هريرة < (١٩٤٠/٤) رقم (٢٤٩٣).

(٣) سورة النساء، الآية: (١١٤).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٩).

### المسألة الثالثة: قوة عاطفة الداعية:

من المسلمّات أنه لا يؤثر إلا المتأثر الحامل لقوة العاطفة، فالداعية الناصح هو الذي يحمل همّ موضوعه ويلقيه على المستمعين في خطبة أو محاضرة أو كلمة عابرة، ومن حوله يشعر بتفاعله، فلا يثير الحماسة في قلوب السامعين إلا من امتلاً حماسة فيما يدعو إليه، واعتقاداً بصدقه؛ لأن ما يخرج من القلب يدخل القلوب بغير استئذان<sup>(١)</sup>.

وذكر الشيخ أبو زهرة -رحمه الله- جملة من الآداب الخطابية وهي:

أ - سداد الرأي: وقصد به أن يقوم الخطيب وهو الداعية بدراسة تامة للموضوع الذي يخطب فيه، فإن الرأي المحكم لا يكون إلا بدراسة عميقة، وإحاطة تامة، وإطلاع واسع، وعلم غزير، وفكر قويم.

ب - صدق اللهجة: . . . وهو أن يظهر الخطيب مخلصاً فيما يدعو إليه، حريصاً على الحقيقة فيما يعمل، فإنه إن ظهر كذلك، وثق الناس به، وصدقوه فيما يدعو إليه. . . فعن جابر -رضي الله عنه- قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساءكم))<sup>(٢)</sup>.

ج - التودد من السامعين: . . . ويكون ذلك بالتواضع لهم، وأن يكون ممن يألفون ويُؤلفون، فلا يكون جافياً خشناً قاسياً، وأن يمدح الجماعة التي يخاطبها، ويذكرها بأحسن صفاتها. . .<sup>(٣)</sup>.

(١) لمزيد معرفة للمؤثرات في حسن البيان وأدواته انظر: بحث التميز في الخطابة واللقاء، ففيه وسائل متنوعة في باها- نشر على موقع رابطة أدباء الشام.

(٢) تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ ص(٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٥٩٢/٢) رقم(٨٦٧).

(٤) انظر: الخطابة، الشيخ محمد أبو زهرة. ص(٥٠-٥٤).

المسألة الرابعة: حسن أسلوب الداعية سبب لتحقيق المطلوب:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى الله بوسائل الدعوة المختلفة: من خطابة ومحاضرة وكلمة، وكتابة، يحتاج إلى الأسلوب المؤثر الذي كسبه من بناءه لنفسه لحسن بيانه، وما الأسلوب إلا نتيجة لذلك البيان الذي جمع القصد وحسن العبارة في الكلام، وكم قرأنا لمن أخذ بنا حتى أكملنا مقولته مع فهم لمراده، كما هي حال الاستماع لأولئك الذين ملكوا حسن الأسلوب فأنصت لهم الجميع بالاختيار.

قال الدكتور أحمد غلوش بقوله: "وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب ان يكون الأسلوب كذلك، وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعة من المزايا من أهمها:

- (١) أن يكون الأسلوب متلائم الكلمات، متآلف التراكيب.
  - (٢) لا بد للأسلوب أن يكون جامعاً لعدد من فنون التعبير لينتقل بالسامع من فن إلى فن؛ طرداً للسأم.
  - (٣) . . . لا بد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس، وإظهار الألم غير إظهار الفرح" (١).
- ولعل فيما ذكر سبب من الأسباب المؤدية لبناء الداعية وهيئته للقيام بالمسؤولية على أحسن حال له وللمدعوين.

(١) قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيد، د. أحمد غلوش ص(٥٠-٥٤).

## المطلب الثاني

### « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير -رحمه الله-: "وهذا من الأمثال التي لم تسمع إلا منه -عليه السلام-"<sup>(٢)</sup>.

وبالنظر لمناسبة الحديث<sup>(٣)</sup> يتبين أن المسلم عمومًا والداعية على وجه الخصوص من المهم أن يكون على حذر من كيد الأعداء سائرًا على الحال التي قال بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن نفسه: "لست بالخب ولا الخب يخدعني"<sup>(٤)</sup>. قال الخطابي -رحمه الله- عند قوله -صلى الله عليه وسلم- « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »: هذا لفظه خير ومعناه أمر أي: ليكن المؤمن حازمًا حذرًا، لا يؤتى من ناحية الغفلة فيخدع مرة بعد أخرى، وقد يكون ذلك في أمر الدين كما يكون في أمر الدنيا وهو أولاهما بالحذر<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، (٥٢٩/١٠) رقم (٦١٣٣).

(٢) البداية والنهاية (٣/٣١٣).

(٣) وهو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أسر أبا عزة الجمحي ببدر، ثم من عليه، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال: "والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول: خدعت محمدًا مرتين، اضرب عنقه يا زبير"، فضرب عنقه. الروض الأنف (٣/٢٩٢).

(٤) رواه ابن عساکر، في تاريخ دمشق (١٠/١٩)، والمزي في تهذيب الكمال (٣/٤١٨)، من طريق ابن النور، من قول إياس بن معاوية رحمه الله بلفظ "لست بخبٍ، والخب لا يخدعني". وقد اشتهر نسبة الأثر لأمر المؤمنين، أبي حفص، عمر بن الخطاب < انظر: مجموع الفتاوى (٥/٢٦٥)، وإعلام الموقعين (٣/٢٤١).

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/١٧٣).

وقال النووي رحمه الله: "وقال القاضي يروى على وجهين أحدهما بضم الغين على الخير ومعناه المؤمن المدوح وهو الكيس الحازم الذى لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفتن لذلك وقيل إن المراد الخداع في أمور الآخرة دون الدنيا والوجه الثاني بكسر الغين على النهي أن يؤتى من جهة الغفلة"<sup>(١)</sup>.  
ثم قال: "وفيه أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية"<sup>(٢)</sup>.

الداعية إلى الله وهو يخالط الناس، وقد يرى منهم مزيد حفاوة وإكرام مطالب بالخطر من ذلك بالبعد عن العجب، وما مائله من الأمراض القلبية، وإن وقع فيه مرة فعليه الخذر من أن يلدغ مرة أخرى. مما يفسد عليه مقصده وإخلاصه، وكما هي حاله مع نفسه تكون حاله مع الآخرين، والتنبه لما قد يقع من بعضهم معه عن قصد أو غير قصد من استدراج في مسألة من المسائل، أو دخول في عالم المال مع من لا تحسن مخالطته مما يفسد عليه أثره في الناس؛ لفساد نفسه. وهكذا يتبين أضرار هذا الحديث السائر مسار المثل في بناء شخصية الداعية الاجتماعية.

#### أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)) في المسائل التالية:

#### المسألة الأولى: ألا يخدع الداعية نفسه:

الداعية إلى الله بقدر ما يكون يقظاً من بعض المدعويين فإنه من المهم أن يحذر من نفسه، من أن يوردها المهالك مما يفسد عليه قلبه من شهوة أو شبهة، ومتى ما كان حذراً ثم وقع فإن عليه العودة سريعاً إلى جادة الصواب فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، فأخلاق الداعية المسلم هي أخلاق الإسلام التي بينها الله تعالى في قرآنه وفصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم. في سنته، واصطبغ بها صحابته

(١) شرح صحيح مسلم، النووي (١٨ / ١٢٥).

(٢) المرجع السابق (١٨ / ١٢٥).

الكرام في سلوكهم، وهي لازمة لكل مسلم، وما عليه إلا أن يعرض نفسه عليها ليزن نفسه ليعلم ما عنده منها وما لم يصل إليه منها<sup>(١)</sup>.

ومن أوجب ما يجب على الداعية في هذه المسألة هو الصدق والأمانة إذ أن صفة الأمانة صفة أساسية من صفات الداعي إلى الله تعالى، وأنت إذا تأملت ما وجدتها صفة يشترك فيها جميع الأنبياء والرسل؛ لأنها لازمة للصدق فلا يتصور إنسان صادق غير أمين، أو أمين غير صادق، والصدق حلية الأنبياء وحلية الصالحين. . . .<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فإن للداعية مع نفسه موقفاً يتطلب منه ألا يخادعها ليخدع الآخرين فلا يتوهم أنه عالم بكل شيء أو أنه له أن ينقل الحكايات الواهية والمواقف الباطلة بحجة تأليف قلوب الناس، وهكذا فهو أمين في مصادره صادق في طرحه.

#### المسألة الثانية: ألا ينخدع من جهة الآخرين:

وللداعية مع المدعويين مواقف يجب أن يراعيها بناءً على هذا النص النبوي الكريم ومنها:

١- الحذر من بناء الأحكام على ما ينقله الأتباع أو المحبون بدون تثبيت حتى لا يضطر إلى التراجع أو نزع الثقة منه إن تكرر منه ذلك، ودليله في هذا قول الحق سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ تَدْمِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

٢- فقه مفهوم المؤامرة من الأعداء والخصوم، وأن يتعامل معها التعامل الشرعي القائم على الاعتدال والتوسط بين منزلة التهويل والتهوين<sup>(٤)</sup>.

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص(٣٤٦) فقرة (٥٤٧)، والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى،

د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني ص(١٢١).

(٢) انظر: الدعوة قواعد وأصول، د. جمعة أمين عبدالعزيز ص (٥٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية: (٦).

(٤) انظر: في هذا كتاب قيم لمعالي أ. د. علي إبراهيم النملة بعنوان "هاجس المؤامرة في الفكر العربي

بين التهوين والتهويل".



- ٣- لا بد أن يدرك الداعية الفرق بين الخوف والحذر من الأعداء فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>. وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٤- الحذر من الخديعة بالمال لشراء الذمم، فهي أخطر سلاح يفتك بالداعية وبخاصة إذا كان من أهل القضاء والمؤسسات الشرعية.
- ٥- قد يعفو الداعية خطأ من أخطأ عليه في نفسه أو ماله أو غير ذلك لكنه لا يقبلُ منه تكرار ذات الخطأ أو أي خطأ آخر يصدر من الشخص نفسه.

(١) سورة النساء، الآية: (٧١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٧٥).

## المطلب الثالث

### «اشفعوا تؤجروا»<sup>(١)</sup>

هذا القول السائر مسار المثل هو جزء من حديث رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذا جاءه السائل، أو طُلبت إليه حاجة قال: ((اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه -صلى الله عليه وسلم- ما شاء)<sup>(٢)</sup>.

والناس يتفاوتون في مدى التأثير، وكذا القبول منهم، والدعاة إلى الله واسطة عقد نفيس بين من لا يستطيع أن يبين عن حاجته لدى من تكون إليه، إما لضعف مكانته أو ضعف بيانه، فكان الدعاة إلى الله وهو المخالطون للناس العارفون لأحوالهم من أولى من يقوم بهذه المهمة النبيلة، وهذا من باب التعاون بين المسلمين، ولذا فقد بَوَّبَ البخاري رحمه الله- باباً سماه "باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً"<sup>(٣)</sup>، ثم أورد هذا الحديث ضمن أحاديث الباب. وبخاصة ما يكون منها في حق ولا يضر أحداً من الناس إذ الثانية محل ذم، كما قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ

(١) هناك التباس في الفرق بين الشفاعة والواسطة - اللفظة الدارجة في هذا الزمن- وحقيقة الأمر ان الشفاعة هي الواسطة: وقد قسمها القرآن إلى قسمين كما في ثنايا هذه الفقرة، فالواسطة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة. انظر: في هذا رسالة بعنوان "الواسطة، مفهومها، حكمها، أسبابها آثارها" من إعداد الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد، وينظر أيضاً ملخص بحث: الواسطة والمحسوبية وأثرها على الفرد والمجتمع، منشور على موقع الألوكة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها، (٣/٢٩٩) رقم (١٤٣٢).

(٣) كتاب الآداب (١٠/٤٤٩)

كَيْفَ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٨٥﴾<sup>(١)</sup>

قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم: هي في شفاعات الناس بينهم في حوائجهم؛ فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفْلٌ، وقيل: الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة في المعاصي، فمن شفع شفاعة حسنة ليصلح بين اثنين استوجب الأجر، ومن سعى بالنعيمة والغيبة أثم"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن حجر -رحمه الله- عن الحديث: " وفي الحديث الحضر على الخير بالفعل وبالتسبب إليه بكل وجه، والشفاعة إلى الكبير في كشف كربته ومعونة ضعيف، إذ ليس كل أحد يقدر على الوصول إلى الرئيس ولا التمكن منه ليلج عليه أو يوضح له مراده ليعرف حاله على وجهه، وإلا فقد كان -صلى الله عليه وسلم- لا يحتجب"<sup>(٣)</sup>.

### أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((اشفعوا توجروا)) في المسائل التالية:

#### المسألة الأولى: الداعية إلى الله ساع في الشفاعة وليس عليه تمام المقصود:

قال السعدي -رحمه الله-: " وهذا الحديث متضمن لأصل كبير، وفائدة عظيمة، وهو أنه ينبغي للعبد أن يسعى في أمور الخير سواء أثمرت مقاصدها ونتائجها أو حصل بعضها، أو لم يتم منها شيء. وذلك كالشفاعة لأصحاب الحاجات عند الملوك والكبراء، ومن تعلقت حاجاتهم بهم فإن كثيراً من الناس يمتنع من السعي فيها إذا لم يعلم قبول شفاعته. فيفوت على نفسه خيراً كثيراً من الله،

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) تفسير القرطبي(٢٩٥/٥).

(٣) فتح الباري(٤٥١/١٠).

ومعروفاً عند أخيه المسلم. فلهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم- أصحابه أن يساعدوا أصحاب الحاجة بالشفاعة لهم عنده ليتعملوا الأجر عند الله، لقوله: ((اشفعوا تؤجروا)) فإن الشفاعة الحسنة محبوبة لله، ومرضية له. قال تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾<sup>(١)</sup>، ومع تعجله للأجر الحاضر فإنه أيضاً يتعجل الإحسان وفعل المعروف مع أخيه، ويكون له بذلك عنده يد<sup>(٢)</sup>. وما قصة بريرة رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلا شاهد على ما ذكر فمع مكانة النبي -صلى الله عليه وسلم- في نفوس أصحابه وعامة أتباعه إلا أنه أعطى للشفعاء درساً بأن عليهم القيام بالمهمة ولو لم تتحقق الأمانة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها قال: قال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لو راجعتيه)) قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: ((إنما أنا أشفع)) قالت: لا حاجة لي فيه<sup>(٣)</sup>.

#### المسألة الثانية: الشفاعة حقٌّ للمشفوع له:

والدعاة إلى الله سبحانه وهم يعلمون هذا القول السائر مسار المثل من المهم أن يتمثلوه في واقعهم مع أهمية الحذر من الذين يطلبون الشفاعة في أمر سسيء من خلال التمويه على الداعية بصدق دعوهم، وهنا نذكر بالمثل النبوي المتقدم: ((لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)).

والسعي في حاجات الناس ومنها الشفاعة في قضاء حوائجهم لها أثر فاعل بالمدعويين، فشفاعة إنسان لآخر عند السلطان أو صاحب الجاه أو المنصب ليقضي له حاجته هي شفاعة في أمور الدنيا، وهي نوع من التعاون بين المسلمين، ووسيلة

(١) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٢) هجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار ص (٣٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في زوج بريرة، (٤٠٩/٩)

رقم (٥٢٨٣).

من وسائل الألفة والمحبة إذا كان المشفوع إليه يملك التصرف فيما طلب منه على مقتضى الأسباب العادية<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثالثة: نموذج لبازل الشفاعة من دعاة العصر:

واقعنا الحالي يؤكد على أن الباذلين للشفاعة في أوجه الخير هم أهل الحظوة والتقدير والقبول عند من يشفع لهم، أو يشفع لأحد لديهم، وما سماحة الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- إلا أنموذج في ذلك فكان -رحمه الله- لا يكل ولا يمل من بذل شفاعته، ولا يرد أحدًا يطلب منه الشفاعة الحسنة كائنًا من كان، وقد كتب إليه أحد المسؤولين وقال له: نرى أن لا تشغل نفسك بكثرة الشفاعات؛ فالدولة جعلت دوائر كثيرة، وكل يرجع إلى الجهة التي يتبعها.

فردَّ عليه سماحة الشيخ -رحمه الله- بقوله: أنا أشفع؛ استجابة لقوله سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله -صلى الله عليه وسلم-: «اشفعوا تؤجروا»، وأنا بشفاعتي أدلكم على الخير، وأرجو الأجر من الله؛ فإن استجبتم فأبشروا بالخير، وإن لم تستحيبوا فقد أديت ما عليّ، وأنا لا ألزم أحدًا. فقال ذلك المسؤول: اتركوه يشفع لمن شاء<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٦٤ سنة ١٤٢٢هـ، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية.

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٥).

(٣) انظر: كتاب جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، محمد بن إبراهيم الحمد (١/٢٩٨).

## المطلب الرابع

### «اليد العليا خير من اليد السفلى»

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه حكيم بن حزام -رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، وأبدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغسه الله))<sup>(١)</sup>.

ورد هذا الحديث هذا أيضاً فيما رواه عبد الله بن عمر { : ((أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال وهو على المنبر، وذكر الصدقة، والتعفف، والمسألة: ((اليد العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا: هي المنفقة، والسفلى: هي السائلة))<sup>(٢)</sup>.

فائدة إيراد هذه الرواية؛ لأن فيها بيان لمعنى اليد العليا، وكذا اليد السفلى، والذي قال عنه ابن حجر -رحمه الله-: " فهذا يشعر بأن التفسير من كلام ابن عمر، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبه من طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر { قال: " كنا نتحدث أن العليا هي المنفقة "<sup>(٣)</sup>.

### أثره في بناء شخصية الداعية الاجتماعية:

يظهر أثر هذا القول ((اليد العليا خير من اليد السفلى)) في المسائل التالية:

#### المسألة الأولى: غناء الداعية في نفسه:

الاستغناء عما في أيدي الناس من أقوى عوامل العزة والرفعة للإنسان عموماً فما بالك بالدعاة إلى الله سبحانه وتعالى وهم في موقع التأثير والسعي لهداية الدلالة والإرشاد، قال سفيان الثوري -رحمه الله-: " يا معشر القراء، ارفعوا رؤوسكم فقد

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٢٩٤/٣) رقم (١٤٢٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٢٩٤/٣) رقم (١٤٢٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٢٩٧/٣)، والمصنف لابن أبي شيبه، كتاب الزكاة، في الاستغناء عن المسألة،

رقم (٣٨/٧) (١٠٧٩٠).

وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس" (١).

### المسألة الثانية: التأكيد على أهمية البذل والإحسان للآخرين:

ومتى كان الداعية إلى الله غنياً في نفسه، مكثه ذلك من أن يكون صاحب اليد العليا حيث البذل والانفاق في سبيل الله مما تستجلب به النفوس الشاردة والمعرضة وما إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة إلا شاهد يؤكد على أثر المال في التأليف والدعوة إلى الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِمَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ (٢)، وعلو اليد هذه إنما هو من علو المجد والكرم، يريد به الترفع عن المسألة والتعفف عنها (٣).

وبذل المال ليس هو المهمة الأصل في حياة الداعية إلى الله وإنما عليه بذل العلم واستفراغ الجهد في الدعوة إلى الله، وما بذل المال إلا حالة استثناء، ليكون وسيلة لتحقيق المطلوب من أولئك الشاردين، الذين لا تستجلب قلوبهم إلا بهذا، وكما أنه استثناء في مهمة الداعية فهو استثناء أيضاً في حق المدعوين، فلا يستجلب به إلا أولئك الذين بهدایتهم تهتدي أقوامهم -ياذن الله-، وما المؤلفة قلوبهم إلا من أولئك.

### المسألة الثالثة: أثر ذلك على المدعوين:

ومن أهم ما يميز شخصية المسلم قدرته على توثيق العلاقات الإنسانية والاجتماعية، بينه وبين مجتمعه الذي يعيش فيه، وللعلاقات الطيبة النقية، أثرها الكريم، في غرس المودة في النفوس، وإشاعة الخير في المحيط الإنساني (٤).

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٨٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٦٠).

(٣) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ٢٩٥).

(٤) الإسلام وبناء الشخصية، أ. د. أحمد عر هاشم، المقدمة ص(١٢٦).

وقد سلك الإسلام باتباعه سبيل التعاون في علاقاتهم، وأرسى مبادئ الود والتواصل بين المسلمين، فشرع الهبة والهدية، جبراً للقلوب، وغرساً لأسباب المحبة والألفة بين الناس، كما حثَّ على قبول الهدية الخالصة النقية التي لا تشوبها شائبة، إذ إن لها أثرها في اقتلاع جذور الشر والكراهة، وتنقية النفوس من المشاعر السيئة<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن الداعية إلى الله متى ما استشعر ذلك وعمل به فإن أثره سيكون أكثر، ومقامه سيكون أعلى، وما الواقع المشاهد في حياة الناس إلا شاهد على هذا.

(١) المرجع السابق ص(١٢٨).



## المطلب الخامس

### « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بامرأة تبكي عند قبر فقال: « اتقي الله واصبري ». قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي -صلى الله عليه وسلم-. فأنت باب النبي -صلى الله عليه وسلم- فلم تجد عنده بوايين، فقالت: لم أعرفك. فقال: « إنما الصبر عند الصدمة الأولى »<sup>(١)</sup>.

الدعاة إلى الله وهم سائرون في ركب الدعوة حاملين ميراث النبوة، يحتاجون إلى بناء أنفسهم بناءً يتحملون معه المواقف التي قد تعرض لهم في مسيرتهم الدعوية وبخاصة ما يحمل طابع المفاجأة منها، وما ييئس المرجفون في المدينة ممن لا يخلوا منهم زمان ولا مكان، قال ابن القيم -رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "وقوله: ((الصبر عند الصدمة الأولى)) مثل قوله: ((ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه وقت الغضب))"<sup>(٢)</sup> فإن مفاجئات المصيبة بغتة لها روعة تززع القلب وتزعجه بصدمة، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه استدامة الصبر، وأيضاً فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه وهي الصدمة الأولى. وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها، وعلم أنه لا بد له منها فيصبر صبره شبيه الاضطراب. وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عنها شيئاً جاءت تعتذر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كأنها تقول له: قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى"<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، (١٤٨/٣)، رقم (١٢٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، (٥١٩/١٠)، رقم (٦١١٤)، ومسلم،

كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب، (٢٠١٤/٤)، رقم (٢٦٠٩).

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٧٩/١).

وكما أن الدعاة مشاعل هدى، فإنهم يقومون بواجب الطمأنة والتهدئة لمجتمعهم الذي يعيشون فيه تجاه ما قد يرد من أحداث وازمات قد تجعل الناس في حيرة وهلع وقنوط، فإذا كان الصبر لأي إنسان من لوازم بقائه وسيره في الحياة وبلوغ ما يريد، فإن الصبر أشد ضرورة للمسلم من غيره<sup>(١)</sup>.

ولعل أثر ذلك البناء للداعية يظهر في الفترتين التاليتين التي سأقصر الحديث عليهما نظراً لارتباطها بمجتمع الداعية مما يجعل الأثر أكثر وضوحاً، وإلا فخاصة النفس وما يعرض لها من منح ومحن تحتاج إلى صبرٍ عند أول وقوعها كما تحتاج إلى ملازمة الصبر عند ملازمتها للإنسان.

### أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول: ((إنما الصبر عند الصدمة الأولى)) في المسائل التالية:

#### المسألة الأولى: أهمية الصبر في حياة الداعية:

وذلك بالصبر على الدعوة ومشاقها وبالصبر على معارضة وأذى الآخرين، فالداعية إلى الله يدعو إلى الإيمان بالله تعالى وتوحيده والتزام أوامره والابتعاد عن نواهيه، يدعو إلى مكارم الأخلاق، يحبب إلى الخير الناس، ويأخذ بأيديهم إليه، ويجول بينهم وبين اغتيال الشياطين لهم، وهو كالطبيب، ولكنه يعالج النفوس والأرواح، ويجول بين الناس وبين الأمراض التي تؤدي بهم إلى خسارة الدنيا وخسارة الآخرة<sup>(٢)</sup>. وهو في هذه الحالة عرضة لمواقف المعارضين الذين يصحبون معارضتهم بالإساءة للمدعو ولزمه وهمزه وتجريجه سعيًا لاستفزازه، وإخراجه عن طوره، ومتى صبر في أول أمره هان عليه باقيه وزادهم غيظًا وحنقًا، أو حسن مراجعة منهم لما قاله ليكون هداية ورشدًا، وهذا منه كظم لغيظ، أراد بكظمه وجه

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان ص (٣٥٠).

(٢) مرشد الدعاة للشيخ محمد نمر الخطيب، ص (١١١).

الله، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣٣) ﴿١﴾.

وهي شجاعة لا يقدر عليها الكثير من الناس، وقد روى أبو هريرة -رضي الله  
عنها-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((ليس الشديد بالصرعة، إنما  
الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)) (٢).

إن القوة الحقيقية للإنسان تتجلى في موقفه من الأزمات ساعة احتدام  
الانفعالات، فالذي ينجح في مواجهة هذه الأزمات هو الإنسان القوي.

إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقرر أن الإنسان إنما يكون بإرادته لا  
بعضلاته فليس الشديد هو الذي يصرع الناس بقوته، لكن الشديد الذي يملك  
السيطرة على أعصابه، ويستطيع أن يتصرف التصرف الموزون اللبق في حالة  
الغضب والانفعال (٣).

وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٤)، قال الرازي -  
رحمه الله-: "أما قوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فاعلم أنه تعالى لما  
بيّن في أهل الاستثناء أنهم بإيمانهم وعملهم الصالح خرجوا عن أن يكونوا في خسر  
وصاروا أرباب السعادة من حيث إنهم تمسكوا بما يؤديهم إلى الفوز بالثواب  
والنجاحة من العقاب وصفهم بعد ذلك بأنهم قد صاروا لشدة محبتهم للطاعة لا  
يقتصرون على ما يخصهم بل يوصون غيرهم بمثل طريقتهم ليكونوا أيضا سببا  
لطاقات الغير كما ينبغي أن يكون عليه أهل الدين وعلى هذا الوجه قال تعالى: يا

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٣).

(٢) سبق تخرجه ص (٣٣).

(٣) خواطر في الدعوة إلى الله لحمد بن لطفى الصباغ ص (١٤٧).

(٤) سورة العصر، الآية: (٣).

أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا [التحريم: ٦] فالتواصي بالحق يدخل فيه سائر الدين من علم وعمل، والتواصي بالصبر يدخل فيه حمل النفس على مشقة التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابهم ما يحرم إذ الإقدام على المكروه، والإحجام عن المراد كلاهما شاق شديد<sup>(١)</sup>.

وصبر الداعية في هذه المواقف وأمثالها كان من سجايا أبناء مدرسة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس { قال: "قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فترل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله"<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام الغزالي -رحمه الله-: " ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل"<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الرازي (٣٢ / ٢٨١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٩٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)، (٣٠٤/٨).

رقم (٤٦٤٢).

(٤) إحياء علوم الدين (٣/١٨٧).

### المسألة الثانية: أهمية تحلي الداعية بالصبر وأثر ذلك على مجتمعه:

عندما يعصف بالمجتمع أو الأمة حوادث تتطلب الصبر والتأمل فإن الدعاة إلى الله مؤمل فيهم أن يكونوا في مقدم هؤلاء قدوة ومهدئة للمجتمع بعدم القلق والتوتر تجاه ما قد يرد من أحداث، فحقيقة شجاعة الداعية هي الصبر والتبيان والإقدام على الأمور النافعة، وتكون شجاعة الداعية في الأقوال والأفعال، ولا بد أن تكون شجاعته موافقة للحكمة، وأعظم ما يمد ويقوي شجاعة الداعية: الإيمان العميق، وقوة التوكل على الله، وكمال الثقة به سبحانه، ومعرفته لأحوال النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومواقفه في الشجاعة القلبية والعقلية<sup>(١)</sup>، فعن أنس رضي الله عنه -قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: ((لن تراعوا، لن تراعوا)). وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف فقال: ((لقد وجدته بحرًا)) أو ((إنه لبحرٌ))<sup>(٢)</sup>.

ومن المؤكد أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سمع الصوت كما سمعه أهل المدينة لكنه لم يخف كحال غيره ولذلك ذهب بشجاعة -صلى الله عليه وسلم- لمصدر الصوت، وعاد مطمئنًا من فرغ بأنهم لم يراعوا، وهي كلمة تقال عند تسكين الروع تأنيسًا وإظهارًا للرفق بالمخاطب<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني (١/٢٤٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، والسخاء، وما يكره من البخل، (٤٥٤/١٠) رقم (٦٠٣٣).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/٤٥٧).

## المطلب السادس

### « إن الدين يسر »

هذا القول السائر مسار المثل ورد فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة))<sup>(١)</sup>.

دين الإسلام الذي جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو دين اليسر والسماحة في أصله، وفيما يعرض لأتباعه من حرج ومشقة، فأما في الأصل فمظاهر يسره على خلاف ما سبقه من الأديان، وقد أورد البخاري -رحمه الله- هذا الحديث في "باب الدين يسر، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة))"، وقد علق ابن حجر -رحمه الله- على عنوان الباب قائلاً: "قوله باب الدين يسر" أي: أن دين الإسلام ذو يسر أو سمي الدين يسراً مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم"<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد ما ذكره ابن حجر -رحمه الله- ما ورد في صفة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، (٩٣/١) رقم (٣٩).

(٢) فتح الباري، ابن حجر (٩٣/١).

وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير -رحمه الله-: وقوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أنه جاء بالتيسير والسماحة، كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((بعثت بالحنيفية السمحة))<sup>(٢)</sup>. وقال لأمرية معاذٍ وأبي موسى الأشعري، لما بعثتهما إلى اليمن: ((بشرا ولا تنفرا، ويسرا ولا تعسرا، وتطاوعا ولا تختلفا))<sup>(٣)</sup>. وقال صاحبه أبو برزة الأسلمي -رضي الله عنه-: ((إني صحبت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وشهدت تيسيره))<sup>(٤)</sup>.

قد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسَّع الله على هذه الأمة أمورها، وسهلها لهم؛ ولهذا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تقل أو تعمل))<sup>(٥)(٦)</sup>.

ومما يدل على يسر وسماحة هذا الدين في أصله أن الله جلَّ وعلا لما أمر عباده بعدد من التكاليف ذكر لهم سبحانه أن في هذا يسراً لا حرج فيه ولا مشقة، قال

(١) سورة الاعراف، الآية: (١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند(٥/٢٦٦) رقم (٢٢٢٩١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، (٦/١٦٦) رقم(٣٠٣٨)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، (٣/١٣٥٩) رقم(١٧٣٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، (٣/٨٢) رقم(١٢١١).

(٥) رواه البخاري، كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق، (٩/٣٩٣) رقم(٥٢٦٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر، (١/١١٦) رقم(١٢٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/٢٦٥).

الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا ۖ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٨﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فِئْتَمِرَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

وكما هو دين اليسر والسماحة في أصله فهو دين اليسر والسماحة فيما يعرض للمسلم من حرج ومشقة في أداء عبادة من العبادات، فعن عمران بن حصين - رضي الله عنه- قال كانت بي بواسير فسألت النبي صلى الله عليه وسلم- عن الصلاة فقال: ((صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب))<sup>(٢)</sup>، بل إن الصيام وهو ركن من أركان الإسلام في حال العجز عن أدائه في وقته إما عجزاً مؤقتاً لسفرٍ أو مرضٍ يرجى برؤه فلا يصمه ويقضي لاحقاً، أو عجزاً كلياً لمرض لا يرجى برؤه فتقوم مقامه كفارة كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سور الحج، الآيتان: (٧٧، ٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يطق قاعداً صلى على جنب، (٢/ ٥٨٧)، رقم (١١١٧).

(٣) سور البقرة، الآيتان: (١٨٣، ١٨٤).



والحجُّ كذلك ركنٌ من أركان الإسلام يسقط عنمن لا يستطيع، ومتى ما استطاع أداءه ولو مات ولم يستطع فذمته بريئة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

أثره في بناء شخصية الداعية:

يظهر أثر هذا القول ((إن الدين يسر)) في المسائل التالية:

المسألة الأولى: أهمية فقه الداعية لمعنى يسر الدين:

فقه الداعية لمعنى يسر الدين أولى الخطوات العملية نحو تمثله في نفسه وفي دعوته إلى الله ﷻ، وبخاصة مع فقهه أن اليسر أصل في ديننا ومقصد من مقاصده لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٢) فمتى ما حقق المسلم الغاية - بفعل المأمور وترك المحذور - بأدنى درجات المشقة كان ذلك من تمام فهم يسر الدين.

فعن ابن عباس-رضي الله عنه- عن جويرة -رضى الله عنها-: ((أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت نعم قال النبي -صلى الله عليه وسلم- لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته)) (٣).

(١) سورة آل عمران، الآية: (٩٧).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التسييح أول النهار وعند النوم،

(٢٠٩٠/٤) رقم (٢٧٢٦).

وعند قول الله تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(١)</sup> قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كيف تجد تحته أنهم في سعة ومنحة من تكاليفه؛ لا في ضيق وحرَج ومشقة؛ فإن الوسع يقتضي ذلك فاقتضت الآية أن ما كلفهم به مقدور لهم من غير عسر لهم ولا ضيق ولا حرج؛ بخلاف ما يقدر عليه الشخص فإنه قد يكون مقدوراً له ولكن فيه ضيق وحرَج عليه، وأما وسعُهُ الذي هو منه في سعة؛ فهو دون مدى الطاقة والمجهود؛ بل لنفسه فيه مجال ومتسع وذلك مناف للضيق والحرَج"<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا فالذي يظهر بعد الاستقراء لمعنى اليسر أنه وسط بين الإفراط والتفريط، فدعاة التساهل والتخفف من التكاليف الشرعية سمو منهجهم تيسيراً أو وسطية، ودعاة التشدد والغلو زعموا أن منهجهم هو منتهى اليسر والسماحة، وهو المنهج الحق بالبعد عن تميع الدين والتساهل فيه، وكلا الفريقين قد جانب العدل في هذا قال ابن القيم -رحمه الله-: "وضابط هذا كله العدل، وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طَرَفَي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلا به. فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه أو نقص عنه ذهب من صحته وقُوَّتِه بحسب ذلك. وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهرة والأكل والشرب والجماع والحركة والرياضة والخلوة والمخالطة وغير ذلك، إذا كانت وسطاً بين الطرفين المذمومين كانت عدلاً وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصاً وأثمرت نقصاً"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا ففهم فقه يسر الدين من أولى أوليات الداعية ليقوم بواجب الدعوة على بصيرة من أمره، ويظهر معها حاجته لفقه قواعد الفقه وأصوله لِيُنزِلَ الأمر منزلة المناسبة له.

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٤ / ١٣٧).

(٣) الفوائد، ص (٢٥٣ - ٢٥٤).

### المسألة الثانية: أخذ الداعية نفسه بيسر الدين:

منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- هو المنهج الحق والذي يجب أن يُحتذى، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ﴾<sup>(١)</sup> لقد كان لكم - أيها المؤمنون- في أقوال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وأحواله قدوة حسنة تتأسون بها، فالزموا سنته، فإنما يسلكها ويتأسى بها من كان يرجو الله واليوم الآخر، وأكثر من ذكر الله واستغفاره، وشكره في كل حال<sup>(٢)</sup>.

والدعاة إلى الله الحاملون لميراث النبي -صلى الله عليه وسلم- سائرون على سبيله عليه الصلاة والسلام في حياته، فعن عائشة -رضى الله عنها- قالت: ((ما خيّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه))<sup>(٣)</sup>.

قال النووي -رحمه الله-: " قولها: ((ما خيّر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه)) فيه استحباب الأخذ بالأيسر والأرفق ما لم يكن حراماً أو مكروهاً. قال القاضي: ويحتمل أن يكون تخييره -صلى الله عليه وسلم- هنا من الله تعالى، فيخيره فيما فيه عقوبتان، أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة أو الاقتصار، وكان يختار الأيسر في كل هذا"<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((دعوني

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) التفسير الميسر (١/٤٢٠).

(٣) رواه مسلم كتاب الفضائل، باب مبادئه صلى الله عليه و سلم للأتباع واختياره من المباح أسهله،

(٤) (١٨١٣/٤)، رقم (٢٣٢٧).

(٤) شرح صحيح مسلم، النووي (١٥/٨٣).

ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))<sup>(١)</sup>.

قال ابن رجب -رحمه الله-: "وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم))، قال بعض العلماء: هذا يؤخذ منه أن النهي أشد من الأمر؛ لأن النهي لم يرخص في ارتكاب شيء منه، والأمر قيد بحسب الاستطاعة".

ثم قال -رحمه الله-: "والتحقيق في هذا أن الله لا يكلف العباد من الأعمال ما لا طاقة لهم به، وقد أسقط عنهم كثيراً من الأعمال بمجرد المشقة رخصة عليهم، ورحمة لهم، وأما المناهي، فلم يعذر أحد بارتكابها بقوة الداعي والشهوات، بل كلفهم تركها على كل حال"<sup>(٢)</sup>.

وقد جعل الله من الإنسان حكماً على نفسه فيما هو باستطاعته من الأعمال وهو جزء من الأمانة التي حملها الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد روت عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دخل عليها، وعندها امرأة قال: ((من هذه؟)). قالت: فلانة، - تذكر من صلاحها- قال: ((مه، عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا))<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب، باب الاقتداء بسنن رسول الله، (٢٥١/١٣)  
رقم(٧٢٨٨)، ومسلم، كتاب، باب توقيره -صلى الله عليه وسلم- وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، (١٨٢٩/٤) رقم(١٣٣٧).  
(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب (١/٩٥، ٩٦).  
(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).  
(٤) رواه البخاري، كتاب الأيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، (١٠١/١)، رقم(٤٣).

### المسألة الثالثة: دور الداعية في بيان يسر الدين:

الداعية إلى الله سبحانه وتعالى وهو السائر على نهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله حيث وضوح المنهج وظهور السبيل قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٨) (١).

والمتتبع لمنهج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يجد أن الدعوة إلى اليسر وعدم أخذ المدعويين بالشدة فيما يقومون به من عمل من الأعمال الصالحة هو السائر في حياته عليه الصلاة والسلام يتضح ذلك في أمور كثيرة ومنها:

#### ١ - الدعوة إلى بيان أن اليسر هو الأصل في دين الله:

يظهر هذا في تلك الآيات التي تم الاستشهاد فيها في هذه الفقرة من هذا البحث، وكذا ما جاء في نص الحديث المبحوث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الدين يسرٌ، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا)) إذ إن الهدى الصحيح أن يعمل الإنسان الشيء على وجه السداد والإصابة فإن لم يتيسر يقارب عمله للسداد والإصابة. عن عبد الله بن سعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((هلك المتنتعون قالها ثلاثاً)) (٢).

قال النووي -رحمه الله-: ((هلك المتنتعون)) أي المتعمقون الغالون المجاورون الحدود في أقوالهم وأفعالهم (٣).

وكما هي الدعوة القولية تكون من الدعوة العملية فهو محط أنظار المدعويين: وقد روى جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: ((كنت أصلي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الصبح فقلت يا رسول الله إنك تعلم ما أحب إليك من الدعوات فقال يا جابر إن أحب إليّ الدعوات التي هي باليسر والسهولة)) (٤).

(١) سورة يوسف، الآية: (١٠٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، (٤/٢٠٥٥)، رقم (٢٦٧٠).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي (١٦/٢٢٠).

عليه وسلم- الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث: استحباب القصد في الصلاة والخطبة وجميع الأمور<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - بيان خطأ من حمل نفسه على الشدة:

الداعية إلى الله وهو يدعو إلى يسر يدين ببيانه وأفعاله فقد يجد من رغب في الزيادة على هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- فتنطع في الأعمال والأقوال بسلامة نية وحسن مقصد، وهذا لا يكفي ما لم يتحقق شرط الاتباع لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وقد انكر عليه الصلاة والسلام على أولئك الذين سلكوا منهجاً خالف هديه، ولم يسألهم عن مقصدهم وحسن نيتهم، يتبين هذا في المثالين التاليين الذين يجعلهما الداعية نبراساً يستضيء به في دعوة الناس والإنكار عليهم بضوابط الإنكار وشروطه وهذين الحديثين هما:

- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- يقول: ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني))<sup>(٣)</sup>.

- وعن أنس -رضي الله عنه- قال: ((دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فإذا جبل ممدود بين الساريتين فقال: ((ما هذا الجبل))؟. قالوا: هذا جبل لزيب فإذا

(١) رواه مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (٢/ ٥٩١)، رقم (٨٦٦).

(٢) انظر: تطريز رياض الصالحين، الشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك (١/ ١١٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، (٩/ ١٠٤)، رقم (٥٠٦٣).

فترت تعلقت. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد))<sup>(١)</sup>.

### ٣ - بيان خطأ من ضيع شيئاً من شرائع الدين بحجة اليسر والتسامح:

وكما هو الإنكار على من حمل نفسه على التشدد يجب الإنكار على من ضيع شيئاً من أمور الدين بحجة التساهل، فالغلو في الدين هو الزيادة عن الحد المشروع فيه. . . ولكن هناك من هو على النقيض من غلو الزيادة في الدين؛ فهناك من غلا في التساهل والتسامح في الدين، ولا شك أن ديننا دين السماحة ورفع الحرج والاعتدال. ولكن يجب أن يكون هذا التسامح في حدود ما شرعه الله من الأخذ بالرخص الشرعية عند الحاجة إليها، والدين كله والله الحمد ليس فيه آصار ولا أغلال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>(٤)</sup>، ولكن الغلو في التسامح يكون بالخروج عما شرعه الله، وهذا لا يسمى تسامحاً، وإنما هو الحرج نفسه<sup>(٥)</sup>.

وفي ختام هذه الفقرة ناسب أن أعرض لما ختم به الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله- شرحه لهذا الحديث العظيم فقال -رحمه الله-:

فعلمت بهذا: أنه يؤخذ من هذا الحديث العظيم عدة قواعد:

القاعدة الأولى: التيسير الشامل للشريعة على وجه العموم.

القاعدة الثانية: المشقة تجلب التيسير وقت حصولها.

القاعدة الثالثة: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم.

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، (٣/٣٦)، رقم (١١٥٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٣) سور الحج الآية (٧٧، ٧٨).

(٤) سورة المائدة الآية (٦).

(٥) من مقالة لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، بعنوان "الغلو كما يكون في التشدد يكون في التساهل" منشور على موقع معاليه على الشبكة العنكبوتية.

القاعدة الرابعة: تنشيط أهل الأعمال، وتبشيرهم بالخير والثواب المرتب على الأعمال.

القاعدة الخامسة: الوصية الجامعة في كيفية السير والسلوك إلى الله، التي تغني عن كل شيء ولا يغني عنها شيء.  
فصلوات الله وسلامه على من أوتي جوامع الكلم ونوافعها<sup>(١)</sup>.

(١) هجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار ط الرشد ص (٦٨)



## الخاتمة

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد: فبعد بحث واستقراء لإعداد هذا البحث الذي أكتب خاتمته خلصت فيه إلى ما يلي:

- كثرة الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل في كتب السنة، ومع اقتصاري على صحيح البخاري والاكتفاء بستة أحاديث مراعاة لطبيعة البحث، فقد بقي منها بقية كثيرة منها على سبيل المثال: ((إذا لم تستحي فاصنع ما شئت))<sup>(١)</sup>، و((الناس معادن))<sup>(٢)</sup> و((إياكم والظن))<sup>(٣)</sup> وغيرها من الأحاديث.
- أهمية التوسع في الكتابة في هذا الموضوع نظراً لأهميته وكثرة تناوله من العامة والخاصة في عدة مجالات من حياتهم.
- وضوح أثر تلك الأحاديث في بناء شخصية الداعية الاجتماعية، سواء كان ذلك في خاصة نفسه، أو مع مجتمعه الذي يعيش فيه، أو مع المدعويين الذين يستهدفهم في دعوته.
- استهدفتُ الجانب الاجتماعي لكون الأصل في الداعية أنه محالط للناس ومشارك فاعل في قضايا مجتمعه.
- الداعية إلى الله مع سعيه لبناء شخصيته فإن عليه السعي لبناء شخصية المدعويين على ما علمه من فقه النصوص النبوية.

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت، (٥٢٣/١٠)، رقم (٦١٢٠).  
 (٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم )، (٥٢٩/٦)، رقم (٣٤٩٣).  
 (٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير، (٤٨١/١٠)، رقم (٦٠٦٤).

- بناء الداعية لشخصيته بناءً تأصيلٍ يجعله ألصق بالحق من غيره ممن سعى لبناء شخصيته على برامج ليست منبثقة من هذا الأصل العظيم.
  - أتمنى على الباحثين أن يدرسوا الأحاديث السائرة مسار المثل دراسة متعددة لبناء شخصية الاقتصادي والسياسي وغيرهم ممن يقومون بمهام تخدم المجتمع والأمة.
- والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

## فهرس المصادر والمراجع

١. الأبيشي شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح، المستطرف في كل فن مستطرف، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت.
٢. ابن أبي شيبة عبد الله بن محمد، المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، شركة دار القبل - جدة، مؤسسة علوم القرآن. بيروت، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
٣. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، الفوائد، تحقيق: بشير محمد عيون، الطبعة الأولى، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٤. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٥. ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب، عدة الصابرين، عالم الكتب، مكتبة المتنبي - القاهرة.
٦. ابن تيمية شيخ الإسلام أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٧. ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٨. ابن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر - بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٩. ابن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحوم، علي نجيب عطوي، فؤاد السيد، مهدي ناصر الدين، الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، مصر، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

١٠. ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١١. ابن مالك محمد بن عبد الله شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد ومحمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، القاهرة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (١٩٩٠م).
١٢. أحمد عمر هاشم، الإسلام وبناء الشخصية، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٣. أحمد فريد، تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، دار البخاري، بريدة، السعودية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٤. الأشموني علي بن محمد، شرح الأشموني لألفية ابن مالك، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (١٩٤٧م).
١٥. الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
١٦. آل مبارك فيصل بن عبد العزيز، تطريز رياض الصالحين، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
١٧. البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الجامع الصحيح، حسب ترقيم فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ. الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٨. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٩. تنوير نور الحق، من أمثال القرآن وأثرها في الأدب العربي إلى القرن الهجري، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
٢٠. الحمد محمد بن إبراهيم، جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، رواية: الشيخ محمد بن موسى الموسى، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
٢١. الخطابي أبو سليمان حمد، معالم السنن شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالسلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
٢٢. الخطيب محمد نمر، مرشد الدعاة، الطبعة الأولى، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٢٣. الرازي محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، - ١٤٢٠هـ.
٢٤. السعدي عبد الرحمن بن ناصر، بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخبار في شرح جوامع الأخبار، دار الزاحم.
٢٥. السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٦. الصالح صالح وزوجته أمينة الأحمد، المعجم الصافي في اللغة العربية.
٢٧. الصباغ محمد بن لطفي، خواطر في الدعوة إلى الله، الطبعة الأولى المكتسب الإسلامي - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٢٨. الصغير محمد بن عبد الله، ما تحت الأتعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٢٩. الصياصة مصطفى عيد، ظاهرة الأمثال في الكتاب والسنة وأثرها في تربية الجيل المسلم، الطبعة الأولى، دار المعراج الدولية، الرياض، ١٤١٢هـ.
٣٠. عبد المجيد محمود عبد المجيد، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، الطبعة الثانية، مكتبة البيان، الطائف، مكتبة السوادي، جدة، مكتبة الصديق، الطائف، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٣١. العسقلاني أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٣٢. العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، كتاب جمهرة الأمثال، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٣٣. العلواني محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد- الرياض، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٣٤. العيني محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٥. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٣٦. غلوش أحمد أحمد، قواعد الخطابة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٣٧. الفاروقي التهانوي محمد بن علي بن محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم
٣٨. فلاتة حنان بنت أبو بكر محمد، منهج التربية الإسلامية في إعداد الداعية في العصر الحاضر، جامعة أم القرى كلية التربية.
٣٩. القحطاني سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، الطبعة الأولى، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٤٠. القرطي محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٤١. القشيري مسلم بن الحجاج أبو الحسين، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٢. قطامش عبد المجيد، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، الطبعة الأولى، دار الفكر - دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٤٣. القيرواني الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
٤٤. المحمدي مروان بن عبدالله، الأمثال النبوية في الكتب الستة وموطأ مالك، (جمع ودراسة)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، السعودية، ١٤١٧هـ.
٤٥. المزني يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٤٦. الميداني أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٢م.
٤٧. النملة علي بن إبراهيم، هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهوين والتهويل، بيسان للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ.
٤٨. النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار الفكر، بيروت: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤٩. الهاشمي محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، الطبعة الخامسة، دار البشائر، بيروت: ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٥٠. هاني طاهر محمد حسين، الأمثال النبوية في صحيح البخاري (دراسة لغوية دلالية)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٥١. المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.
٥٢. منهج بناء الشخصية الإسلامية من الرضاعة إلى ما بعد الجامعة، إعداد مؤسسة المربي
٥٣. التميز في الخطابة واللقاء، بحث نشر على موقع رابطة أدباء الشام.



البحث رقم (٣)

**الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي  
لولده المشهورة بـ "لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"**

إعداد

د. خالد بن سعد الزهراني

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



## المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۖ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم- وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة آل عمران، آية ١٠٢.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان ٧٠-٧١.

(٤) هذه خطبة الحاجة. أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة الحاجة، برقم ٢١١٨، والترمذي، في جامعه كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، برقم ١١٠٦ وقال صحيح، والنسائي، كتاب الجمعة، باب الدنو من الإمام يوم الجمعة، برقم ١٧٠٩، وابن ماجه، كتاب النكاح، باب خطبة النكاح، برقم ١٨٩٣، وصححها الألباني في كتابه خطبة الحاجة ص: ٩.

يعتبر إبداء النصح والوصية للأهل والاحباب من أعظم ما يحقق الخير، ومن أعظم ما ينمي مشاعر الألفة والمحبة بينهم؛ وهو طريق لإيصال الحق؛ وهو سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من عباد الله الصالحين؛ قال تعالى مخبراً عن نبيه هود - عليه السلام-: ﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- النصيحة هي الدين، فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري -رضي الله عنه-، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٢)</sup> وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- " علموا أنفسكم وأهلكم الخير"<sup>(٣)</sup> وقد أرسى معالم النصح والوصية بالخير محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك حين أوصى ابنته فاطمة -رضي الله عنها- فقال " يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً"<sup>(٤)</sup>.

وقد أوصى النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن عمه عبد الله بن العباس فقال: "يا غلام أني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك."<sup>(٥)</sup> ومن هنا أردت أن أدرس هذه الوصية الرائعة التي قدمها ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه وفلذت كبده، واستنبط منها الدلالات الدعوية رجاء نفع نفسي ومن يطلع عليها من المسلمين.

(١) سورة الأعراف، آية ٦٨.

(٢) أخرجه مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ٥٥.

(٣) أثر صحيح أخرجه الحاكم ٤/٤٩٤.

(٤) رواه مسلم باب قوله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين " رقم ٢٠٤

(٥) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم :

٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرک

رقم: ٦٣٠٤.

**أهمية البحث:**

لهذا الموضوع أهمية كبرى أجملها في الآتي:

١. عظم شأن ومكانة الوصايا عامة ووصية ابن الجوزي لابنه خاصة.
٢. اتباع ابن الجوزي للسلف الصالح رحمهم الله في نصح الأبناء.
٣. التعرف على ما في نصيحة ابن الجوزي -رحمه الله- من الدلالات الدعوية الرائعة التي تنفع الناصح في نصحه.

**أهداف البحث وتساؤلاته:**

١. يهدف البحث لتحقيق ما يأتي:
٢. بيان مفهوم الوصية.
٣. إيضاح المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لابنه.
٤. إيضاح أسس منهج ابن الجوزي في وصيته وأساليبه.

**يجيب البحث على التساؤلات التالية:**

١. ما مفهوم الوصية عموماً؟
٢. ما المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي رحمه الله لابنه؟
٣. ما أسس منهج ابن الجوزي في وصيته، وأساليبه؟

**حدود البحث:**

ستكون حدود البحث وفق التمهيد والمباحث المحددة في خطة البحث.

**منهج البحث:**

سيكون المنهج المتبع في هذا البحث - إن شاء الله - قائماً على المنهج الوصفي،

بالإضافة إلى إتباع الخطوات المنهجية في كتابة البحث، وهي:

١. عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢. عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية من كتب السنة.
٣. عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة مع بيان اسم الكتاب والمؤلف.
٤. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
٥. لا أحيل في النصوص المقتبسة من الوصية، واكتفي بورد نص الوصية كاملة في أول البحث، كما أني اكتفيت بالتحريج والتصحيح والتضعيف، والاحالة في صلب الوصية فقط واطرك ذلك في الاقتباس.
٦. قد أكرر الشاهد من الوصية بحسب الحاجة "وهو قليل"، وأعلق على النص إذا رأيت الحاجة إلى ذلك.
٧. لا ألتزم بالتراجم للرجال الواردة أسمائهم في البحث خشية الإطالة.
٨. عمل الفهارس اللازمة كما هو موضح في الخطة.

#### خطة البحث:

يتضمن البحث مقدمة، وتمهيدا. ومبحثين، وخاتمة، والفهارس اللازمة،  
وفيما يأتي تفصيل ذلك: المقدمة تشتمل على:

- أهمية البحث.
- أهداف البحث.
- تساؤلات البحث.
- حدود البحث.
- منهج البحث.

التمهيد: ويشمل الآتي:

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً

ثانياً: تعريف الوصية في الشرع.

ثالثاً: تعريف الوصية في الاصطلاح:

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية

خامساً: أهمية وصية الأولاد ومشروعيتها.

سادساً: دليل مشروعية الوصية:

نص الوصية كاملة:

المبحث الأول: المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده.

المطلب الأول: المضامين العقدية.

المطلب الثاني: المضامين التعبدية

المطلب الثالث: المضامين الخلقية والسلوكية.

المطلب الرابع: المضامين العلمية.

المبحث الثاني: أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

المطلب الأول: الأسس البيانية.

المطلب الثاني: الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده.

المطلب الثالث: الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

الخاتمة.

الفهارس:

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

## التمهيد: مفهوم الوصية

أولاً: مفهوم الوصية لغة واصطلاحاً:

الْوَصِيَّةُ تطلق لغة ويراد بها معنيان: العهد، والوصل والاتصال.  
قال ابن منظور: (أوصى الرجل ووصاه عهد إليه)، فالْوَصِيَّةُ ما يُوصى به، أو ما أوصيت به، وجمعها وصايا<sup>(١)</sup> وأصلها: وصيتُ. ووصيتُ الشيء بالشيء أصيه من باب وَعَدَدَ: وصَلَّتْهُ<sup>(٢)</sup>، قال أبو عبيد وصيت الشيء ووصلته سواء<sup>(٣)</sup>. وصى إليه وله بشيء: جعله له، ووصى فلاناً وإليه: عهد إليه، ووصى فلاناً جعله وصيه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته، ووصى بالشيء فلاناً: أمره به وفرضه عليه، يقال وصى الله الناس بكذا وكذا<sup>(٤)</sup>، وأوصيتُ إليه بمال جعلته له، وأوصيته بولده استعطفته عليه وهذا لمعنى لا يقتضي الإيجاب<sup>(٥)</sup> وأوصى فلاناً إليه: جعله وصيه يتصرف في أمره وماله وعياله بعد موته وعهد إليه، وأوصى إليه وله بشيء: جعله له، وأوصى به فلاناً: استعطفه عليه، وأوصى فلاناً بالشيء أمره به وفرضه عليه يقال أوصى الله الناس بكذا وكذا<sup>(٦)</sup>، وأوصى الرجل ووصاه عهد إليه<sup>(٧)</sup>.

ثانياً: تعريف الوصية في الشرع.

تطلق الوصية في الشرع، ويراد بها عموماً أحدُ معنيين؛ خاص، وعام.

● فأما على المعنى الخاص: فتُعرّف بأنها "عهد خاص مضاف إلى ما

بعد الموت"<sup>(٨)</sup>

(١) لسان العرب ٢/٢٥٢٥، ١٥/٣٩٤، والمعجم الوسيط ٢/١٠٠، وتاج العروس ١/٨٦٤٨.

(٢) المصباح المنير ٢/٦٦٢.

(٣) تاج العروس ١/٨٦٤٨.

(٤) المعجم الوسيط ٢/١٠٠.

(٥) المصباح المنير ٢/٦٦٢.

(٦) المعجم الوسيط ٢/١٠٠.

(٧) لسان العرب ١٥/٣٩٤.

(٨) نيل الأوطار ١١/٢٥٣.



أو "الأمر بالتصرف بعد الموت والوصية بالمال هي التبرع به بعد الموت"<sup>(١)</sup> كأن يقول: إذا متّ فأعطوا فلانا من مالي كذا، أو أعطوا فلانا قطعة من أرض قدرها كذا. وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله جلّ شأنه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ بَرٌّ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ كَانَ لَهُنَّ الرُّبُوعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دِينٍ وَاللَّهُ بِمَا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دِينٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دِينٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: "ما حقُّ امرئٍ مسلمٍ يبني بيتاً ليلتين وله شيء يريد أن يوصيَ فيه إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه"<sup>(٤)</sup>، وقوله: "إننا لله أعطى كالذي حقّ حقه فلا وصية لو ارث"<sup>(٥)</sup>.

(١) العدة شرح العمدة ٥٥/٢.

(٢) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٣) سورة النساء آية ١٢.

(٤) متفق عليه رواه البخاري باب الوصايا رقم الحديث ٢٧٣٨، ومسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث ١٦٢٧.

(٥) رواه الترمذي باب ما جاء لا وصية لو ارث رقم الحديث ٢٠٤٧ وابن ماجه باب لا وصية لو ارث رقم الحديث ٢٧١٢.

• وأما على المعنى العام: فُتَعَرَّفَ بِأَنَّهَا "العهد بالشيء على وجه الاهتمام"<sup>(١)</sup>.

كما جاء في تفسير القرطبي: "الوصية الأمر المؤكّد المقرّر"<sup>(٢)</sup>.

وعرفها الحافظ ابن حجر فقال: "ما يقع به الزجر عن المنهيات والحثّ على

المأمورات"<sup>(٣)</sup>.

### ثالثا: تعريف الوصية في الاصطلاح:

عرفت الوصية في الاصطلاح بتعاريف عدّة منها:

عرّفها الرّاعب -رحمه الله- بقوله: " الوَصِيَّةُ التَّقَدُّمُ إِلَى الْغَيْرِ بِمَا يَعْمَلُ بِهِ

مُقْتَرِنًا بِوَعْظٍ"<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>.

وعرفها الألويسي -رحمه الله- بقوله: "هي التقدّم إلى الغير بفعل فيه صلاح

وقربة، سواء كان ذلك حالة الاحتضار أو لا، وسواء كان ذلك التقدّم بالقول أو

بالدلالة"<sup>(٦)</sup>. وقيل: "هي نوع من الأدب، غايته التوجيه والإرشاد، والحثّ على

اكتساب المحامد، أو التبصير بحسن السياسة، أو الدعوة إلى مكارم الأخلاق"<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر القول المفيد شرح كتاب التوحيد ٣٩/١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٤/٧.

(٣) فتح الباري ٤١٩/٥.

(٤) نقلا عن تفسير المنار ٣٣٢/٤.

(٥) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٦) روح المعاني ٣٨٩/١.

(٧) وصايا الأدياء والخلفاء والحكماء في العصر العباسي دراسة نقدية، لرونك توفيق ص ١٤.

فهذه التعاريف متقاربة، تبين أسس الوصية؛ حيث تقوم على التوجيه والإرشاد، لما فيه صلاح العبد، مقرونة بالوعظ والترغيب والترهيب.

رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بمصطلح الوصية:

#### ١- الموعظة:

الموعظة في اللغة تأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار، والنصح، والوعظ المقرون بالتخويف، والتذكير بعواقب الأمور<sup>(١)</sup>.

وفي الشرع: قال ابن القيم -رحمه الله-: "الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرغبة"<sup>(٢)</sup>، وقال القرطبي -رحمه الله-: «الموعظة الحسنة هي: الدعوة إلى الله عز وجل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف»<sup>(٣)</sup>.

الفرق بين الموعظة والوصية: أنهما يتفقان من حيث إن كلاهما أسلوب يهدف إلى إيصال الخير للغير والتوجيه والإرشاد ويختلفان من حيث إن الوعظ خاص بترقيق القلوب وهيئتها لقبول الحق، أما الوصية فهي الخير المراد إيصاله. ومنه جاء قول العرباض بن سارية -رضي الله عنه- قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودّع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ)<sup>(٤)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة ١٢٦/٦ لسان العرب ٤٦٦/٧ كتاب العين للفراهيدي ٢٢٨/٢

(٢) مفتاح دار السعادة ١٥٨/١ .

(٣) جامع الأحكام ٢٠٠/١ .

(٤) رواه الترمذي في الجامع باب ما جاء في الأخذ بالسنة واحتتاب البدع، حديث ٢٦٧٦ وقال:

حديث حسن صحيح ج ١ ص ١٥-١٦ وابن ماجه في سننه المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء

الراشدين المهديين حديث ٤٢ و٤٣. وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل ج ٨ ص ١٠٧-

١٠٩ برقم ٢٤٥٥.

## ٢- الإنذار:

الإنذار لغة: هو التخويف، والإعلام، والتحذير، والإبلاغ<sup>(١)</sup>  
 أما اصطلاحاً: فقد عرفه المناوي بقوله: "الإنذار: هو الإعلام بما يحذر، ولا يكاد يكون إلّا في تخويف يسع زمانه الاحتراز (منه)، فإن لم يسع كان إشعاراً"<sup>(٢)</sup>.  
 وقال الكفوي رحمه الله: "الإنذار: هو إبلاغ الأمر المخوف منه، والتّهديد (به)، والتّخويف منه، قال: وذكر الوعيد مع الإنذار واجب لا مع التّهديد"<sup>(٣)</sup>.  
 الفرق بين الإنذار والوصية: أن الإنذار لا يكون إلا منك لغيرك. وتكون الوصية منك لنفسك ولغيرك؛ تقول أوصيت نفسي كما تقول أوصيت غيري. ولا تقول أنذرت نفسي، ومنه قول الخطيب أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وهي من أركان الخطبة كما بين ذلك الإمام النووي رحمه الله<sup>(٤)</sup>.  
 والإنذار لا يكون إلا بالزجر عن القبيح وما يعتقّد المنذرُ قبحه؛ والوصية تكون بالحسن والقبيح لأنه يجوز أن يوصي الرجلُ الرجلَ بفعل القبيح، كما يوصي بفعل الحسن، ولا يجوز أن ينذره إلا فيما هو قبيح، وقيل النذارة نقيضة البشارة وليست الوصية نقيضة البشارة<sup>(٥)</sup>.

## ٣- النصيحة:

النصح في اللغة مشتقٌّ من: نصح، ينصح، نصحا، ونصيحة<sup>(٦)</sup>.  
 قال ابن فارس: النون والصاد والحاء أصل يدل على ملامة بين شيئين، وإصلاح لهما"<sup>(٧)</sup>.

(١) لسان العرب ٢٠٠/٥ وتاج العروس ٢٠١/١٤.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٦٤.

(٣) الكليات للكفوي ١/ ٣٣٨.

(٤) انظر المجموع ٤ / ٣٤٩ .

(٥) معجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٢.

(٦) لسان العرب ج ٢ ص ٦١٥.

(٧) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٣٤٨.

والناصح: الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكلُّ شيء خَلَصَ فقد نَصَحَ. وانتَصَحَ فلانٌ: أي قبل النصيحة، ومنه التوبة النصوح، وهي الصادقة<sup>(١)</sup>. فمدار النصح في اللغة على الإخلاص والصدق.

أما في الاصطلاح: قال القرطبي رحمه الله: (النصح هو: خلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة بخلاف الغش)<sup>(٢)</sup>.

وقال النووي رحمه الله: (النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه، فشبّه الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلال الثوب.

قال: وقيل إنها مأخوذة من نصحت العسل إذا صفيته مسن الشمع، شبهه والتخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط)<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن رجب رحمه الله: "النصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً"<sup>(٤)</sup>.

### الفرق بين النصيحة والوصية:

بين النصيحة والوصية تقارب في المعنى، فجميعها يراعى فيه إرادة الخير للمنصوح أو الموصى ودعاؤه إلى ما فيه صلاحه، بيد أن النصيحة يراعى فيها قيد الإخلاص وضدّها الغش، أما الوصية فيراعى فيها المحبة والتأكيد ومزيد الاهتمام، وكلاهما يقتضي طرفين أحدهما معطٍ والآخر متلقٍ فالمعطي هو الناصح أو الموصي، أما المتلقّي فهو المنصوح أو الموصى، أما في التواصي فإن كلا الطرفين معطٍ ومتلقٍ في آن واحد، لأنه يوصي غيره ويوصيه غيره في حال حياتهما<sup>(٥)</sup>.

(١) الصحاح ج ٢ ص ٢١١.

(٢) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ج ٧ ص ٢٣٤.

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ج ٢ ص ٣٧.

(٤) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ص ٧٦.

(٥) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ٣٤٨٩/٨.

## خامساً: أهمية وصية الأولاد

كما أن للوالدين على الأولاد حقاً فكذلك على الوالدين حق للأولاد، وكما أن الله عز وجل أمرنا ببر الوالدين أمرنا كذلك بالإحسان إلى الأولاد، فالإحسان إليهم والحرص على تربيتهم هو من أداء لأمانة، وإهمالهم والتقصير في حقوقهم غش وخيانة. وتكمن أهمية وصية الأولاد فيما يلي :

١- أنها منهج الأنبياء مع أولادهم عليهم الصلاة والسلام فهذا إبراهيم، ويعقوب عليهما السلام يوصيا أبناءهما. ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢) <sup>(١)</sup> وقوله تعالى في يعقوب -عليه السلام- حين أوصى بنيه عند موته بقوله: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣) <sup>(٢)</sup>.

٢- أنها اقتداء بال صالحين والعلماء، فقد وصى لقمان الحكيم عليه السلام ابنه، ووصى الصحابة أولادهم، وكذلك التابعين ومن سار على هذا النهج إلى يوم الدين <sup>(٣)</sup>، وقد أمرنا الله تعالى بالاقتداء بهدي السلف الصالحين، قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ

(١) سورة البقرة آية ١٣٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٣ .

(٣) من وصايا السلف لأبنائهم والتي حفظتها كتب التراجم والتواريخ:

١- فمن الصحابة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن وقاص، والعباس بن عبد المطلب، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك، ومعاذ بن جبل، وعمير بن حبيب، وعقبة بن عامر، وعدي بن الحيار.

٢- ومن التابعين ومن تبعهم: زين العابدين، وعبد الملك بن مروان، وعروة بن الزبير، وطاووس بن كيسان، وعمر بن عبد العزيز، ووهب بن منه، وأكثم بن صيفي، وخالد بن صفوان، وعيينة بن أبي عمران، وعلقمة العطاردي، وأبو الأسود الدؤلي، وأسماء بن خارجة، والأشعث بن قيس، وصية وأبو الوليد الباجي (رحمهم الله أجمعين). انظر هذه الوصايا في كتاب: من وصايا الآباء للأبناء، لوائل بن حافظ بن خلف.

الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهْدِيهِمْ فَأَتَدِيَهُ ﴿١﴾ .

٣- أن الوصايا نوع من أنواع التأديب والتربية القائم على النصح والإرشاد، وهو واجب شرعي على كل من تولى رعاية، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من عبد استرعه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة)<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن القيم -رحمه الله-: "قال بعض أهل العلم إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده فإنه كما أن للأب على ابنه حقا فللابن على أبيه حق فكما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِنْ مَرَّ بِكُمْ فَايْتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾"<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٤﴾﴾ . أي علموهم وأدبوهم... فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم)<sup>(٣)</sup>.

٤- أنها أداء لواجب الشكر لله عز وجل على نعمة الولد، وتعاهد بما يكون سبباً في نماء هذه النعمة وصلاحها، فإن لم يتعاهدها بالنصح والتوجيه فإنها تنقلب عليه نقمة، ويصير الولد عدواً.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فمن أهم لتعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسنته فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم

(١) سورة الأنعام آية ٩٠.

(٢) رواه البخاري باب من استرعي رعية فلم ينصح رقم الحديث ٦٦١٧.

(٣) سورة لقمان آية ٨.

(٤) سورة التحريم آية ٦.

(٥) تحفة المولود بأحكام المولود ص ٢٢٩.

ينفعوا آباءهم كبارا كما عاتب بعضهم ولده على العقوق فقال يا أبت إنك  
عققتني صغيرا فعققتك كبيرا وأضعنتني وليدا فأضعتك شيخا<sup>(١)</sup>.

وقد دأب العلماء في شكر هذه النعمة وكتابة الوصايا للأبناء، ومن ذلك ما  
كتبه عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى ابنه عبد الملك عندما كان في المدينة  
بوصية قال فيها: (أما بعد. فإن أحق من تعاهدت بالوصية والنصيحة بعد نفسي  
أنت، وإن أحق من وعى ذلك وحفظه عني أنت. إن الله له الحمد قد أحسن إلينا  
إحسانا كبيرا بالغا في لطيف أمرنا وعامته، وعلى الله إتمام ما غير من النعمة، وإياه  
نسأل العون على شكرها. فاذكر فضل الله عليك وعلى أهلك)<sup>(٢)</sup>.

وقد صرح ابن المقفع بأن واجب الشكر هو الوصية للابن حيث قال: (أي بني  
لما بشرني المولى تعالى بوجودك، ومن علي بعطائك، وقد أبلغك إلي هذه السنن  
والحد والرتبة بأن صرت مستعدا لقبول الآداب وقابلا لعدة الفضل، فقد وجب  
علي أن أودي شكرا للخالق عز وجل على هذه الموهبة الهنية والعطية السننية،  
وعمقتضى قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، أطلب بأداء الشكر مزيد  
الاستماع والانتفاع ببقائك)<sup>(٤)</sup>.

٥- أن في الوصية للأبناء سبيل للانتفاع بهم بعد موت العبد، لذلك يقول النبي  
صلى الله عليه وسلم: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من  
صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)<sup>(٥)</sup>.

فمن أحسن تربية ابنه ووجهه ونصحه وأوصاه فإنه سيكون له ويأذن الله عمل  
صالح يجري له بعد موته.

(١) المرجع السابق ص ٢٢٩

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) سورة إبراهيم آية ٧

(٤) الأدب الوجيز للولد الصغير لابن المقفع ص ٣

(٥) رواه مسلم باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد الوفاة رقم الحديث ١٢٩٧.



٦- أن نصح الولد علامة لحب الوالد له، ودليل على إثارة والإشفاق عليه والرحمة به، وإرشاده إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة.

٧- أن بعض الأسر تميزت بالعلم والشرف والسؤدد فتريد أن يستمر ذلك في نسلها جيلا بعد جيل فيحرصون على تعليم الأبناء ما ينفعهم، ويجعلهم خير خلف لخير سلف، قال الألويسي رحمه الله:- (تواصي الأنبياء باستمساك السدين الحسق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمية والشرع المستقيم نسلا بعد نسل)<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك وصية الباجي رحمه الله- لولديه: (وأعلما أننا أهل بيت لم نخلُ بفضل الله ما انتهى إلينا منه من صلاح وتدين وعفاف وتصادق)<sup>(٢)</sup>، فأهل العلم والشرف ما فعلوا ذلك إلا ليستمر الفضل والشرف في أعقابهم بفضل الله ثم بفعل الأسباب مثل الوصية.

٨- للوصية الصادقة تأثير بالغ في النفس وهي دافع قوي لتنفيذ الموصي به.

٩- الوصية وسيلة من وسائل التقوى والتذكر والتعقل، وهي من أعظم الأساليب التربوية والتقويمية.

١٠- من الحكمة في تشريع الوصية أنها تبرأ بها ذمة الموصي مما يحدث بعد موته وبخاصة إذا كان في أماكن يكثر فيها الجهل بعقيدة التوحيد، وتنتشر فيها البدع والمخالفات.

### سادساً: دليل مشروعية الوصية:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، على مشروعية الوصية عامة - سواء الوصية المالية أو الوصية التأديبية الوعظية - وعلى مشروعيتها انعقد إجماع الأمة "ولن أستطرد فيها لشهرتها".

(١) روح المعاني للألويسي ٣٨٩/١.

(٢) وصية الباجي لولديه ص ٣٦.

أما دليل الكتاب: في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُنْفِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةَ يُوْصِيكَ بِهَا أَوْ دَيْنًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضاً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهْدَةً بَيْنَكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا آتَيْنَاهُمُ مِنْ نَّبِيِّنَا أَنْ لَا تَقُولُوا لِمَا كُنَّا نَقُولُ لَوْلَا أَعْطَيْنَا كُنُوزَهُمْ فَكُلَّمَا مَرَدُّوا إِلَيْهَا قَالُوا لَوْلَا أَعْطَيْنَاهُمْ ذَلِكَ إِنْ كُنَّا مُّؤْتِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وأما دليل مشروعيتها من السنة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول ذلك إلا وعندي وصيتي)<sup>(٥)</sup>.  
أما عن الإجماع: فقد نقل ابن قدامة في المغني الإجماع على جواز الوصية حيث قال: (وأجمع العلماء في جميع الأمصار والأعصار على جواز الوصية)<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة البقرة آية ١٨٠.

(٢) سورة النساء آية ١١.

(٣) سورة المائدة آية ١٠٦.

(٤) البقرة آية ١٣٢.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري باب الوصايا ٢٥٣٣، مسلم باب الوصية بالثلث رقم الحديث

٣٠٤٧.

(٦) المغني ٨/٣٩٠.

## نص وصية ابن الجوزي لابنه<sup>(١)</sup>: "وعليها مدار البحث".

(١) وابن الجوزي اسمه: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق-خليفة رسول الله القرشي التيمي البكري ثم البغدادي الفقيه الحنبلي الواعظ صاحب التصانيف المشهورة، كنيته: أبو الفرج، لقبه: لقب بجمال الدين، غير أنه اشتهر بابن الجوزي نسبة إلى جده الأكبر (جعفر بن عبد الله) وهو الجد التاسع فهو الذي لقب بالجوزي، واختلف المؤرخون في سبب نسبة ابن الجوزي: فمنهم من قال: إن جده جعفرًا نسب إلى فرضة من فرض البصرة يقال لها: جوزة وقيل: إن جده جعفرًا نسب إلى محلة تسمى محلة الجوز، وقيل غير ذلك. ولد ابن الجوزي بدر بن حبيب ببغداد. واختلف في تاريخ ولادته فقيل: سنة ٥٠٠هـ، وقيل: سنة ٥٠٩هـ، وقيل: سنة ٥١٠هـ. نشأ على حب العلم فيقول -رحمه الله-: "فأقول عن نفسي وما يلزمي حال غيري: أني رجل حيب إلي العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به، ثم لم يجب إلي فن واحد منه، بل فنونه، ثم لم تقتصر همتي في فن على بعضه، بل أروم استقصاءه...". حتى تجاوزت مؤلفاته (١٠٠٠) مؤلفا كما قال ابن تيمية -رحمه الله-، توفي ليلة الجمعة بعد المغرب في الثانية عشر من شهر رمضان المبارك سنة سبع وتسعين وخمسمائة (٥٩٧هـ) بالجانب الغربي من مدينة السلام، بدار له قريبة من قبر معروف الكرخي انظر: طبقات المفسرين ١/٢٧٦. ورحله ابن حسير ص ١٩٦. وتذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢. وذيل طبقات الحنابلة ١/٤٠٠، الأنساب ٣/٣٦٦. وشذرات الذهب ٤/٣٣٠. وذيل طبقات الحنابلة ١/٤٠٠، وفيات الأعيان ٣/١٤٢. وصيد الخاطر (ص٧٦-٧٧).، وابنه هو بدر الدين أبو القاسم علي ابن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن علي بن محمد بن علي الجوزي، ولد في رمضان عام ٥٥١هـ — انظر سير الأعلام ج ٢٢/٣٥٢، عرف عنه طلب العلم الشرعي، وهو صحيح السماع ثقة كثير المحفوظ حسن الإيراد صاحب دعاية وطرفة "انظر سير أعلام النبلاء ج ٢٢ ص ٣٥٣، والسبب في نصح ابن الجوزي ابنه أن بدر الدين قد ترك الوعظ وطلب العلم وانتكس على عقبه، ولزم البطالة واشتغل فيما لا يجوز بل كان يسرق من كتب أبيه، وقد قيل أن أباه كان يدعو عليه، قال ابن النجار "سمعت أباه يقول إني لأدعو عليه كل ليلة وقت السحر" أ.هـ، وهذا قيل ان يُرزق ابن الجوزي بأخيه يوسف محي الدين عام ٥٨٠هـ وكان بارا بأبيه وعلما، قال عنه ابن السباعي: " وهو من العلماء الأفاضل، والكبراء الأمثال، أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل. ظهرت عليه آثار العناية الإلهية، منذ كان طفلاً. فعني به والده. وأسمعه الحديث، ودربه من صغره في الوعظ، ويورك له في ذلك. وصار له قبول تام، وبانت عليه آثار السعادة." انظر ذيل طبقات الحنابلة ج ١ ص ٢٨٧، والعجيب في الأمر ان هذا الابن أقصد بدر لم يستفد من هذه النصيحة بل استفاد منها أخو يوسف.

الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من التراب والأصلاب، وعضد العشائر بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرفان الصواب، أحسن التربية في الصغر وحفظ في الشباب، ورزقنا ذرية نرجو بهم وفور الثواب ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾ (٤) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿١﴾ أما بعد .

فإني لما عرفت شرف النكاح وفضل الأولاد، ختمت ختمةً وسألت الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم فكانوا خمسة ذكورا وخمسة إناثا، فمات من الإناث اثنتان ومن الذكور أربعة، ولم يبق لي من الذكور سوى ولدي أبي القاسم، فسألت الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يبلّغني فيه المسنى والمناجح. ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجدِّ في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالة أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم، وأدله على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفق ولا مرشد لمن أضل، لكن قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّيْرِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ لِنَفْعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٣). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فصل في فضل العقل ومسؤولية التكليف والحث على طلب الفضائل:

اعلم يا بني - وفقك الله للصواب - أنه لم يميِّزِ الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعمل فكرك، واحل بنفسك، تعلم بالدليل أنك مخلوق مكلف وأن عليك فرائض أنت مطالب بها، وأن الملكين عليهما السلام يحصيان ألفاظك ونظراتك، وأن أنفاس الحي خطوات إلى أجله، ومقدار اللبث في الدنيا

(١) سورة إبراهيم آية ٤٠/٤١.

(٢) سورة العصر آية ٣.

(٣) سورة الأعلى آية ٩.

قليل، والحيس في القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل، فأين لذة أمس؟ قد رحلت وأبقت ندماً، وأين شهوة النفس؟ نكست رأساً وأزلت قدماً. وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه، ولا شقي من شقي إلا بإيثار دنياه، فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك؟ بقي الثواب الجزيل والذكر الجميل لل صالحين، والمقالة القبيحة والعقاب الويل للعاصين، وكأنه ما شيع من شيع، ولا جاع من جاع. والكسل عن الفضائل بئس الرفيق، وحب الراحة يورث من الندم ما يربو على كل لذة، فانتبه وأتعب نفسك، واعلم أن أداء الفرائض واجتناب المحارم لازم، فمتى تعدى الإنسان فالنار النار. ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا، ومنهم من يراها التشاغل بالتعب، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل، فإذا حُصلاً رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحرّكاه إلى محبته وخشيته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كل مرید مراداً، ولا كل طالب واجداً، ولكن على العبد الاجتهاد، وكل ميسر لما خلق له<sup>(١)</sup>، والله المستعان.

### الواجبات والفضائل والهمة العالية:

وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة والأرض موضوعة، وشاهد الأبنية المحكمة، خصوصاً جسد نفسه، علم أن لا بد حينئذ للصنعة من صانع، وللمبني من بان. ثم يتأمل دليل صدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إليه، وأكبر الدلائل القرآنية الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله. فإذا ثبت عنده وجود الخالق وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وجب تسليم عنايه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خلل في اعتقاده. ثم ينبغي له

(١) إشارة إلى حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم - أخرجه البخاري باب موعدة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله رقم ١٣٦٢.

أن يعرف ما يجب عليه من الوضوء والصلاة، والزكاة إن كان له مال، والحج، وغير ذلك من الواجبات، فإذا عرف قدرَ الواجب وقام به فينبغي لذي الهمة أن يترقى إلى الفضائل، فيتشأغل بحفظ القرآن وتفسيره، ومجديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وبمعرفة سيره وسير أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف من اللغة مستعملٍ والفقهُ أم العلوم، والوعظُ حلواؤها وأعمها نفعاً. وقد رتبتُ في هذه المذكورات وغيرها من التصانيف ما يغني عن كل ما سبق من تصانيف القدماء وغيرها، بحمد الله ومنته (١)، فأغنيك عن تطلبِ الكتب، وجمعِ الهممِ للتصنيف. وما تقف همة إلا لخساستها، وإلا فمتى علتِ الهمة لم تقنع بدون. وقد عرفتُ بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصرُ بعضُ الهمم في بعض الأوقات، فإذا حُتت سارت. ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم، أو كسلأ فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته، ومن الذي أقبل عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائسدة؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟ أو ما سمعت قول الشاعر (٢):

بالليل ما جئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تُطوى لي  
ولا ثبَّت العزمَ عن بابكم إلا تعثرتُ بأذيالي  
فصل واتقوا الله ويعلمكم الله :

وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلمح كيف حفظك لها؟ فإنه من راعى روعى، ومن أهمل تُرك، وإني لأذكر لك بعض أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي،

(١) قال الحافظ الذهبي رحمه الله: "وما علمت أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل" التذكرة ص ١٣٤٤.

(٢) هذه الايات منسوبة للمرتضى والد الإمام ابي الفضل محمد بن عبد الله الشافعي مع تغير بسيط في سير أعلام النبلاء ٥٨/٢١.

وتسألَ الموفقَ لي. إن أكثر الإنعام عليّ لم يكن بكسبي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإنني أذكر نفسي ولي همّة عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار قد رُزقتُ عقلاً وافراً في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكرُ أني لعبتُ في طريقٍ مع صبيِّ قط، ولا ضحكْتُ ضحكاً جارحاً، حتى إنني كنتُ ولي سبعُ سنين أو نحوها أحضرُ رحبةَ الجامع، ولا أتخَيّرُ حلقةَ مشعبدٍ، بل أطلبُ المحدث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميعَ ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر -رحمه الله-، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعي "المسند" وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل. ولقد كان الصبيان يتلون دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءأخذ جزءاً، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقّة فأتشاغلُ بالعلم. ثم أهِمتُ الزهد، فسردتُ الصوم وتشاغلْتُ بالنقل وألزمتُ نفسي صبرها، فاستمرأتُ وشثرتُ ولازمتُ، وأحببتُ السهر، ولم أقع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريباً يقدمُ إلا وأحضره وأتخَيّر الفضائل. وكنت إذا عرض لي أمران أقدم في أغلب الأحوال حقَّ الحق، فأحسن الله تدبيري وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهياً لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعوزني شيئاً من الدنيا، بل ساق إلي مقدار الكفاية وأزيد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة، ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمّة.

مما يتعاناها الجهال، ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع

نفسِي من العَدُوِّ لثلا أُسْبِقُ، وكنت أصبح وليس لي ما أكل، وأمسي وليس لي شيء، وما أذلني الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>

### فصل حفظ الأوقات واغتنام اللحظات:

فاتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سعة، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبَتْ لذة الكسل فيها، وفاتت مراتب الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يحبون جمع كل فضيلة، ويكون على فوات واحدة منها. قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجله ويكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغبرتني في سبيل الله تعالى؛ وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبَتْ ما قمتها. واعلم يا بني أن الأيام تبسُّطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُّطُ أنفاسًا، وكلُّ نفسٍ خزانة، فاحذر أن تُذهبَ نفسًا في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم.

وقد قال رجل لعامر بن عبد قيس: قف أكلمك! فقال: أمسك الشمس وقعد قومٌ عند معروف الكرخي -رحمه الله-، فقال: أما تريدون أن تقوموا، فإن ملك الشمس يجرُّها لا يفتُر. وفي الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة"<sup>(٢)</sup>.

فانظر إلى مضيِّع الساعات كم يفوته من النخل. وقد كان السلف يغتمون

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب الاذكار رقم الحديث ٨٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم.



للحظات، فكان كَهَمَسُ بن الحسن التميمي يختم القرءان في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانست رابعةً لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعتُ هجعةً خفيفةً وقامت فزِعَةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل.

### فصل تُشترى هذه الحياة الابدية:

ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجَد، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلم أن اللَّبثَ في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللَّبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا — فرضنا ستين سنة مثلاً — فإنه يَمضي منها ثلاثون في النوم، ونحوٌ من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبت الباقي، كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً، فبماذا تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات؟!

### فصل الانتباه بعد الغفلة:

ولا يؤيسك يا بني من الخير ما مضى من التفریط، فإنه قد انتبه خلق كثير بعد الغفلة والرقاد الطويل، فقد حدثني الشيخ أبو حكيم عن قاضي القضاة أبي الحسن [علي بن محمد] الدامغاني رحمه الله، قال: كنتُ في صبوتي متشاغلاً بالبطالة غير ملتفت إلى العلم، فأحضرني أبو عبد الله [محمد بن علي الدامغاني] رحمه الله، وقال لي: يا بني إني لست أبقى لك أبداً، فخذ عشرين ديناراً وافتح دكانَ حَبازٍ وتكسب! فقلتُ: ما هذا الكلام؟! قال: فافتح دكانَ بَرَّازٍ! فقلت: تقول هذا وأنا ابن قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني! قال: فما أراك تحب العلم! فقلت: اذكر لي الدرس الساعة، فذكر لي، فأقبلتُ على التشاغل بالعلم واجتهدتُ ففتح الله علي. وحكى لي بعض أصحاب أبي محمد [عبد الرحمن بن محمد] الحلواني رحمه الله، قال: مات أبي وأنا ابن إحدى وعشرين سنة، وكنتُ موصوفاً بالبطالة، فأتيتُ أتقاضى بعضَ سكان دارٍ قد ورثتها، فسمعتهم يقولون: قد جاء المدبِّرُ - أي

الربيط - فقلت لنفسي: يقال عني هذا ! فجئت إلى والدي فقلت: إذا أردت طلبي فاطلبيني من مسجد الشيخ أبي الخطاب، ولازمته فما خرجت إلا إلى القضاء، فصرت قاضياً مدة. قلت: ورأيت أنه أنا وهو يفتي وينظر.

### فصل منهج تربوي في اليوم واللييلة:

فألزمت نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيء من أمور الدنيا. وقل عند انتباهك من النوم: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم"<sup>(١)</sup>، ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعاً، وقس في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبعمشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءً سخطك وابتغاءً مرضاتك، أسألك أن تجبرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"<sup>(٢)</sup>.

واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" عشر مرات، ثم سبح عشرًا، واحمد عشرًا، وكبر عشرًا<sup>(٣)</sup>، وقرأ آية الكرسي وسل الله سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكراً لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمان ركعات فهو حسن<sup>(٤)</sup>.

### فصل العلم أفضل من كل نافلة :

ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرآن، ثم الفقه، فإذا

(١) هذا الحديث وضعه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٢/١.

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجه ٦٠/١. وفي الادب المفرد

ص ٤١٦

(٣) الادب المفرد ص ٤١٦.

(٤) إشارة لحديث أم هاني في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه

البخاري برقم ١١٧٦ ومسلم ٣٣٦.

أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثماني ركعات، ثم تشاغل بمطالعة أو بنسخ إلى وقت العصر. ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت العشاء فعد إلى دروسك<sup>(١)</sup>. ثم اضطلع فسيح ثلاثاً وثلاثين، واحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين. وقل: " اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادك " <sup>(٢)</sup>. وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسط أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة.

### فصل الحذر من الآفات والعوائق:

وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء، وليكن جلسائك الكتب، والنظر في سير السلف، ولا تشتغل بعلم حتى تُحكّم ما قبله، وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك: ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنعص القادرين على التمام واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلق كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورة تُستحسن، وكان عطاء بن أبي رباح -رحمه الله- أسود اللون ومستوحش الخلق، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولده، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرض عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: " قوما ولا تنسوا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين

(١) والناس في هذا يختلفون كل بحسب مراده وتوجهه، قال المقدسي في منهاج القاصدين "واعلم أن السالك لطريق الآخرة لا يخلو من ستة أحوال: إما أن يكون عابداً، أو عالماً، أو متعلماً، أو والياً، أو محترفاً، أو مستغرفاً بمحبة الله عز وجل مشغولاً به عن غيره ( مختصر منهاج القاصدين "ص ٧٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

يَدَي هذا العبد الأسود" (١).

وكان الحسن البصري -رحمه الله- مولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى.

### فصل العفة عما في أيدي الناس:

واجتهد يا بني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع تَعَزَّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد. وجاز أعرابي بالبصرة فقال: من سيد هذه البلدة؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وبم سادهم؟ قالوا: استغنى عن دنياهم وافتقروا إلى علمه (٢). واعلم يا بني أن أي كان موسراً وخلف ألوفاً من المال، وكان أبوك طفلاً، فأنفق عليه من ذلك المال إلى أن بلغ، ولم يرَ بعد بلوغه سوى دارين، كان يسكن واحدة ويأخذ أجرة الأخرى، ثم أُعطي نحو عشرين ديناراً، وقيل له: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشترت بها كتباً من كتب العلم، وبعث الدارين وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء مسن المال، وما ذلَّ أبوك في طلب الدنيا كذل غيره، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوُعَاط، ولا رأى أكابرُ البلدان رِقاعه عندهم يستعطيهم، وأموره تجري على السداد ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (٣).

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٣١/١ وبوب عليه بقوله "ذكر من ارتفع من العبيد حتى جلس مجالس الملوك".

(٢) روى القصة ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم ص ١٥٤.

(٣) سورة الطلاق آية ٣/٢

## فصل متى صحت التقوى رأيت كل الخير:

يا بني! ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، فالمتقي لا يرئس الخلق ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظ. قال النبي صلى الله عليه وسلم- لابن عباس -رضي الله عنه-: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك"<sup>(١)</sup>. واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيراً نجاً بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾<sup>(٢)</sup>.

وأن فرعون لما لم تكن له ذخيرة خيراً لم يجد في شدته مخلصاً، فقبل له: ﴿الْفَنِّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾﴾<sup>(٣)</sup> فاجعل لك ذخائر خيراً من تقوى تجذب تأثيرها.

وقد جاء في الحديث: "ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كبره"<sup>(٤)</sup>.

"قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُبْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٥﴾﴾".  
واعلم يا بني أن أوفى الذخائر غض الطرف عن محرّم، وإمساك اللسان عن فضول كلمة، ومراعاة حدّ، وإيثار الله سبحانه وتعالى على هوى النفس، قد عرفت حديث الثلاثة الذين دخلوا إلى غار فانطبقت عليهم صخرة، فقال أحدهم: اللهم

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم: ٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده رقم: ٢٧٦٣ والحاكم في المستدرک رقم: ٦٣٠٤.

(٢) سورة الصافات آية ١٤٣/١٤٤.

(٣) سورة يونس آية ٩١.

(٤) ذكره أبو نعيم في الحلية ١٣٩/٤ بنحوه.

(٥) سورة يوسف آية ٢٢.

إنه كان لي أبوان وأولاد فكنت أقف بالخليب على أبويّ فأسقيهما قبل أولادي، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرتُ أجيراً فنسخطَ أجره، فأتجرتُ له به فحاء يوماً فقال: ألا تخاف الله؟! فقلت: انطلق إلى تلك البقر ورعاها فخذها، فإن كنتُ فعلتُ ذلك لأجلك فافرج عنا ؛ فانفرج ثلث الصخرة، فقال الآخر: اللهم إني علقتُ بينت عم لي، فلما دنوتُ منها قالت: اتق الله ولا تُفُضْ الخاتمَ إلا بحقه، فقامت عنها، فإن كنت فعلت لأجلك فافرج عنا ؛ فرُفَعَت الصخرة وخرجوا<sup>(١)</sup>.

ورؤي سفيان الثوري -رحمه الله- في المنام فقيل له: ما فعل الله تعالى بك؟ قال: ما كان إلا أن وُضِعْتُ في اللحد فإذا أنا بين يدي رب العالمين، فأمرني إلى الجنة، فدخلتُ فإذا أنا بقاتلٍ يقول: سفيان؟ قلت: سفيان، قال: تذكرُ يومَ آثرتُ الله تعالى على هواك؟ قلت: نعم! فأخذتني صواني النثارِ من الجنة.

### فصل من سير السلف الصالح:

وينبغي أن تسمو همتك إلى الكمال، فإن خلقتَ وقفوا مع الزهد، وخلقاً تشاغلوا بالعلم، وندر أقوامٌ جمعوا بين العلم الكامل والعمل الكامل. واعلم أيّ قد تصفحتُ التابعين ومن بعدهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل؛ وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم هممٌ ضعفت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب "صفة الصفوة"، وإن شئت "أخبار سعيد" و "أخبار سفيان" و "أخبار أحمد بن حنبل"، فقد جمعت لكل واحدٍ منهم كتاباً.

(١) متفق عليه رواه البخاري في باب من استأجر أجيراً فترك أجره .. رقم الحديث ٢٢٧٢، ومسلم

باب قصة أصحاب الغار الثلاثة رقم الحديث ٢٧٤٣.

## فصل الحفظ رأس مالك:

وقد علمت يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب<sup>(١)</sup>، فمنها " التفسير الكبير " عشرون مجلداً، و " التاريخ " عشرون مجلداً، و " تهذيب المسند " عشرون مجلداً، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمس مجلدات، ومجلدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر ؛ كفيتك بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع الهمم في التأليف. فعليك بالحفظ، فإن الحفظ رأسُ المال والتصرف ربحٌ، وصدقٌ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراع حدوده، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا لِلَّهِ يَصْرُكُمُ وَيَلَيْتَ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

## فصل العلم والعمل متلازمان:

وإياك أن تقف مع صورة العلم دون العمل به، فإن الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا، قد أعرضوا عن العمل بالعلم، فمُنَعُوا البركة والنفع به. وإياك أن تتشاغل بالتعب من غير علم، فإن خلقاً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم. واستر نفسك بثوبين جميلين، لا يُشهرانك بين أهل الدنيا برفعتهما، ولا بين المتزهدين بضعتيهما، وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنك مسؤول عن ذلك، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء

(١) لعل هذه الوصية كُتبت عند تأليف مائة كتاب، وإلا فإنه صنف أكثر من ذلك بكثير وقد عد له

شيخ الاسلام ابن تيمية أكثر من ألف مصنف، وارجع إلى أسماء مصنفاته في سير أعلام النبلاء و

ذيل طبقات الحنابلة

(٢) سورة محمد آية ٧.

(٣) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٤) سورة البقرة آية ٤٠.

عن الحجر؛ فلا تعظنَّ إلا بنية، ولا تمشينَّ إلا بنية، ولا تأكلنَّ إلا بنية، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشفُ لك الأمر.

### فصل من روائع التصانيف:

وعليك بكتاب "منهاج المريدين" فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليساك ومعلمك، وتلمح كتاب "صيد الخاطر" فإنك تقع بواقعات تُصلحُ أمرَ دينك ودينك، واحفظ كتاب "جنة النظر" فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقه، ومضى تشاغلته بكتاب "الحدائق" أطلعك على جمهور الحديث، وإذا التفتت إلى كتاب "الكشف" أبان لك مستور ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلنَّ بكتب التفاسير التي صنفها الأعاجم، وما ترك "المغني" و " زاد المسير" حاجة إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً.

### فصل صفة الواعظ والنافع:

وكن حسنَ المداراة للخلق، مع شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خلطاء السوء، ومُبقيةً للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَدِّلاً، ولا ماشياً في سوقٍ ولا ضاحكاً، ليحسنَ الظنُّ به، فينتفعُ بوعظه. فإذا اضطرت إلى مخالطة الناس فخالطهم بالحلم عنهم، فإنك إن كشفت عن أخلاقهم لم تقدر على مداراتهم.

### فصل أداء الحقوق:

وأدِّ إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة، وانظر كل ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تؤدعها إلا أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك وعودها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:

يا من بديناه اشتغل      وغرّه طول الأمل  
الموت يأتي بغتةً      والقبر صندوق العمل



وراع عواقب الأمور يهْنُ عليك الصبرُ عن كل ما تشتهي وما تكره، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر وذكّرْها قربَ الرحيل، ودبّرْ أمرَك - والله المدبّرُ - في إنفاقك من غير تبذير، لئلا تحتاج إلى الناس، فإن حفظَ المال من الدين، ولأن تُحْكفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس<sup>(١)</sup>.

### فصل خاتمة حسنة:

يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-، وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وأخباره موثقة في كتاب "صفة الصفوة"، ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء، فما كان من المتأخرين من رزقَ همّةً في طلب العلم غيري، وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تحيّب ظني فيما رجوتُه فيك ولك. وقد أسلمتكم إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكفون الناس" متفق عليه رواه البخاري باب رثاء النبي -صلى الله عليه وسلم- لسعد ج ٤٣ ص ٤٣ رقم ١٢١٣ ورواه مسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ج ٨ ص ٣٩٥ رقم

## المبحث الأول

### المضامين الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله لولده؛ شاملة في مضامينها، لمراتب الدين الثلاثة: عقيدة، وشريعة، وأخلاقاً؛ إضافة إلى المضامين العلمية المتمثلة في الحث على طلب العلم، ورسم المنهج الأمثل في ذلك؛ وفيما يأتي إبراز لمعالم الشمولية الموضوعية في وصية ابن الجوزي - رحمه الله - لولده:

#### المطلب الأول

##### المضامين العقيدية

إن مدار الوصايا الشرعية؛ للأنبياء والصالحين لأبنائهم وأتباعهم، هي الوصية بتقوى الله وتوحيده والنهي عما يضاده من الشرك والعصيان؛ والشواهد على ذلك كثيرة في كتاب الله وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، ومن نماذجها: قال تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بِرَبِّهِمْ وَيَعْقُوبَ يَنْبِيئَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الألوسي - رحمه الله -: "والتوصية التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة. لبيان توأسي الأنبياء باستمساك الدين الحق الجامع لجميع أحكام الأصول والفروع ليتوارثوا الملة القويمة والشرع المستقيم نسلاً بعد نسل، وذكر يعقوب الدين في توصيته لبنيه وهو والملة أخوان. . . وخص البنين لأنه عليهم أشفق وهم بقبول وصيته أجدر ولأن النفع بهم أكثر"<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة آية ١٣٢.

(٢) روح المعاني ١٥/٢.

(٣) سورة لقمان آية ١٣.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول تعالى مخبراً عن وصية لقمان لولده.. وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ثم قال محذراً له: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } أي: هو أعظم الظلم"<sup>(١)</sup>.

وهكذا جاءت السنة النبوية بالوصية بالتقوى والإيمان في مقام تعليم الصبية والأولاد، وأول ما يلقن الطفل كلمة التوحيد، ويغرس في قلبه الإيمان؛ فإذا وقر الإيمان في قلبه علّم القرآن؛ فيزداد يقيناً وبصيرة؛ وفي هذا المسلك اقتفاء لهدي النبي -صلى الله عليه وسلم-، فعن جندب بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: "كنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحن فتيان حزاورة"<sup>(٢)</sup>.

فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فزددنا به إيماناً"<sup>(٣)</sup>. وفي حديث ابن عباس -رضي الله عنه- المشهور أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له موصياً: "يا غلام أني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك..."<sup>(٤)</sup>. وقد ضمن ابن الجوزي -رحمه الله- وصيته لولده الوصية بتقوى الله وتوحيده ونبذ الشرك وأسبابه؛ وهذه معالم الوصية بالتقوى والتوحيد من خلال ما وردة في وصيته<sup>(٥)</sup>:

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٦/٦.

(٢) أي: قاربنا البلوغ، انظر: "النهاية في غريب الأثر" ٩٥٢/١.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه المقدمة باب في الإيمان رقم الحديث ٦٠ والطبراني في المعجم الكبير رقم الحديث

١٦٧٩، والبيهقي في الشعب رقم الحديث ٥١، وصححه الألباني في "صحيح ابن ماجه" ١٦/١.

(٤) رواه الترمذي في سننه: كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، رقم:

٢٥٠٠، وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده، رقم الحديث ٢٧٦٣، والحاكم في

المستدرک، رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٥) وقد أوردت وفق تسلسلها في الوصية أولاً بأول.

## ١- صرف الحوائج لله وحده:

من أصول الإيمان دعاء الله وحده، وصرف الحوائج إليه دون غيره؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وفي وصية ابن عباس -رضي الله عنه- المتقدمة: "وإذا سألت فاسأل الله".

وابن الجوزي -رحمه الله- قد ألمح إلى هذا المعنى في مستهل وصيته وفي أثنائها وخاتمتها بأساليب متعددة:

حكاية الحال: في قوله: "وسألتُ الله عز وجل أن يرزقني عشرة أولاد، فرزقني إياهم .. فسألتُ الله تعالى أن يجعل فيه الخلف الصالح وأن يسلِّغني فيه المنى والمناجح"، وقوله في ختام وصيته: وقد أسلمتكَ إلى الله سبحانه، وإياه أسأل أن يوفِّقك للعلم والعمل، وهذا قدر اجتهادي في وصيَّتي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". وحكاية الحال هي من باب التعليم بالقدوة الحسنة.

الوصية بالالتجاء إلى الله في قوله: "وأدُلّه على الالتجاء إلى الموفق سبحانه، مع علمي بأنه لا خاذل لمن وفق ولا مرشد لمن أضل". ويقول أيضاً: "ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً فسلِّ المنعم، أو كسلأ فالجأ إلى الموفق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتك خيرٌ إلا بمعصيته، ومن الذي أقبلَ عليه فلم يرَ كلَّ مرادٍ لديه؟ ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة؟ أو حظي بغرضٍ من أغراضه؟".

## ٢- زرع رقابة الله في النفس:

من أوثق عرى الإيمان ومنازل الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، وتستحضر رقابته في كل شأنك، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "قال: فأخبرني عن

(١) سورة غافر آية ٦

الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (١).

وابن الجوزي -رحمه الله- قد أكد على هذا الأصل في وصيته في مواطن كثيرة: منها قوله: "وأن الملكين عليهما السلام يحصيان أفاضك ونظراتك، وأن أنفاس الحى خطوات إلى أجله".

### ٣- التسليم لقضاء الله وقدره:

من أصول الإيمان والتسليم لقضاء الله وقدره، كما جاء في حديث جبريل المشهور: "فأخبرني عن الإيمان؟، قال: . . . وتؤمن بالقدر خيره وشره" (٢).  
والتسليم للقضاء والقدر؛ يعث في القلب راحة وطمأنينة؛ ورضا بالله عز وجل.

وقد نبّه ابن الجوزي إلى ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره، في قوله: "وكلّ ميسراً لما خلق له، والله المستعان". فما على العبد إلا التسليم، مع بذل الأسباب والله هو الموفق والمسدد.

### ٤- التوحيد هو أوّل مطلوب وأفضل مرغوب:

أوّل ما يكلف به العبد، ويخاطب به المكلف هو توحيد الله جلّ وعلا، ونبذ الشرك، وهذا سمت الأنبياء ونهجهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٣)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٤).

وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يرسل الدعوة أمراً إياهم بالبداءة في الدعوة إلى التوحيد؛ لأنه مدار الفلاح، وأساس النجاح في الدنيا والآخرة، وقبول

(١) رواه مسلم باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج ١ ص ٨٧ رقم الحديث ٩.

(٢) الحديث السابق.

(٣) سورة النحل الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٢٥.

الأعمال منوط بصلاح التوحيد، قال تعالى: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم- معاذ بن جبل -رضي الله عنه- إلى اليمن داعياً قال له: «إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله....»<sup>(٢)</sup>.

وابن الجوزي قد ركّز في وصيته على ضرورة إصلاح التوحيد أولاً؛ فقال - رحمه الله-: "وأول ما ينبغي النظر فيه معرفة الله تعالى بالدليل، ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة والأرض موضوعة، وشاهد الأبنية المحكمة، خصوصاً جسد نفسه، علم أن لا بد حينئذ للصنعة من صانع، وللمبني من بان". فأشار إلى أن أول مطلوب على المكلف هو معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ وذلك من خلال النظر في الآيات المشهودة من خلق السماوات والأرض، والنظر في آيات الله المتلوّة، من خلال كتابه الكريم، فيعرف الله أولاً بربوبيته وملكه وتدبيره، ثم يرتقى بعد ذلك لتوحيد الألوهية.

### ٥- الإيمان بالنبوة:

الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم- وأنه مرسل من رب العالمين لهداية الخلق أجمعين، وأنه خاتم المرسلين، هو شطر شهادة التوحيد، ولا يقوم للتوحيد قائم إذ انخرم هذا الأصل والركن. والإيمان بالأنبياء والرسل أصل من أصول الإيمان التي قرّرها القرآن والسنة. وابن الجوزي رحمه الله حثّ في وصيته على وجوب الإيمان بالنبي إيماناً جازماً، وذلك من خلال النظر في معجزاته وآياته الدالة على صدقه، وأعظمها

(١) سورة الزمر آية ٦٥

(٢) متفق عليه رواه البخاري باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ج٥ ص٢٨٩ رقم الحديث

١٣٦٥، واللفظ له، ومسلم باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١ ص١١٢ رقم

الحديث ٢٨.

القرآن الكريم. قال -رحمه الله-: "ثم يتأمل دليل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- إليه، وأكبر الدلائل القرآناً الذي أعجز الخلق أن يأتوا بسورة من مثله". كما بين رحمه الله أن لازم الإيمان بالنبي هو التسليم لشرعه والإذعان لأمره؛ إذ لا إيمان مع الاعتراض على شرعه وتنكب منهجه. كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(١)</sup> قال -رحمه الله-: "فإذا ثبت عنده وجود الخالق وصدق الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وجب تسليم عِنايه إلى الشرع، فمتى لم يفعل دل على خلل في اعتقاده".

#### ٦- فضل التقوى:

لازم الإيمان وفسطاطه هو تقوى الله وخشيته، و"التقوى اسم جامع لطاعة الله، والعمل بها في ما أمر به، أو نهي عنه، فإذا انتهى المؤمن عن ما نهاه الله، وعمل بما أمره الله، فقد أطاع الله واتقاه، والتقوى اسم أيضاً لخشية الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، فمن خشي الله واتقاه، وانتهى عن ما نهاه، وقام بما افترض عليه فهو العالم بشهادة الله له بذلك"<sup>(٣)</sup>.

وقد أشاد ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته بفضل التقوى؛ مبيناً أنها مدار الخير كله، وأن ذهابها مؤذن بالويل والهلاك. قال -رحمه الله-: "يا بني! ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، فالمتقي لا يراني الخلق ولا يتعرض لما يؤدي دينه، ومن حفظ حدود الله حَفِظَ". "فمن نور الله قلبه بالتقوى قويت معرفته، واستنارت بنور اليقين، فاستقام قلبه، واطمأنت به نفسه، وتفجرت ينابيع الحكمة من لسانه، فكان مسدداً في قوله

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر ٥٨٧/٨.

وفعله، ودعوته وإرشاده، على بصيرة ونور من الله تعالى"<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: الرياضة وأدب النفس للحكيم الترمذي، ص ٩٣.



## المطلب الثاني

### المضامين التعبدية

الإيمان اعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وقول باللسان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان<sup>(١)</sup>؛ فالعبادة الخالصة لله وحده هي ترجمة الإيمان الصادق بالله وحده لا شريك له، فهي شجرة باسقة طلعتها. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١١﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ووصية ابن الجوزي - رحمه الله - لابنه لم تكن خلواً من المضامين التعبدية، وإنما شملت جوانب عديدة من النصائح في المجال التعبدية، رسم بها المنهج السوي في عبادة المؤمن ربه منذ يقظته إلى منامه، موشحاً إياها بما ينبغي التلطف به من الأذكار الشرعية، على النحو الآتي:

#### ١- الحث على الذكر عند الاستيقاظ:

قال - رحمه الله -: "وقل عند انتباهك من النوم: " الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه الشور، الحمد لله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرؤوف رحيم"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر العقيدة الواسطية بشرح الهراس ص ١٦١، الإيمان لابن مندة ج ١ ص ٣١٥-٣٦٣، وشرح

اعتقاد أهل السنة للالكائي ج ٢ ص ٩١١-٩٣٣ .

(٢) سورة الذاريات آية ٥٦

(٣) سورة إبراهيم آية ٢٤ - ٢٥ .

(٤) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٨٢/١ .

## ٢- الحث على المحافظة على الطهارة والسنن الراتبة وصلاة الجماعة:

قال -رحمه الله-: "ثم قم إلى الطهارة واركع سنة الفجر واخرج إلى المسجد خاشعاً، وقل في طريقك: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبعمشاي هذا إليك، إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعة، خرجتُ اتقاءً سنخطك وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تجيرني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت"<sup>(١)</sup>.

## ٣- الحرص على الأذكار دبر الصلوات:

قال -رحمه الله-: "واقصد الصلاة إلى يمين الإمام، فإذا فرغت من الصلاة فقل: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"<sup>(٢)</sup> عشر مرات، ثم سبح عشراً واحمد عشراً، وكبر عشراً، وقرأ آية الكرسي وسلل الله سبحانه قبول الصلاة، فإن صح لك فاجلس ذاكراً لله تعالى إلى أن تطلع الشمس وترتفع، ثم صل واركع ما كتب لك وإن كان ثمان ركعات فهو حسن"<sup>(٣)</sup>.

## ٤- الحث على الجمع بين العلم والتعبّد:

يقول رحمه الله: "ثم تتشاغل بما يمكن من العلوم، وأهمها تصحيح قراءة القرآن، ثم الفقه، فإذا أعدت دروسك إلى وقت الضحى الأعلى، فصلّ الضحى ثمان ركعات، ثم تشاغل بمطالعة أو بنسخ إلى وقت العصر، ثم عد إلى دروسك بعد العصر إلى المغرب، وصل بعد المغرب ركعتين، تقرأ فيهما جزئين، فإذا صليت

(١) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجه ٦٠/١. و في الادب

المفرد ص٤١٦

(٢) رواه أحمد في مسنده رقم ١١١٧٢، وابن ماجه في سننه، وضعه الألباني في ضعيف ابن ماجه

٦٠/١. و في الادب المفرد ص٤١٦

(٣) إشارة لحديث أم هانئ في عام الفتح أنه صلى الضحى ثمان ركعات وهو حديث متفق عليه رواه

البخاري صلاة الضحى في السفر برقم ١١٠٥ ومسلم باب استحباب صلاة الضحى ٣٣٦.

العشاء فعد إلى دروسك، ثم اضطجع فسبح ثلاثاً وثلاثين، واحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين، وقل: "اللهم قني عذابك يومَ تجمعُ عبادك"<sup>(١)</sup>. "وإذا فتحت عينيك من النوم فاعلم أن النفس قد أخذت حظها فقم إلى الوضوء، وصل في ظلام الليل ما أمكن، والتوسطُ أن تصلي ركعتين خفيفتين، ثم بعدهما ركعتين بجزئين من القرآن، ثم تعود إلى دروس العلم، فإن العلم أفضل من كل نافلة".

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ٣٦٠٦

## المطلب الثالث

### المضامين الأخلاقية والسلوكية

الخلق هو السجية، قال الجرجاني -رحمه الله-: "الخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة؛ تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"<sup>(١)</sup>.  
والدعوة إلى مكارم الأخلاق هي وصية الأنبياء، ودأب الصالحين والأصفياء، في وصاياهم للناس عامة، ولأبنائهم خاصة. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>(٢)</sup>. وفي وصية لقمان لابنه قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٣﴾.

وبقدر استقامة العبد في خلقه وسلوكه، بقدر ما يكون رقيه وسؤدده في الدنيا والآخرة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً"<sup>(٤)</sup>، وعن جابر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً

(١) التعريفات ص ١٠١.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/١٣٢، وأحمد ٢/٣٨١، والبخاري في الأدب المفرد ٢٧٣، وفي التاريخ الكبير ٧/١٨٨، والحاكم ٢/٦١٣، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه مالك ٢/٦٩٠ بلاغاً، وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢٤/٣٣٣-٣٣٤، وهذا حديث يتصل من طرق صحاح عن أبي هريرة وغيره عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

(٣) سورة لقمان آية: ١٨ - ١٩.

(٤) متفق عليه، البخاري، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث ٥٥٧٥، واللفظ له، ومسلم، باب: كثرة حياته -صلى الله عليه وسلم-، رقم الحديث ٤٢٨٥.

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً<sup>(١)</sup>.

وابن الجوزي - رحمه الله - قد نبّه ولده في وصيته إلى جملة من الأصول الأخلاق الفاضلة مرغباً فيها، ومحذراً من أضراده، مما رآه ألزم وأكثر مناسبة لولده، ومن نماذجها ما يأتي:

### ١- الحث على القناعة:

القناعة هي الرضا بالقسم، والاجترأ باليسر من العيش<sup>(٢)</sup>، وهي كثر لا يفنى، ولا يصفو عيشٌ لغير قنوع، وهي خلق فاضل، وقد جاء الحث على القناعة وبيان فضائلها في نصوص كثيرة: عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافاً وقنع»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه»<sup>(٤)</sup>.  
فالقناعة تحفظ ماء الوجه، وتصون عرض العبد، كما قال الشافعي - رحمه الله -<sup>(٥)</sup>:

رأيت القناعة رأس الغنى  
فصرت بأذبالها ممتسك  
فلا ذا يراني على بابه  
ولا ذا يراني به منهمك

(١) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء في معالي الأخلاق رقم ١٩٤١ وقال الترمذي "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٢) انظر: المفردات للراغب ص ٤١٣.

(٣) رواه الترمذي في سننه باب من رضا بالكفاف وصبر عليه رقم الحديث ٢٥٢٢ وقال الترمذي حسن صحيح

(٤) رواه مسلم في صحيحه باب في الكفاف والقناعة رقم الحديث ٢٤٧٣.

(٥) ديوان الشافعي ص ١٠٢.

فصرت غنيًا بلا درهم أمرّ على الناس شبه الملك  
وقد نبه ابن الجوزي -رحمه الله- ولده في وصيته إلى هذه المعاني، فبيّن أنّ  
صيانة العرض، من هوان الذلّ، وطريق العزّ إنما يكون بالقناعة، مستشهداً بحال  
السلف رحمهم الله، كيف عزّوا وبزّوا حينما قنعوا بما قُسم لهم، قال -رحمه الله-:  
"واجتهد يا بني في صيانة عرضك من التعرض لطلب الدنيا والذل لأهلها، واقنع  
تعرّ، فقد قيل: من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد وجاز أعرابي بالبصرة فقال:  
من سيد هذه البلدة؟ فقيل له: الحسن البصري، قال: وم سادهم؟ قالوا: استغنى  
عن دنياهم وافتقروا إلى علمه".

## ٢- الحث على العزلة والتحذير من الخلطة السيئة:

العزلة عن الفتن والشُرور وأهلها، من حميد الخصال، وطيب الخلال، بشرط  
أن لا تفوّت هذه العزلة واجباً، ولا تصد عن حقّ، قال ابن الجوزي -رحمه الله-:  
"كان خيار السلف يؤثرون الوحدة والعزلة عن الناس اشتغالاً بالعلم والتعبّد، إلّا أن عزلة  
القوم لم تقطعهم عن جمعة، ولا جماعة، ولا عيادة مريض، ولا شهود جنازة، ولا قيام  
بحقّ، وإنما هي عزلة عن الشرّ وأهله، ومخالطة الباطلين"<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: "وأما الانقطاع  
فينبغي أن تكون العزلة عن الشر لا عن الخير، والعزلة عن الشر واجبة على كل  
حال"<sup>(٢)</sup>.

فالعزلة عن الشر وعند الفتن محمودة: عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-  
أنه قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يوشك أن يكون خير مال المسلم  
غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفرّ بدينه من الفتن»<sup>(٣)</sup>.  
قال الخطابي -رحمه الله-: "والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء، وعصمة الأولياء،

(١) تلييس إبليس ص ٣٥٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩-٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه باب من الدين الفرار من الفتن رقم الحديث ١٨.

وسيرة الحكماء والأولياء، فلا أعلم لمن عابها عذراً، لا سيما في هذا الزمان القليل خيره، البكيء درّه، وبالله نستعيد من شره وريبه<sup>(١)</sup>.

أما العزلة عن الخير فهي مذمومة: فعن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "كم فَوَّتَّتْ العزلة علماً يصلح به أصل السدين، وكم أوقعت في بليّة هلك بها الدين، وإنما عزلة العالم عن الشرّ فحسب"<sup>(٣)</sup>. وقد أوجز ابن الجوزي وأجاد في عبارات يسيرة هذه المعاني والمقاصد في العزلة فقال في وصيته: "وعليك بالعزلة فهي أصل كل خير، واحذر من جليس السوء".

### ٣- الحثّ على المداراة والحلم:

المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة<sup>(٤)</sup>، والحلم هو: "ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب"<sup>(٥)</sup>.

وحينما حرص ابن الجوزي على ما يديم الألفة بين ولده وبين الناس، أوصاه بأعظم مفاتيحها وهي المداراة والحلم، فقال -رحمه الله-: "وكن حسنَ المداراة للخلق، مع شدة الاعتزال عنهم، فإن العزلة راحة من خلطاء السوء، ومُبْقِيَةٌ للوقار، فإن الواعظ خاصةً ينبغي أن لا يُرى مُتَبَدِّلاً، ولا ماشياً في سوقٍ ولا ضاحكاً،

(١) العزلة للخطابي ص ٨.

(٢) رواه الترمذي في سننه باب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم الحديث ٢٤٣١، وابن ماجه باب الصبر على البلاء رقم الحديث ٤٠٢٢ واللفظ له وصححه الألباني في السلسلة رقم الحديث ٩٣٩.

(٣) صيد الخاطر ص ١٢٨.

(٤) فتح الباري ١٠/٥٢٨.

(٥) مفردات الراغب ص ١٢٩.

لِيَحْسُنَ الظَّنُّ بِهِ، فَيَنْتَفِعَ بِوَعظِهِ. فَإِذَا اضْطَرَّتْ إِلَى مَخَالَطَةِ النَّاسِ فَخَالَطَهُمْ بِالْحِلْمِ عَنْهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ كَشَفْتَ عَنْ أَخْلَاقِهِمْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَدَارَاتِهِمْ".

#### ٤- الوصية بأداء الحقوق إلى الناس:

من أعظم صور الأمانة ومنازلها أداء الحقوق إلى أهلها، وإعطاء كل ذي حق حقه، وتعظيم الأمانة كلما قويت الصلة والقربة، فأداء حقوق الزوجة والولد والقربة هي أعظم منازل الأمانة، فعن أبي جحيفة السوائي وهب بن عبد الله - رضي الله عنه- قال: "أخى النبي -صلى الله عليه وسلم- بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فوضع له طعاما فقال له: كل. قال: فأني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذكر ذلك له، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «صدق سلمان»<sup>(١)</sup>.

وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى البديع في قوله -رحمه الله-: "وأد إلى كل ذي حق حقه، من زوجة أو ولد أو قرابة".

(١) رواه البخاري في صحيحه باب من أقسم على أخيه أن يفطر في التطوع رقم الحديث ١٨٦٧.



## المطلب الرابع

### المضامين العلمية

أساس وصية ابن الجوزي -رحمه الله-؛ والتي أبان عن مرادها وكنهها في مستهل وصيته؛ هو حث ولده على طلب العلم، وخوض غماره، قال رحمه الله: "ثم رأيتُ منه نوعَ توانٍ عن الجِدِّ في طلب العلم، فكتبتُ إليه هذه الرسالةَ أحثه بها على طلب العلم وأحركه على سلوك طريقي في كسب العلم". لأجل هذا نرى ابن الجوزي يطيل النفس في المجال العلمي، تحقيقاً للمقصد والمراد، وقد تضمنت وصيته جملة من درر الفوائد في المجال العلمي، من أبرزها ما يأتي:

#### ١- الحثُّ على إعمال الفكر والعقل:

وهب الله تعالى بني آدم عقولاً للتفكر والتبصر، وقد أشاد الله في كتبه بـذوي البصائر والعقول، وذم من عطل عقله عن التفكير والتبصر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَآهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال في معرض الـذم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أُولُو كَأَبَاءِ وَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الرعد آية ٣

(٢) سورة الزمر آية ٤٢.

(٣) سورة البقرة آية ١٧٠.

(٤) سورة المائدة ٥٨.

ولهذا بين ابن الجوزي نعمة العقل، والغاية منه، وهو العمل بمقتضاه، في جلب المنافع ودفع المضار، فقال -رحمه الله-: "اعلم يا بني وفقك الله أنه لم يميِّزِ الآدميُّ بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك وأعملِ فِكْرَكَ، واخْلُ بنفسك".

٢- بيانه فضل العلم:

فضل العلم يربوا كلَّ فضل، فهو سبيل الرفعة، وطريق المجد لمن رام العلياء، ولهذا كان أهل العلم هم صفوة الخلق، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾<sup>(١)</sup>، فهو ميراث الأنبياء، وزاد الأتقياء، ولا طريق لصحة العمل إلا من طريق العلم، ولذلك قال تعالى: ﴿فَاعَلِمْنَا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد وفق ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته، لاستثارة همة ولده، ببيان فضل العلم الناجز والناسي، فقال -رحمه الله-: "واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثيرٌ من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةٌ تُستحسن، وكان عطاءُ بن أبي رباح أسودَ اللون ومستوحشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه: "قوما ولا تنسبوا ولا تكاسلوا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود" وكان الحسن البصري مولى - أي مملوكاً - وابن سيرين ومكحولٌ وخلق كثير، وإنما شرفوا بالعلم والتقوى".

### ٣- الحث على طلب العلم والنظر في الكتب:

خير جليس في الأنام كتابٌ، فهو ينبوع الحكم، ومصدر المعارف، وقد كان ابن الجوزي -رحمه الله- شغوفاً بالكتب بلغ في ذلك الغاية القصوى.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- عن نفسه في "صيد الخاطر": - أثناء حديثه عن

(١) سورة المجادلة آية ١١

(٢) سورة محمد آية ١٩

المطالعة والإكثار منها-: "وإني أخبر عن حالي: ما أشيع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتاباً لم أراه، فكأنني وقعتُ على كثر. ولقد نظرتُ في ثَبَّتِ الكتبِ الموقوفة في المدرسة النَّظَّامِيَّة، فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلِّد، وفي ثَبَّتِ كتب أبي حنيفة، وكتب الحَمِيدِي، وكتب شيخنا عبد الوهاب بن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشَّاب - وكانت أحمالاً - وغير ذلك من كلِّ كتاب أقدِّر عليه. ولو قلست: إني طالعتُ عشرين ألف مجلِّد كان أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلَب"<sup>(١)</sup>.

ولهذا نجده يبحِّث ولده على إدمان النظر في الكتب، والانقطاع بها عن الخلق، فيقول -رحمه الله-: "وليكن جلساؤك الكتب، والنظر في سِيرِ السلف". ويقول -رحمه الله-: "وعليك بكتاب "منهاج المريدين" فإنه يعلمك السلوك، فاجعله جليساك ومعلمك، وتلمَّح كتاب "صيد الخاطر" فإنك تقعُ بواقعات تُصلِّحُ أمرَ دينك ودينك، واحفظ كتاب "جنة النظر" فإنه يكفي في تلقيح فهمك للفقهِ، ومتى تشاغلْتَ بكتاب "الحدايق" أطلَّعَكَ على جمهور الحديث، وإذا التفتَّ إلى كتاب "الكشف" أبان لك مستورَ ما في الصحيحين من الحديث، ولا تشاغلَنَّ بكتب التفاسير التي صنفتها الأعاجم، وما ترك "المغني" و "زاد المسير" حاجةً إلى شيء من التفاسير، وأما ما جمعتُه لك من كتب الوعظ فلا حاجة بعدها إلى زيادة أصلاً". ويقول في موضع آخر: "وقد علمتَ يا بني أنني قد صنفتُ مائة كتاب، فمنها "التفسير الكبير" عشرون مجلِّداً، و "التاريخ" عشرون مجلِّداً، و "تهذيب المسند" عشرون مجلِّداً، وباقي الكتب بين كبار وصغار يكون خمسَ مجلِّدات، ومجلِّدين وثلاثة، وأربعة، وأقل وأكثر؛ كفيْتُكَ بهذه التصانيف عن استعارة الكتب وجمع المهمم في التأليف".

(١) صيد الخاطر ص ١٤٩.

## ٤- التدرج في طلب العلم:

ينبغي لطالب العلم من التدرج في طلبه؛ بحيث يبدأ بالأصول قبل الفروع، وبالمحكم قبل المتشابه، ولا ينتقل من علم إلى آخر حتى يحكمه. ولهذا نزل القرآن على قلب النبي منجماً مفرقاً، لأن ذلك أوعى لاستيعابه وحفظه، قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَاكَ فَرْقَتَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: "طلب العلم درجات ومناقل ورتب لا ينبغي تعديها، ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل من تعداها مجتهداً زل"<sup>(٣)</sup>.

وقد ألمح ابن الجوزي -رحمه الله- إلى هذا المعنى في وصيته بقوله: "ولا تشتغل بعلم حتى تحكم ما قبله".

ومن أصول التدرج في طلب العلم: البدء بحفظ القرآن أولاً، ثم الاشتغال بحديث رسول الله رواية ودراية، قال ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته: "فيتشأغل بحفظ القرآن وتفسيره، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبمعرفة سيره وسير أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخير مرتبة الأعلى فالأعلى. ولا بد من معرفة ما يقيم به لسانه من النحو ومعرفة طرف من اللغة مستعمل، والفقهُ أم العلوم، والوعظ حلواؤها وأعمها نفعاً".

ونجد هذه الوصية تتكرر مع ابن الجوزي في كتبه، فيقول رحمه الله في كتابه صيد الخاطر: "وقد علم قصر العمر، وكثرة العلم، فيبدأ - أي الطالب - بالقرآن

(١) سورة الإسراء آية ١٠٦

(٢) سورة الفرقان آية ٣٢.

(٣) جامع بيان العلم وفضله الجامع ١٦٦/٢.

وحفظه، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفي عليك بذلك منه شيء. وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحيح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفه الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك... وتشاغل بأصول الفقه، وبالفرائض وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم"<sup>(١)</sup>.

### ٥- قوام العلم الحفظ والصدق والإخلاص:

إخلاص النية وصدق الطوية من أعظم أسباب نيل العلم، لأنها عنوان التقوى، التي هي مفتاح كل خير، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد جاء الوعيد الشديد لمن شاب نية طلبه للعلم بشوائب الرياء والمباهاة وغيرها، كما في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "من تعلّم العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم"<sup>(٣)</sup>.

وللإخلاص أثر عجيب في بركة العلم، وفي أثره، ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله: "من أشخص بقلبه إلى الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه، وجرت على لسانه"<sup>(٤)</sup>. وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: "الإخلاص لله يورث الفهم عن الله"<sup>(٥)</sup>.

أما الحفظ: اعلم الذي لا يستحضره صاحبه متى أراد؛ لا يعد علماً، ولهذا قال

(١) صيد الخاطر ص ١٦٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٣) رواه ابن ماجه باب من سأل عن علم فكتمه رقم الحديث ٢٥٦، وصححه الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب رقم ١١٠.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية ١٠/٥٢.

(٥) اقتضاء العلم العمل ص ٣٢.

عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله أنه قال: "كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علماً"<sup>(١)</sup>. وأنشده أبو الفتح هبة الله بن عبد الواحد البغدادي لبشار<sup>(٢)</sup>:  
 علمي معي أينما يمتست يتبعني بطني وعاء له لا بطن صنـدوق  
 إن كنت في البيت كان العلم فيه معي أو كنت في السوق كان العلم في السوق  
 وقد أكد ابن الجوزي رحمه الله- على هذه المقومات والأصول في وصيته حيث يقول:

"فعليك بالحفظ، فإن الحفظ رأسُ المال، والتصرف ربحٌ، وصدقٌ في الحالين في الالتجاء إلى الله سبحانه، فراع حدودَه، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَصْرُؤًا اللَّهُ يَصْرُكُمْ وَيَبْتَئْتُ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

#### ٦- وجوب اقتران العلم بالعمل:

العلم لا يراد لنفسه وإنما يراد للعمل بمقتضاه؛ فالعمل هو ثمرة العلم وزكاته، لأجل هذا جاء ذم من ترك العمل بما علم، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه-، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:  
 "لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن

(١) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٥٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سورة محمد آية ٧.

(٤) سورة البقرة آية ١٥٢.

(٥) سورة البقرة آية ٤٠.

(٦) سورة الجمعة آية ٥.

جسده فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما وضعه، وعن علمه ماذا عمل فيه" (١).

والعلم شرط في صحة العمل، لذلك بوب الأمام البخاري في صحيحة باب "العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله وقد بين ابن الجوزي -رحمه الله- هذا الأصل في وصيته في قوله: "ثم اعلم أن طلب الفضائل نهاية مراد المجتهدين، ثم الفضائل تتفاوت، فمن الناس من يرى الفضائل الزهد في الدنيا، ومنهم من يراها التشاغل بالتعبد، وعلى الحقيقة فليست الفضائل الكاملة إلا الجمع بين العلم والعمل، فإذا حُصلاً رفعا صاحبهما إلى تحقيق معرفة الخالق سبحانه وتعالى، وحركاه إلى محبته وخصيسته والشوق إليه، فتلك الغاية القصوى، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم، وليس كلٌ مریدٍ مراداً، ولا كلُّ طالبٍ واجداً، ولكن على العبد الاجتهاد".

وقال -رحمه الله-: "وإياك أن تتشاغل بالتعبد من غير علم، فإن خلقاً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذ عملوا بغير علم".

(١) رواه الترمذي باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم الحديث ٢٣٤١.

## المبحث الثاني

### أسس منهج ابن الجوزي وأساليبه في وصيته لولده

#### المطلب الأول

#### الأسس البيانية

أولاً: روعة البيان:

إن روعة البيان، تُعدّ من أعظم مقومات المواعظ والوصايا لأنّ من استجمع الفصاحة والبيان استحوذ على القلوب، واستولى على العقول، وأثّر في النفوس أيما تأثير، ولذا جاء في حديث عمار رضي الله عنه - قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (... وإنّ من البيان لسحراً)<sup>(١)</sup>.

"وفي الحديث مدحٌ للبيان، لأنّ الله تعالى امتن على عباده بتعليمهم البيان، وشبهه - صلى الله عليه وسلم - بالسحر، لميل القلوب إليه"<sup>(٢)</sup>. وقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم والناصحين من بعده، بعظة الناس بالقول البليغ الفصيح، قال تعالى: ﴿وَعَظُّهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾<sup>(٣)</sup>. أي: مؤثراً واصلاً إلى كُنْه المراد، مطابقاً لما سيق له من المقصود<sup>(٤)</sup>.

قال ابن سيرين رحمه الله: "لا شيء أزين على الرجل من الفصاحة والبيان"<sup>(٥)</sup>.

والبيان والفصاحة من أبرز مقومات المواعظ والنصائح والوصايا؛ لأنّ لها وقع في القلوب، واثّر في النفوس، وفي هذا يقول ابن الجوزي رحمه الله: "إن الكلام

(١) رواه البخاري باب ان من البيان لسحرا رقم الحديث ٥٣٢٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥٧/٦.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٤) تفسير أبي السعود ١٩٦/٢.

(٥) ذكره ابن عبد البر في أدب المجالسة، ص ٤٥.



المستحسن له وقع في النفوس، ولا يلتفت إلى مترهد جاهل يقول: هذا تصنع، فإن التصنع المباح لاستحلاب القلوب لا يذم وقد كان لرسول الله خطيب فصيح يقال له ثابت بن قيس وشاعر هو حسان، فإذا جاءه خطيب أو شاعر من قبل المشركين قاوماه. ولو أن واعظاً قال الحمد لله واقتصر على هذا في الخطبة ثم قال اتقوا الله واقتصر على إعادة هذه الكلمة لم يقع قوله موقع من يأتي بالكلام المستحسن واللفظ الرائع. ومن تأمل القرآن وما فيه من الكناية والتجوز والاستعارة عرف موقع الفصاحة من القلوب<sup>(١)</sup>. والمتأمل في وصية ابن الجوزي رحمه الله يدرك ما تضمنته من روعة بيان، وبديع، وفصاحة، وهذه وقفات مع روعة البيان في وصية ابن الجوزي -رحمه الله-:

#### ١- السجع المحمود:

السَّجْعُ هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول<sup>(٢)</sup>. وهو محمود إن كان بعيداً عن التكلف والتعسف والتصنع؛ قال الغزالي رحمه الله: "ولا يدخل -السجع المذموم- في تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير، من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب، وتشويقها، وقبضها، وبسطها، فلرشاقة اللفظ تأثير فيه، فهو لائق به"<sup>(٣)</sup>.

والناظر في هذه الوصية يجد بعضاً من السجع غير المتكلف؛ مما زاد الوصية رونقاً وبهاء، ومن ذلك قوله: الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب، وعضد العشائر بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرقان الصواب. .

#### ٢- الاستعارة والكناية:

هي الكلمة المستعملة لغير ما وضعت له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٦١.

(٢) سر البلاغة لابن سنان الخفاجي ص ٢٤٢.

(٣) إحياء علوم الدين ١٢٢/٣.

الأصلي<sup>(١)</sup> والاستعارة مما يزيد المعنى وضوحاً، والفكرة بهاءً، والوصية قوة وأثراً. وقد استخدم ابن الجوزي هذا الأسلوب في مواطن من وصيته، ومن ذلك قوله: "والكسلُ عن الفضائل بمنس الرفيق": ففي هذا تشبيه للكسل بالرفيق السيئ بجامع المضرة وقوة التأثير في الرفيق. وقوله: "والفقهُ أم العلوم، والوعظُ حلواؤها وأعمها نفعاً": ففي هذا تشبيه لعلو كعب الفقه بعلو الأم وفضلها، وتشبيه لأثر الوعظ بأثر الحلواء وعموماً نفعها.

### ٣- الجمع بين الأسلوب الخبري والإنشائي:

الوصية والنصيحة إن كانت ممن له فضل ورسوخ قدم في العلم؛ أمكن الجمع فيها بين الأسلوبين الخبري والإنشائي. ولهذا نرى ابن الجوزي رحمه الله، يستخدم أسلوب التعميم في الوصية والنصيحة؛ لأنّ النصيح بالتعريض دون التصريح، وبالتعميم دون التخصيص، يُعدُّ من أعظم آداب الموعظة والنصيحة، ومن أكبر عوامل قبولها، لأنّ النفس البشرية مجبولة على الأنفة والكبر والاعتداد بالذات، فهي لا تحبّ أن يواجهها أحد كائناً من كان بعيوبها صريحة مكشوفة، لأنها تعتبر ذلك إهانة لها وتحقيراً، فتلجأ إلى العناد والمخاداة والمشاقّة<sup>(٢)</sup>.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم- يعمّم في موعظته ونصيحته. فعن عائشة - رضی الله عنها- قالت: "كان رسول صلى الله عليه وسلم- إذا بلغه عن الرجل شيء، لم يقل: لم قلت كذا وكذا، ولكنه يعمّم فيقول: ما بال أقوام"<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك قوله: وأول ما ينبغي النظر فيه. ..، وينبغي معرفة ما يقيم به لسانه... ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجد. .. وغير ذلك. ونراه في أحيان أخرى يستخدم بعضاً من صيغ الإيجاب والأمر والإلزام، والنهي؛ لأنها وصية من والسد

(١) البلاغة الواضحة ص ٧١.

(٢) انظر منهج السلف في الوعظ ص ٣١٥

(٣) رواه أبو بكر القرشي في مكارم الأخلاق ص ٣٦.

لولده، ومن منعم لمنعم عليه، ومن هذه الصيغ تمثيلاً: وانظر يا بني..، واعلم يا بني..، وانتبه يا بني..، فالزم نفسك يا بني..، وقل عند انتباهك..، ثم قم إلى...، ثم تشاغل بما يمكن..، وعليك بالعزلة.. واجتهد يا بني..، وينبغي أن تسمو همتك..، وإياك أن تقف..، وعليك بكذا...، وراع عواقب الأمور... وغيرها.

ثانياً: حسن الابتداء وروعة الاستهلال:

إن براعة الاستهلال تجعل بين التكلّم والمستمع جسراً من المودة والألفة، والإنصات من أول وهلة.

وقد اتفق علماء البديع على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، بحيث توجز المعاني التي يراد إيضاحها فيما يستقبل من الكلام، فتشدّد السامع شدداً، وتوقظ قلبه وجوارحه<sup>(١)</sup>.

قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام"<sup>(٢)</sup>. ويقول ابن المقفع: "وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك"<sup>(٣)</sup>.

والفصاحة والبيان في الاستهلال لها مقومات إذا توافرت في الوصية أدت إلى الغرض والمأمول من التأثير والاستجابة، ومن هذه المقومات التي توافرت في وصية ابن الجوزي رحمه الله ما يأتي:

ابتدأه بالحمد والثناء على الله: اقتداء بالكتاب والسنة، وجاء الترغيب في ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم- قال: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أقطع»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر خزنة الأدب وغاية الأرب الحموي ص ٣٠.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ص ٤٩٦.

(٣) انظر: البيان والتبيين للجاحظ ص ١١٦.

(٤) رواه أبو داود ١٧٢/٥ رقم ٤٨٤٠ وابن ماجه ١/٦١٠ وأحمد في المسند ٢/٣٥٩

قال الشافعي رحمه الله: "أحبّ أن يقدم المرء بين يدي خطبته وكلّ أمر طلبه حمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم." (١).

والحمد هو اعتراف بالمنعم وشكر لنعمائه، والعبد لا يؤثر بمجرد مقاله ونصحه، مهما حبره ودبّجه بلجل المعاني، وإنما يؤثر بتوفيق الله تعالى.

استفتاحه بألفاظ مخصوصة تلميحاً للمقصود من الوصية وهي نصح الولد، حيث يقول: (الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من التراب والأصلاب، وعضد العشائر بالقرابة والأنساب، وأنعم علينا بالعلم وعرّفان الصواب، أحسن التربية في الصغر وحفظ في الشباب، ورزقنا ذرية نرجو بهم وفور الثواب).

انتقاؤه لل عبارات الدالة على نعمة الأبوة والبنوة، وحقوقها: حيث يقول في مطلعها: (اعلم يا بني وفقك الله..)، ومن المعلوم أنّ التلطف في النداء مستحلب لميل القلوب لسماع النصح والوصايا، كما جاء في وصية لقمان وموعظته لابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ، وَهُوَ يَعِظُهُ، يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢)، فهو نداء إشفاق وعطف (٣).

ثالثاً: حسن الختام:

العبرة بالخواتيم، إذ أنّ ما يعلق في الأذهان من النصح والكلام، والمواعظ والوصايا، هو آخر ما يطرق الأسماع؛ "فإذا كان آخر ما ارتسم في ذهن المستمع

(١) مغني المحتاج ٢٤/١

(٢) سورة لقمان آية ١٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٣٦/٣.

والقارئ بليغاً حسناً، تلقاه بعناية القبول، واستلذ به، فالعبرة بالخواتيم"<sup>(١)</sup>.

قال أبو هلال العسكري: "الابتداء أول ما يقع في السمع من كلامك، والمقطع آخر ما يبقى في النفس من قولك، فينبغي أن يكونا جميعاً موفقين"<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال ما سطره ابن الجوزي في خاتمة وصيته:

— تذكيره لشرف نسبه: وأنه من بيت علم وفضل من ذرية أبي بكر الصديق، ليشحذ همته للتشبه بالأصل.

— بيانه أنه قد عُقد فيه الأمل والرجاء: بإحياء ما اندرس من تشاغل قرابته عن العلم، وانصرافهم عنه، وفي هذا أبلغ التحفيز، وأعظم الترغيب.

— دعاؤه الله عز وجل أن ينفع ولده بهذه الوصية، وأن يوفقه لحسن العلم والعمل، مع بيانه أنه قد استنفذ الجهد في تحبيرها، مع الاعتماد على الله في ذلك أولاً وآخراً.

#### رابعاً: السهولة والبعد عن التكلف:

من شأن هذا الأمر أن يستجلب سمع الموصى إليه، ويؤثر فيه غاية التأثير، لأنّ القلوب تكون مقبلة على سماع الوصية، مشتتة لها، محيطة بمراميها ومقاصدها. قال أبو هلال العسكري رحمه الله: "فمدار البلاغة على تحيّر اللفظ، وتخيّره أصعب من جمعه وتأليفه"<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الجوزي رحمه الله: "وكان السلف يقتنعون من المواعظ باليسير من غير تحسين لفظ، أو زخرفة نطق"<sup>(٤)</sup>. ومن خلال ما دوّنه ابن الجوزي في وصيته نجدته ينأى بنفسه عن التكلف والتصنع في العبارة، رغم أنه استجمع الفصاحة

(١) انظر البلاغة التطبيقية دراسة تحليلية لعلم البديع، محمد رمضان ص ٢٢٣.

(٢) الصناعتين ص ٤٨٩.

(٣) كتاب الصناعتين ص ٥٨.

(٤) انظر: أجمد العلوم ٥٣٥/٢.

والبيان، وكان بليغاً مفوّهاً، فنجد عباراته سهلة سلسلة، دون تقعر أو تشدق، أو استعمال لحوشي الألفاظ وغريب الكلمات.

### خامساً: التدرج في الوصية، بالبدء بالأهم فالمهم:

لقد سلك العلماء والناصحين والمرين إلى أسلوب التدرج من الأدنى إلى الأعلى ليسهل على السامع أو المتلقي فهم المراد، واستيعاب المحتوى، ولا سيما إذا كان المحتوى مركباً أو معقداً أو يلقى على من لا يفهمه جملة واحده، وهذا من الأساليب الناجحة في إفهام المستمع، يقول ابن خلدون رحمه الله: (اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً، إذا كان على التدرج، شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا... وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم)<sup>(١)</sup>.

وهذا ما نلاحظه في وصية ابن الجوزي رحمه الله لابنه حيث تدرج معه في الموعظة والوصية حتى يكون على الطريق المستقيم الذي يرضاه الله، فتدرج معه في هذه الوصية فجعلها مقسمة على أمور منها: استحضار العقل في الغاية من الخلق، ثم حثه على طلب الفضائل، وطلب العلم والحث على الاجتهاد في الطاعة، وإعطاء المثل من نفسه. ثم تدرج معه إلى الحث في تعجيل التوبة، واستدراك ما فات، واغتنام العمر. ثم وصية له بالعزلة والزهد. والتقوى فإنها خير زاد. ثم ذكر له بعض الكتب المفيدة ليغتني الوقت في النظر فيها وختم الوصية بحفظ حقوق الناس. ومن مقتضيات هذا التدرج الرفق بالمتعلم، وعدم أخذه بالشدّة حتى يحصل له الفهم والتحصيل.

قال ابن خلدون رحمه الله: (الشدّة على المتعلمين مضرة بهم وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضمّر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة)<sup>(٢)</sup>. ومن هذا نعلم حرص ابن الجوزي على ابنه الوحيد حيث تدرج معه، وقسم له النصيحة، وجزئها له أجزاء لكي يحسن فهمها وتطبيقها.

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٣١٥

(٢) المرجع السابق ص ٤٠٥

## المطلب الثاني

### الأسس العلمية لمنهج ابن الجوزي في وصيته لولده

تتماز وصية الإمام ابن الجوزي رحمه الله لولده، بالأثرية والشمولية في أسسها وطرائق استدلالها، من أبرزها ما يأتي:

#### أولاً: القرآن الكريم:

يتبوأ القرآن الكريم المكانة الأولى والمقام الأسمى عند السلف رحمهم الله، لأنه كلام الله العظيم<sup>(١)</sup>، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ورسالته الخالدة، ورحمته الواسعة، وحكمته البالغة، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل بما فيه هُدي إلى صراط مستقيم، أنزله الله عز وجل على نبيه تبياناً لكل شيء وهدي ورحمة وبشرى للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه"<sup>(٤)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- في وصف منهج السلف: "هم أهل الكتاب والسنة: لأنهم يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس، ويقدمون هدي

(١) فالسلف رحمهم الله متفقون على أن القرآن كلام الله على الحقيقة ليس بمخلوق وأن الله تكلم به بحرف وصوت مسموع وأنه محفوظ من التحريف والتبديل ولا يجوز إنكار حرف منه ومن فعل ذلك فهو كافر انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للدكتور لالكائي ١/٢٧٢.

(٢) سورة الإسراء الآية ٩.

(٣) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٤) رواه الترمذي في سننه باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي رقم ٢٨٥٠ وقال: "هذا حديث حسن غريب".

محمد صلى الله عليه وسلم- على هدي كل أحد، ويتبعون آثاره ز باطناً وظاهراً<sup>(١)</sup>.  
وعلى منهج السلف الصالح رحمهم الله سار الإمام ابن الجوزي في وصيته هذه،  
لذا نجد الإمام ابن الجوزي رحمه الله يؤثر كلام الله في وصيته على غيره، فجاءت  
الوصية مليئة بالنصوص القرآنية.

ولابن الجوزي منهج فريد في الاستشهاد بآي الكتاب، تلخص في الآتي:

### أ- الاستشهاد الصريح:

وذلك عن طريق الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم:

- إما أن يصدر المعنى الذي يريد أن يوضحه بالاستشهاد بآية جامعة تدلّ  
على المراد والمقصود، ليجعل منها أصلاً، يستحضر السامع لوصيته.  
- أو أن يذكر كلاماً أو مقطوعاً من وصيته، ثم يردفه بذكر آيات جامعة  
تدلّ على المراد والمقصود، وله في ذلك مسلكان:

**الأول:** أن يذكر كلام له ثم يعقبه بذكر الآية الجامعة للمعنى، دون أن  
يصرح بذلك، ومثاله: عند ذكره لنعمة الولد، وأن الحافظ لهم هو الله، ثم ختم  
كلامه هذا بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ  
دُعَاءَنَا ۖ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾<sup>(٢)</sup>  
الثاني: أن يذكر كلاماً له، ثم يصرح بأن هذا المعنى تجمعه الآية الفلانية،  
ومن ذلك:

لما ذكر أن من أسباب تحصيل العلم التقوى والتعلق بالله، قال رحمه الله  
عقب ذلك: وأنا أجمعه لك في كلمة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

(١) مجموع الفتاوى ٤٥٧/٣.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٤٠/٤١.



وَيُكَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴿١﴾ (١).

- أو أن يذكر المراد من وصيته، بذكر آيات من كتاب الله، دون تقديم أو تعقيب، ومن ذلك، ما ذكره في مستهل وصيته، في أن الله هو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولكن واجب النصح والتذكير هو الذي حدها لكتابة هذه الوصية، حيث أوجز هذا المعنى بذكر آيات تدل عليه، حيث قال: "لكن قد قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ لَنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ (٣).

- أو أن يذكر قصة من القصص على سبيل الاستدلال والافتداء، ثم يردفها بالآيات الدالة على ذلك، ومثال هذا: واعلم يا بني أن يونس عليه السلام لما كانت ذخيرته خيراً نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ﴾ (٤).

#### ب- الاستشهاد الضمني:

وذلك بأخذ مضمون الآية القرآنية، وصياغتها بأسلوبه، وهو ما سار عليه في أغلب وصيته؛ إذ القرآن الكريم هو مصدر العلوم كلها كما صرح بذلك في كتبه حيث يقول: "...ومتى كان الواعظ عالماً بتفسير القرآن والحديث وسير السلف والفقهاء، عرف الجادة" (٥).

وأمثلة ذلك كثيرة، منها: قوله: "الحمد لله الذي أنشأ الأب الأكبر من تراب، وأخرج ذريته من الترائب والأصلاب"، فهذا مستل من قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ يُخْلَقُ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٦).

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) سورة العصر آية ٣.

(٣) سورة الأعلى آية ٩.

(٤) سورة الصافات آية ١٤٣.

(٥) القصص والمذكرين ص ٣٧٠.

(٦) سورة الطارق آية ٥/٧.

وقوله: وأنعم علينا بالعلم وعرّفان الصواب؛ مستل من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ

الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿١﴾.

ثانياً: السنّة النبويّة:

السنّة النبويّة هي المعين والرافد بعد -القرآن الكريم- للوصية عند الإمام ابن الجوزي، وهذا واضح جليّ لمن وقف على وصيته لولده. وهذا منهج سار عليه ابن الجوزي -رحمه الله- في خطبه ومواعظه ووصاياها؛ قال رحمه الله: "ينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رسول الله، عارفاً بصحيحه وسقيمه ومسنده ومقطوعه ومعضله"<sup>(١)</sup>.

وقال في الحثّ على الاعتماد على السنّة في مقام الخطابة: "وليكن أكثر اعتماده - أي الخطيب والواعظ- على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"<sup>(٢)</sup>.

وطرائق استشهاد ابن الجوزي رحمه الله بالسنّة النبويّة في ووصيته على ضربين:

استشهاد بأقوال المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، واستشهاد بأفعاله وأحواله وسيرته.

أ- الاستشهاد بأقوال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

كانت أقوال النبي -صلى الله عليه وسلم- ومواعظه النبراس الذي يستضيء به، والمعين الذي ينهل منه ابن الجوزي في خطبه ووصاياها، إذ أنّ أقواله وحي يوحى وتشريع يتّبع، مع ما أوتيّه -صلى الله عليه وسلم- من بليغ القول وجوامع

(١) سورة الرحمن آية ٤/٣.

(٢) القصص والمذكرين، ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٢.

الكلم، وسلك -رحمه الله- في استشهاده - بأقوال المصطفى في وصيته-  
مسلكين اثنين:

١- الاستشهاد الصريح: والمقصود بذلك إيراد قوله -صلى الله عليه وسلم-  
أو موعظته في ثنايا الوصية.  
ومن نماذج ذلك:

- حينما بين فضل التقوى وأنه خير زاد للعبد؛ استشهد عقب ذلك بحديث  
ابن عباس المشهور: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك"<sup>(١)</sup>.  
- وحث -رحمه الله- على التعجيل بالتوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما  
بقي من العمر، ثم استدل على ذلك بحديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، قال -  
رحمه الله-: وفي الحديث: "من قال سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة"<sup>(٢)</sup>  
فانظر إلى مضيّع الساعات كم يفوته من النخل".

٢- الاستشهاد الضمني: فقد أشرب قلب ابن الجوزي سنة -صلى الله  
عليه وسلم- ففاضت ينباع الحكمة من فيه، فلا تكاد تقف على موعظة له إلا  
وتجد لها شاهداً من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.  
قال -رحمه الله-: "فإني - بحمد الله - لما كان أكثر اشتغالي بالحديث  
وعلمه لم يكذب يذكرك لي حديث إلا ويمكنني أن أقول صحيح أو حسن أو محال ولي  
في كتي الوعظية - بحمد الله - أعمال عجز عنها من تقدم"<sup>(٣)</sup>. ومن شواهد ذلك:

(١) رواه الترمذي في سننه كتاب الذبائح أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله رقم  
الحديث ٢٥٠٠ وقال: حديث حسن صحيح وأحمد في مسنده رقم الحديث ٢٧٦٣ والحاكم في  
المستدرک رقم الحديث ٦٣٠٤.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه باب الأذکار رقم الحديث ٨٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط: رجاله  
ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم

(٣) القصاص والمذكرين ص ٣٧٣.

- قوله: "وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه، ولا شقي من شقي إلا بإيثار ديناه"، مستل من قول النبي صلى الله عليه وسلم- في الحديث: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به<sup>(١)</sup>.

وقوله: وانظر يا بني إلى نفسك عند الحدود، فتلّمح كيف حفظك لها؟ فإنه من راعى رُوعِي، ومن أهمل تَرْكِ، مستل من حديث ابن عباس المشهور: احفظ الله يحفظك.

### ٣- إيراده للأذكار الشرعية والسنن النبوية:

جاءت وصية ابن الجوزي رحمه الله، مليئة بالأذكار الشرعية، والسنن النبوية، حيث رسم لولده عمل اليوم والليلة، من أذكار الصباح والمساء، ومن النوافل الرواتب، وغيرها، كل ذلك مقتصرًا فيه على أحاديث النبي وسنته القولية والفعلية.

### ٤- مؤاخذات على أساليب ابن الجوزي في بعض استدلاله بالحديث

#### النبوي:

تنوعت أساليب ابن الجوزي -رحمه الله- في إيراده للأحاديث النبوية في وصيته، فنجده:

- يذكر الحديث أحياناً بلفظه الوارد في كتب الصحاح والسنن، مثل حديث ابن عباس -رضي الله عنه- المشهور، وكذا الشأن في الأذكار التي أوردتها.

- وأحياناً أخرى يذكر الحديث بالمعنى: كما في حديث الثلاثة الذين آوهم المبيت في غار فانسد عليهم؛ فدعا كل واحد منهم بصالح عمله، وحديث فإن حفظ المال من الدين، ولأن تَخَلَّفَ لورثتك خير من أن تحتاج إلى الناس<sup>(٢)</sup>

(١) خرجه البيهقي في "المدخل" ١٨٨/١ رقم (٢٠٩) والخطيب في "تاريخه" ٢١/٦، والبعثي رقم (١٠٤) قال الشيخ أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي الفقيه الزاهد نزيل دمشق حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب "الحجة" بإسناد صحيح.

(٢) إشارة إلى حديث سعد بن أبي وقاص "إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالية يتكفون الناس" متفق عليه

- وأحيانا يذكر الحديث ولا يوجد له أصل يروى به، مثل حديث: ما من شاب اتقى الله تعالى في شبابه إلا رفعه الله تعالى في كِبَرِهِ" فلا يوجد له أصل.  
- ونجده يذكر الصحيح من الأحاديث، مثل حديث ابن عباس، وحديث الغار، وغيرها.

وأحيانا أخرى يورد الضعيف منها: مثل حديث: "اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي.." وهو حديث ضعيف<sup>(١)</sup>.  
ونرى ابن الجوزي -رحمه الله- يتساهل في رواية الاحاديث الضعيفة في فضائل الاعمال، علما أن في الصحيح غنية، وفيه أيضا سدا لفتح باب الاستدلال بالمكذوب وغيره.

### ثالثاً: سير السلف الصالح رحمهم الله:

كانت مواعظ المتقدمين من السلف وسيرهم مادة خصبة ومعيناً فياضاً، للوصية ابن الجوزي -رحمه الله-، لذا نجده يبحث على النقل والاستفادة والاستشهاد بأخبار السلف ومقالاتهم. قال -رحمه الله-: "فينبغي للواعظ أن يكون عالماً بالتواريخ، وسير السلف، حافظاً لأخبار الزهاد"<sup>(٢)</sup>. وقال أيضاً: "وليكن أكثر اعتماده على الأحاديث والمنقولات من أخبار الصالحين"<sup>(٣)</sup>.

وقد أكثر ابن الجوزي وهو -الجامع لأخبار الصالحين من السلف ومقالاتهم، كما في كتابه صفة الصفة، من الاستشهاد بمقالات ومواعظ وسير السلف الصالح رحمهم الله في مواعظه ووصاياه.

قال -رحمه الله- عند ذكر جمعه لآلات الوعظ -: "وصنفت كتباً في أخبار الأخيار فمنها كتاب فضائل عمر بن الخطاب وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز و

(١) ضعه الألباني في ضعيف ابن ماجه ٦٠/١. و في الادب المفرد ص ٤١٦.

(٢) الفصايل والمذكرين ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧٢.

الحسن والفضيل وأحمد بن حنبل ومعروف وبشر وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من الصالحين وكتاب عيون الحكايات فيه خمس مائة حكاية مسندة<sup>(١)</sup>. ومن شواهد استدلال بأقوال وأحوال السلف رحمهم الله في وصيته ما يأتي:

### ١- الاستشهاد بمقالات السلف رحمهم الله وأحوالهم:

- ومثاله: في حديثه عن تعجيل التوبة والندم واستدراك ما فات واغتنام ما بقي من العمر؛ استشهد ببعض آثار السلف، فقال: "قال إبراهيم بن أدهم -رحمه الله-: دخلنا على عابدٍ مريض، وهو ينظر إلى رجله ويكي، فقلنا: ما لك تبكي؟ فقال: ما اغترت في سبيل الله تعالى؛ وبكى آخر فقيل له: ما يبكيك؟ قال: على يومٍ مضى ما صمته، وعلى ليلة ذهبت ما قمتها".

- وأحياناً يستدل بأفعال السلف رحمهم الله، ليحصل بذلك الاتساء والافتداء، كما في قوله: "وقد كان السلف يغتنمون اللحظات، فكان كهمسُ [بن الحسن التميمي] يجتم القرآن في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مرات، وكان أربعون رجلاً من السلف يصلون الفجر بوضوء العشاء، وكانت رابعةً لا تنام الليل، فإذا طلع الفجر هجعت هجعةً خفيفةً وقامت فزعةً وقالت لنفسها: النوم في القبور طويل".

- ونجده في مواطن أخرى يستدل بسمت السلف عموماً، دون نسبة لأحد منهم، كما في قوله: "فالزم نفسك يا بني الانتباه عند طلوع الفجر، ولا تتحدث بحديث الدنيا، فقد كان السلف الصالح رحمهم الله لا يتكلمون في ذلك الوقت بشيءٍ من أمور الدنيا".

(١) القصاص والمذكرين ص ٣٧٢.

## المطلب الثالث

### الأساليب الدعوية لابن الجوزي في وصيته

تنوعت الأساليب الدعوية التي استخدمها ابن الجوزي -رحمه الله- في وصيته؛ وهذا بغرض التأثير والإقناع، إذ أن لكل أسلوب ميزته وأثره، ومن أبرز هذه الأساليب، ما يأتي:

#### أولاً: الموعظة، والترغيب والترهيب:

الموعظة الحسنة هي: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب<sup>(١)</sup>.

والترغيب هو: "هو الخطاب المفيد في حمل الناس على التشمير عن ساعد الجد في طاعة الله تعالى لنيل السعادة في الدنيا والآخرة"<sup>(٢)</sup>. والترهيب هو: "هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، وعدم الثبات عليه، وعدم قبوله"<sup>(٣)</sup>.

وقد جاء الحث على استخدام هذا الأسلوب في مقام الدعوة والنصح والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(٤)</sup>. وقد أطنب الإمام ابن الجوزي في وصيته في استعمال هذا الأسلوب الدعوي؛ لأنه أليق بالوصية، وأشدّ تأثيراً في متلقيها، ولأن ابن الجوزي رحمه الله كان حامل لواء الوعظ بلا منازع. ومن نماذج ذلك ما يأتي:

- قوله -رحمه الله- في موعظته ولده في ضرورة محاسبة النفس واستغلال الوقت في صالح العمل حيث قال: "وأن أنفاسَ الحيّ خطوات إلى أجله، ومقدارَ اللبث في الدنيا قليل، والحبس في القبور طويل، والعذاب على موافقة الهوى وبيل،

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١٥٧/٣.

(٢) هداية المرشدين ص ١٩٢.

(٣) أصول الدعوة ص ٤٣٧.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥.

فأين لذة أمس؟ قد رحلت وأبقت ندماً، وأين شهوة النفس؟ نكست رأساً وأزلت قدماً".

- ويقول أيضاً: "واعلم يا بني أن الأيام تبسُّطُ ساعاتٍ، والساعاتُ تبسُّطُ أنفاساً، وكلُّ نفسٍ خزانة، فاحذر أن تُذهِبَ نفساً في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة فتندم". ويقول -رحمه الله- في الترهيب من سبيل المتسرفين والترغيب في سبيل الصالحين:- "فاعتبر بمن مضى من الملوك والزهاد، أين لذة هؤلاء وأين تعب أولئك؟ بقي الثواب الجزيل والذكرُ الجميلُ للصالحين، والمقالةُ القبيحة والعقاب الوبيل للعاصين، وكأنه ما شبع من شبع، ولا جاع من جاع".

- ويقول -رحمه الله- في الترغيب في التوبة: "فانتبه يا بني لنفسك واندم على ما مضى من تفریطك، واجتهد في لحاق الكاملين، ما دام في الوقت سعةً، واسقِ غصنك ما دامت فيه رطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بها عظة، ذهبتْ لذة الكسل فيها، وفاتت مراتبُ الفضائل، وقد كان السلف رحمهم الله يجون جمع كل فضيلة، ويكون على فوات واحدة منها"

- ويقول عند بيانه لحقيقة الدنيا والترهيب من الاغترار بها: "ومن تفكر في الدنيا قبل أن يوجده، رأى مدة طويلة، فإذا تفكر فيها بعد أن يخرج رأى مدة قصيرة، وعلم أن اللبث في القبور طويل، فإذا تفكر في يوم القيامة، علم أنه خمسون ألف سنة، فإذا تفكر في اللبث في الجنة أو النار علم أنه لا نهاية له، فإذا عاد إلى النظر في مقدار بقائه في الدنيا - فرضنا ستين سنة مثلاً - فإنه يمضي منها ثلاثون في النوم، ونحو من خمس عشر في الصبا، فإذا حسبت الباقي، كان أكثره في الشهوات والمطاعم والمكاسب، فإذا خلص ما للآخرة وجد فيه من الرياء والغفلة كثيراً، فيما تشتري الحياة الأبدية، وإنما الثمن هذه الساعات؟! "



## ثانياً: الأمثال:

المثل هو: جملة من القول مقتضية من أصلها، أو مرسلها بذاتها، تتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها"<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم -رحمه الله-: المثل: تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر"<sup>(٢)</sup>.

ولضرب الأمثال أثناء العظة والوصية أكبر الآثار، فهي أوقع في النفوس، وأبلغ في التأثير، وأقوى في الزجر"<sup>(٣)</sup>، وتظهر أهمية ضرب الأمثال في الوصية، من خلال دقة المثل ووضوحه وقدرته على الإقناع، ومن خلال أغراضه وأثره. ومن جملة ما استشهد به ابن الجوزي رحمه الله من الأمثال لتقريب المعاني: قوله رحمه الله: "وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم". وهذا شطر بيت سار مسار الأمثال يضرب للدلالة على علو الهمة وسمو النفس في طلب المعالي، وقد أتى به ابن الجوزي رحمه الله عند حديثه عن علو همة العبد، وضرورة طلب المعالي وبذل الوسع في ذلك. وقال - رحمه الله-: "من قنع بالخبز والبقل لم يستعبده أحد"، وهذا مثل يدل على فضل القناعة، وسمو القانعين.

## ثالثاً: الشعر:

من تدبّر الأشعار وقَلَّب النظر فيها، وجد أنّ منها ما تكون فيه حكّم صائبة، وعبرٌ بانية، تزكّي النفوس وتشحذ الهمم، كما أن فيها ذكرٌ للخير وترغيبٌ فيه، وتعرّيضٌ بالشر وتحذيرٌ منه. وإنّ توشية الوصية بالأشعار الجميلة الرائقة مما تهتز له النفوس، ويحسن وقعه على الأسماع، خصوصاً إذا كان الاستشهاد مناسباً ملائماً، فيحسن أن تُجَمَّل

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي ٢٠/١.

(٢) أمثال القرآن لابن القيم ص ١٧٤.

(٣) هداية المرشدين ص ١٧٧.

الخطب أحياناً بما يناسب المقام، ويتصل بالموضوع. والشعر أعلق في الذهن من المنثور، فإذا كانت الخطبة متضمنة لأشعار راقية، فإن ذلك أدعى لطول بقاء أثرها في نفس السامع، لأن النفس تستحضر المنظوم من القول أكثر من استحضارها المنثور منه. ولقد كان لابن الجوزي اليد الطولي في قرض الشعر الزهدي، والاستشهاد بشعر من تقدمه، ومواعظه ووصاياه. كما نجد يحث الخطباء على الاستشهاد بالشعر في الوصايا المواع فيقول: "ولا بأس أن ينشد الأبيات الزهديات فإن من الشعر حكمة"<sup>(١)</sup>. ومن نماذج ما أورده من أشعار في وصيته: قوله -رحمه الله-: أو ما سمعت قول الشاعر:

بالليل ما جئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تُطوى لي  
ولا نيت العزم عن بابكم إلا تعثرت بأذيالي  
وهذه الأبيات أتى بها في معرض ذكره سعة فضل الله، وإجابته دعاء من دعاه، وكشف كرب من التجأ إليه. ويقول -رحمه الله-: وتلمح سير الكاملين في العلم والعمل، ولا تقنع بالدون، فقد قال الشاعر في ذلك:

ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام  
وفي هذا استشهاد بالشعر من باب الحث على علو الهمة وطلب المعالي. ويقول -رحمه الله-: "وابعث إلى صندوق القبر ما يسرك يوم الوصول إليه، كما قيل:  
يامن بدنياه اشتغل وغرّه طول الأمل  
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل"

وفي هذه الأبيات ترهيب من الاغترار بطول الأمل، والتعاس عن العمل.

رابعاً: إبراز القدوة الحسنة:

الأسوة والقدوة هي: الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا وإن قبيحا وإن ساراً وإن ضاراً<sup>(٢)</sup>.

(١) القصص والمذكرين ص ٣٦٥.

(٢) التوقيف لمهمات التعريف للمناوي ص ٥١.

وقد جاء الترغيب في ضرورة الاقتداء بالأخيار من الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن بَوَّلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾<sup>(١)</sup>.

والناظر في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- يجده قد أسهب في ذكر القدوات الصالحة لابنه حتى يحصل الاقتداء بسمتهم ومنهجهم، حيث يقول: "وتلمَّح سيرَ الكاملين في العلم والعمل". ومن نماذج ذلك:

### ١- الحث على الاقتداء بحال الأنبياء:

يقول -رحمه الله-: "واعلم يا بني أن يونس -عليه السلام- لما كانت ذخيرته خيراً نجا بها من الشدة، قال الله تعالى: ﴿فَقَوْلًا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾<sup>(٢)</sup> لَلَّيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

### ٢- الحث على الاقتداء بحال السلف رحمهم الله:

يقول -رحمه الله-: "واعلم أبي قد تصفحتُ التابعين ومن بعدهم فما رأيت أحظى بالكمال من أربع أنفس: سعيد بن المسيب، وسفيان الثوري، والحسن البصري، وأحمد بن حنبل؛ وقد كانوا رجالاً إنما كانت لهم هممٌ ضعفت عندنا، وقد كان في السلف خلقٌ كثير لهم همم عالية، فإذا أردت أن تنظر إلى أحوالهم فانظر في كتاب "صفة الصفوة"، وإن شئت "أخبار سعيد" و"أخبار سفيان" و"أخبار أحمد بن حنبل"، فقد جمعتُ لكل واحدٍ منهم كتاباً".

### ٣- إبراز القدوة في نفسه:

السير على خطا الأسلاف من الآباء والأجداد إن كانوا على السمت الصالح، من أعظم ما يعين العبد على سلوك طريق الخير والرشاد. وقد جعل ابن الجوزي في

(١) سورة الممتحنة آية ٦

(٢) سورة الصافات آية ١٤٣/١٤٤.

هذه الوصية من نفسه قدوة لولده، وأكثر من ذكر محل القدوة في ذلك، لأن الولد صنو أبيه، والتشبه بالكرام فلاح.

قال -رحمه الله-: "وإني لأذكر لك بعض أحوالي لعلك تنظر إلى اجتهادي، وتسالَ الموفقَ لي، إن أكثر الإناعم عليّ لم يكن بكسي، وإنما هو من تدبير اللطيف بي، فإني أذكر نفسي ولي همة عالية وأنا في المكتب ولي نحو من ست سنين، وأنا قرين الصبيان الكبار قد رزقتُ عقلاً وافراً في الصغر يزيدُ على عقلِ الشيوخ، فما أذكر أبي لعبتُ في طريقٍ مع صبي قط، ولا ضحكْتُ ضحكاً جارحاً، حتى إني كنتُ ولي سبع سنين أو نحوها أحضرُ رحبة الجامع، ولا أتخترُ حلقة مشعبد، بل أطلب الحديث، فيتحدث بالسند الطويل، فأحفظُ جميع ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه. ولقد وُفِّقَ لي شيخنا أبو الفضل ابن ناصر رحمه الله، فكان يحملني إلى الأشياخ، وأسمعي "المسند" وغيره من الكتب الكبار، وأنا لا أعلم ما يُراد مني، وضبط لي مسموعاتي إلى أن بلغت، فناولني ثبتها، ولازمته إلى أن توفي رحمه الله، فأدركتُ به معرفة الحديث والنقل.

ولقد كان الصبيان يتزلون دجلة، ويتفرجون على الجسر، وأنا في زمن الصغر ءأخذ جزءاً، وأقعد حُجزةً من الناس إلى جانب الرِّقَّة فأتشاغلُ بالعلم. ثم أهدمتُ الزهد، فسردتُ الصوم وتشاغلْتُ بالتقلل وألزمتُ نفسي صبرها، فاستمرأتُ وشثمرتُ ولازمت، وأحببتُ السهر، ولم أقنع بفن واحد من العلم، بل كنت أسمع الفقه والوعظ والحديث وأتبع الزهاد. ثم قرأت اللغة ولم أترك أحداً ممن قد انزوى أو يعظ، ولا غريباً يقدمُ إلا وأحضره وأتخير الفضائل.

وكنت إذا عرض لي أمران أقدم في أغلب الأحوال حق الحق، فأحسن الله تدبيره وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحساد ومن يكيدني، وهياً لي أسباب العلم، وبعث إلي الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعوزني شيئاً من الدنيا، بل ساق إلي مقدار

الكفاية وأزيد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحد، وأوقع كلامي في نفوسهم فلا يرتابون بصحته. وقد أسلم على يدي نحو من مائتين من أهل الذمة ولقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف، وقد قطعتُ أكثر من عشرين ألف جُمَّةٍ مما يتعاناها الجهال. ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث فينقطع نفسِي من العَدُوِّ لئلا أُسْبِقَ، وكنت أصبح وليس لي ما أكل أمسِي وليس لي شيء وما أذلي الله لمخلوق، ولكنه ساق رزقي لصيانة عرضي ولو شرحتُ أحوالي لطال الشرح وها أنا ترى ما قد آلت الحال إليه".

#### ٤- إبراز القدوة بذكر النسب:

طيب الأصل مؤذن بطيب الفرع ولهذا يستدل بصلاح الفرع بصلاح الأصل

قال تعالى: ﴿وَتَأْتِخَتَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذا نادى ابن الجوزي -رحمه الله- في ختام وصيته يَنبِّه ولده إلى شرف النسب حتى يحذو حذو الأخيار من القرابة والأجداد، قال -رحمه الله-: "يا بني واعلم أننا من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه- وأبونا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه- وأخباره موثقة في كتاب "صفة الصفوة" ثم تشاغل سلفنا بالتجارة والبيع والشراء فما كان من المتأخرين من رزق همة في طلب العلم غيري وقد آل الأمر إليك، فاجتهد أن لا تحيِّب ظني فيما رجوتُه فيك ولك".

(١) سورة مريم آية ٢٨

## الخاتمة

ها أنذا - بحمد الله - ألقى عصا التسيار متمماً ما بدأتها من البحث في الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي -رحمه الله- لولده المشهورة بـ " لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"

وأختتم ببيان الأمور التالية:

١- الوصايا الشرعية لها أهمية بالغة في توجيه الأبناء والأحباب إلى الخير وتحذيرهم من الشر وبيان عاقبته.

٢- الوصية المبرزة لها صفات عديدة؛ دائرة بين التأصيل العلمي، والحث على التقوى والاستقامة، والتحلي بكرم الخصال وطيب الفعال.

٣- اتّسمت وصية ابن الجوزي لولده بخصائص عظيمة: فهي تجمع بين الأصالة في مصادرها، والتنوع في أساليبها ومضامينها، والقوة في بيانها وتراكيبها.

٤- بلغت عناية ابن الجوزي بوصيته لولده الغاية القصوى، واجتمعت فيه آلا الوعظ العلمية والأخلاقية والإيمانية، حتى غدت وصيته علماً مبرزاً وقُدوة يقتدى بها.

٥- نوع ابن الجوزي رحمه الله تعالى في النصح لابنه حتى شملت العقيدة الصافية والعبادة الصحيحة والأخلاق الحميدة، والحث على طلب العلم الشرعي الذي به قوام الدنيا والدين.

٦- ظهرت قوة ابن الجوزي -رحمه الله- في هذه الوصية في براعة الاستهلال وحسن الختام وسهولة الألفاظ وتراكيب الكلام.

وفي الختام أوصي نفسي وإخوتي على نهج منهاج ابن الجوزي في النصح للأبناء فهو نعم الاستثمار في الحياة وبعد الممات وانقطاع الأعمال.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. .

## فهرس المصادر والمراجع

١. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي. ط/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٨، تحقيق: عبد الجبار زكار .
٢. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ط/ دار المعرفة - بيروت.
٣. أدب الدنيا والدين: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي. شركة مصطفى الحلبي - مصر - ١٣٩٣هـ، ط/٤، تحقيق: مصطفى السقا
٤. أدب المجالسة وحمد اللسان وفضل البيان وذم العي وتعليم الإعراب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري. دار الصحابة للتراث - طنطا - ١٤٠٩، ط/١، تحقيق: سمير حلبي
٥. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط/٣، ١٤٠٩هـ.
٦. الأدب المفرد، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. دار البشائر الإسلامية - بيروت - ١٤٠٩هـ، ط/٣، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي
٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (تفسير أبي السعود): محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨. الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠م، ط/١، تحقيق: سالم محمد.
٩. أسرار البلاغة، عبد القادر الجرجاني، مكتبة المتنبي، ط/٢، ١٣٩٩ هـ
١٠. أصول الدعوة، د عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٩، ١٤٢٣هـ.

١١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، ط/ دار الجليل بيروت م١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
١٢. أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع تأملات وتدبر، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني. ط/٢، دار القلم - دمشق - ١٤١٢ هـ.
١٣. الأمثال في الحديث النبوي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان أبو الشيخ الأصبهاني، الدار السلفية الهند ١٤٠٨ هـ، ط/٢، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد
١٤. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، دار صعب، بيروت، ط/١، ١٩٦٨م، تحقيق: المحامي فوزي عطوي.
١٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: المحامي فوزي عطوي دار مكتبة الحياة، بيروت
١٦. تحفة المودود بأحكام المولود: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، مكتبة دار البيان - دمشق، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط/١، ١٣٩١ هـ.
١٧. تفسير القرآن العظيم: الحافظ أبو الفداء ابن كثير، ط/ دار الفكر، بيروت، ط/ ١٤٠١ هـ.
١٨. تلبس إبليس، الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق وتخريج: محمد علي أيوب العباس، ط/ مكتبة القرآن للطباعة.
١٩. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي. دار الفكر - دمشق - ١٤١٠ هـ، ط/١، تحقيق: د. كمال رضوان.



٢٠. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، الإمام زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط/٧، ١٤١٧هـ
٢١. الجامع لأحكام القرآن، الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط/ دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ.
٢٢. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. ط/ دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض - ١٤٠٣ هـ، تحقيق: د. محمود الطحان.
٢٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط/٤، ١٤٠٥هـ.
٢٤. ديوان الإمام الشافعي. دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤١٦ هـ، ط/٣، جمع وتحقيق وشرح: د. اميل بديع يعقوب.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود الألوسي أبو الفضل، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٦. زهر الأكم في الأمثال والحكم، للحسين اليوسي. دار الثقافة للنشر والتوزيع - ط/ الدار البيضاء - تحقيق: محمد حجي، وآخرين.
٢٧. صحيح سنن الترمذي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٨هـ.
٢٨. صحيح سنن النسائي، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، توزيع المكتب الإسلامي، ط/ ١، ١٤٠٩هـ.
٢٩. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٠. صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٤٢٤ هـ، ط/١.
٣١. العزلة، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي. المطبعة السلفية - القاهرة - ١٣٩٩ هـ، ط/٢.
٣٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٥ م، ط/٢.
٣٣. فتح الباري بشرح صحيح البخاري أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ المكتبة السلفية.
٣٤. الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. دار ابن الجوزي - السعودية - ١٤٢١ هـ، ط/٢، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي
٣٥. القاموس المحيط: للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٣، ١٤١٣ هـ.
٣٦. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤١٩ هـ، ط/٣.
٣٧. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري. ط/ المكتبة العصرية - بيروت - ١٤٠٦ هـ، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم.
٣٨. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، ط/ دار النشر، مؤسسة الرسالة - بيروت -
٣٩. لسان العرب، الإمام العلامة ابن منظور جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي ثم المصري، دار صادر، بيروت، ط/١.

٤٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية الحرّاني الدمشقي، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي، وابنه محمد، ط/ جمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
٤١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط/ ١٤١٥هـ.
٤٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٣٩٣هـ، ط/ ٢، تحقيق: محمد حامد الفقي.
٤٣. المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسبوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط/ دار الفكر، بيروت.
٤٤. المسند، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط/ الميمنية، وبهامشه منتخب كثر العمال من سنن الأقوال والأفعال، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/ ٢، ١٣٩٨هـ.
٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت.
٤٦. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط ١، ١٤١٢هـ.
٤٧. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. ط/ دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، عام ١٣٩٢هـ.
٤٨. المعني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي، تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، ط/ ١، عام ١٤٠٦هـ.
٤٩. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد الخطيب الشربيني، ط/ دار الفكر بيروت.

٥٠. مفاتيح الغيب: (التفسير الكبير)، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ، ط ١.
٥١. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. ط/ دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٢. مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي. دار القلم - بيروت - ١٩٨٤ م، ط ٥.
٥٣. منهج الإسلام في تزكية النفس، وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، د. أنس كرزون. دار نور المكتبات، دار ابن حزم - جدة، بيروت - ١٤٢١ هـ، ط ٣.
٥٤. من روائع النصائح والوصايا لفتة الكبد إلى نصيحة الولد الإمام الحافظ ابو الفرج بن الجوزي، نصح بها ولده أبا القاسم بدر الدين، شرح وتحقيق أشرف عبد المقصود بن عبد الرحيم عفا الله عنه ط/ عام ١٤١٢هـ، مكتبة الإمام البخاري.
٥٥. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول، إعداد مجموعة من المختصين، إشراف د. صالح بن عبد الله بن حميد، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط/ ١، ١٤١٨هـ.
٥٦. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ط/ المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي
٥٧. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني الناشر: ط/ إدارة الطباعة المنيرية
٥٨. هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ. دار مصر للطباعة: ١٣٩٥ هـ، ط/ ٧.

البحث رقم (٤)

## منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي

إعداد

د. تركي بن عبدالله السكران

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة



## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ. وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم- مؤيداً بكتابه وكلامه الحق المبين الذي لا ريب فيه، هدى ونوراً ورحمة للعالمين، وحجة بالغة على الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ. وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>(٤)</sup> فبلغه صلى الله عليه وسلم- أتم بلاغ، وأقام الحجة به على الإنس والجن أجمعين، وتركهم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن فضله تعالى أنه لم ولن تخل الأرض من قائم بالدين بحجة، وداع إلى

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: (٧٠ - ٧١).

(٤) سورة المائدة، الآية: (١٦).

سبيله على بصيرة، هم الطائفة المنصورة، الذين قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم فيما رواه معاوية -رضي الله عنه- أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (لا يزال من أمي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك<sup>(١)</sup>).

وقد قام رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- بواجب البلاغ كما أمره الله تعالى، وكان من جملة ما بلغه ودعا إليه؛ الجانب الاقتصادي لما له من أهمية لا تخفى في حياة الناس.

وقد تتابع الدعوة إلى الله تعالى من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تأصيل وتحقيق الأمن الاقتصادي، لما لذلك من تأثير إيجابي فاعل في حياة الناس.

وبالتتبع والاستقراء لم أجد فيما اطلعت عليه من كتب عن بيان " منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي " ، فعقدت العزم بعد استشارة واستشارة في الكتابة حول هذا الموضوع، سائلًا الله أن تسد هذه الدراسة نقصًا، أو تكمل بناء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

### أهمية الموضوع:

لدراسة هذا الموضوع أهمية تظهر من خلال ما يلي:

- ١- حماية الاقتصاد الإسلامي والعمل في ازدهاره.
- ٢- تشجيع اليد العاملة على تطوير الاقتصاد الإسلامي وتنويع مصادره.
- ٣- تثقيف الخاصة والعامة في أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي.
- ٤- إن اتباع ما أنزل الله تعالى على رسوله -صلى الله عليه وسلم- هو سبيل السعادة والفلاح والحياة الطيبة، فيما يتعلق بالأمن الاقتصادي، وترك ذلك سبب للخسران المبين للحياة الكريمة التي منحها الله تعالى لعباده.

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب (٤/٢٠٧/ برقم: ٣٦٤١).



- ٥- مما يشاهد في وقتنا المعاصر أن الأمة الإسلامية تواجه كثيراً من التحديات الراهية إلى ضرورة التدخل السريع لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأموال المتناثرة التي لم تستعمل لدعم الجياع من أبناء الأمة الإسلامية، ولا في الدعوة الإسلامية، ولا لدعم أي قطاع يخدم الأمة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- ٦- بيان أن الحفاظ على الأمن الاقتصادي هو العامل الرئيس للنهوض والرقى نحو الازدهار، ذلك أن القوة الجوهرية لأي أمة تكمن في قوة عقيدتها واقتصادها.
- ٧- إظهار جانب من منهج الدعوة الإسلامية في الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وتوظيف الاقتصاد كأداة ووسيلة للدعوة إلى الله تعالى حسب السياسة الشرعية.

### أسباب اختيار الموضوع:

جملة أسباب دعت الباحث لدراسة هذا الموضوع، من أهمها:

- ١- المساهمة في إيجاد حلول جذرية لحماية الأمن الاقتصادي في المجتمع المسلم نتيجة للظروف الطارئة التي تمرّ بالاقتصاد الإسلامي.
- ٢- محاولة رسم سبل ووسائل لضبط الإخلال بالأمن الاقتصادي للحيلولة دون المزيد من الانهيارات الاقتصادية سواء من الناحية الأمنية أو الأخلاقية أو العلمية كما هو مشاهد اليوم.
- ٣- تساهم هذه الدراسة بإذن الله تعالى في بيان منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

٤- أن من ضمن واجبات الدعوة إلى الله المساهمة في رسم آلية علاجية لما قد تتعرض له الأمة الإسلامية من مشكلات رئيسة، يمثل الجانب الاقتصادي عنصراً رئيساً فيها.

### تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس، ويتفرع عن هذا السؤال التساؤلات التالية:

- ١ - هل للدعوة الإسلامية منهج في تحقيق الأمن الاقتصادي؟
- ٢ - ما مفهوم الأمن الاقتصادي؟
- ٣ - ما منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في تحقيق الأمن الاقتصادي؟

- ٤ - ما الخطر الناجم عن العبث بالأمن الاقتصادي؟  
 ٥ - ما دور الدعوة إلى الله في التصدي للعابثين بالأمن الاقتصادي؟  
 ٦ - ما أثر تحقيق الأمن الاقتصادي على الفرد والمجتمع؟

#### خطوات إجراءات الدراسة:

سلك الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وفق خطوات بحثية أهمها:  
 ١ - عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع ذكر رقم الآية وكتابتها بالرسم العثماني.

٢ - تخريج الأحاديث، فإذا كانت في الصحيحين أو أحدهما، فيكتفي بالإشارة إلى مواطنها فيهما، وإن كانت في غيرهما فيخرج، وتذكر أقوال أهل العلم في بيان درجتها حسب الإمكان.

٣ - عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة، مع بيان اسم الكتاب، والمؤلف.

٤ - وضع الفهارس الفنية لهذه الدراسة.

#### خطة الدراسة:

تشتمل الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة.

#### الخطة التفصيلية للدراسة:

تتكوّن هذه الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المقدمة: تشمل أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

التمهيد: ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة الرئيسية.

المبحث الأول: ويشمل الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على

أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، والدروس الدعوية المستفادة من ذلك.

المبحث الثاني: ويشمل خطر الاسراف المادي والعبث بالاقتصاد وأثر ذلك

على الفرد والمجتمع.

المبحث الثالث: دور الدعوة إلى الله تعالى في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن

الاقتصادي.

الخاتمة: وتشمل ملخص الدراسة، وأهم النتائج والتوصيات.

## التمهيد

ويشمل التعريف بمصطلحات الدراسة (الأمن - الاقتصاد). التمهيد

أولاً: تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

الأمن لغة: الأمن: ضد الخوف، والأمانة: ضد الخيانة، والإيمان: ضد الكفر، والإيمان: بمعنى التصديق، وضده التكذيب، يُقال: آمن به قومٌ وكذب به قومٌ<sup>(١)</sup>.

الأمن نقيض الخوف، أمِنَ فلانٌ يأمنُ أمنا وأمناً<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً، الأمن: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف<sup>(٣)</sup>.

ويتضح خلال التعريفات السابقة أن الأمن ضدَّ الخوف، وأنَّ الأمن هو الطمأنينة في النفس، وراحة في البال.

وأما الخوف فهو ضدُّ ذلك، وهو عدم الطمأنينة في النفس، والقلق، والفرع، والهول، والاضطراب النفسي الدائم.

ويزيد ما سبق وضوحاً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ

الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٢١/١٣) الناشر: دار صادر - بيروت، ط ١٤١٤/٣هـ، وانظر: العين، خليل الفراهيدي، (٣٨٨/٨) وانظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر الأزدي، (٦١٧/١)، وانظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للفياري، (٢٠٧١/٥)، وانظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٣٣/١).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (٢١/١٣).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، ص (٦٣) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة، ط ١/١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) سورة النساء، الآية: (٨٣).

قال الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (إذا جاءهم أمر أنهم قد آمنوا من عدوهم، أو أنهم خائفون منهم، أذاعوا بالحديث حتى يبلغ عدوهم أمرهم)<sup>(١)</sup>.  
ويلاحظ أن الله تعالى آمن مكة المكرمة لعباده، من أجل ارتياح النفوس فيها لعبادته سبحانه وتعالى، من صلاة، وطواف، وذكر، فقال تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup> والمراد به (مكة المكرمة).

قال مقاتل -رحمه الله-: يعني مكة يأمن فيه كل خائف، وكل أحد في الجاهلية والإسلام ولا تقام فيه الحدود فأقسم الله عز وجل هؤلاء الآيات الأربع<sup>(٣)</sup>.  
وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهْدِنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(٤)</sup>.  
وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾<sup>(٥)</sup> فهذه همة للعباد الذين سيفدون إليها، لتكون نفوسهم في غاية الطمأنينة والأمن للإقامة فيها وأداء العبادات المتعددة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن﴾<sup>(٦)</sup> ﴿بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (٢٥٣/٧) تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن بمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١٤٢٢/١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) سورة التين، الآية: (٣).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، (٧٥١/٤) المحقق: عبدالله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط ١/ - ١٤٢٣هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٢٥).

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٦) سورة الحج، الآية: (٢٦).

الأمن اصطلاحاً: لا يختلف معنى الأمن اصطلاحاً بمعناه اللغوي، ومُلخّص معنى الأمن اصطلاحاً، هو: (الوقاية من كل شرٍّ)، قال تعالى: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال البغوي رحمه الله:- (فوقاهم الله شر ذلك اليوم، الذي يخافون، ولقاهم نضرة، حسناً في وجوههم، وسروراً، في قلوبهم)<sup>(٢)</sup>.

أتضح من خلال المعنى الاصطلاحي أن الأمن ضدّ الخوف كما في المعنى اللغوي، ويظهر ذلك في قوله (فوقاهم الله شر ذلك اليوم الذي يخافون)، وأن مفهوم الأمن اصطلاحاً، هو: (نضرة حسنة تظهر على الوجوه، وسرور مُنبثق من القلب)، وقد أشارت الآية الكريمة على كلا المعنيين اللغوي والاصطلاحي.

ثانياً: تعريف الاقتصاد لغة واصطلاحاً:

الاقتصاد لغة: هُوَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ الإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ<sup>(٣)</sup>.

قال الزبيدي: الاقتصاد، يُقال: فلان مُقتصد في المعيشة وفي النفقة، وقد اقتصد، واقتصد في أمره: استقام، وفي البصائر للمصنف: واقتصد في النفقة: تَوَسَّطَ بين التقتير والإسراف.

ومن الاقتصاد ما هو محمود مطلقاً، وذلك فيما له طرفان: إفراط وتفريط، كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، وكالشجاعة، فإنها بين التهور والجن، وإليه

(١) سورة الإنسان، الآية: (١١).

(٢) معالم الترتيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد

بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) (١٩٢/٥) المحقق: عبد الرزاق المهدي

الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١/١٤٢٠هـ.

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو

البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ص (١٦٠) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر:

مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.

الإشارة بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾<sup>(٦٧)</sup>.

**والاقتصاد:** الأموال القابلة للتملك والتقوم والمحدودة الكمية والثروة القومية مجموعة القوى المنتجة في الدولة<sup>(٦٨)</sup>. ويمكن تلخيص معنى الاقتصاد لغة أنه: علم يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع<sup>(٦٩)</sup>.

**الاقتصاد اصطلاحاً:** هو الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، الاعتدال في الدُخول والإنتاج والمنصرفات، لضمان بقاء الحياة الاقتصادية في جو معتدل بعيداً عن التدهور والكساد<sup>(٧٠)</sup>.

ويمكن تحديد معنى الاقتصاد من الناحية الاصطلاحية أنه:

"مجموعة من الثروات والأموال والنقود والأثمان والموارد التي يستعملها الإنسان كمصدر للعيش الكريم، بما فيها من صنوف الزروع والمياه أو غير ذلك من الموارد ذات الصلة من غير إسراف ولا تبذير فيها".

كما يمكن تعريف الأمن الاقتصادي بأنه: "الثقة في إمكانية الإنتاج والتوزيع بطريقة عادلة وبدون معوقات"<sup>(٧١)</sup>.

(١) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) ص (٣٦/٩) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر / محمد النجار) (٩٥/١) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تساريخ، وانظر: الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، (٦٢/١).

(٤) المرجع السابق، (٢/٧٣٨).

(٥) خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (٢٠١/١) تاريخ الطبعة، ربيع الآخر-رمضان ١٤٠١هـ، بدون عدد الطبعة.

(٦) منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله الفضاة، وأصل هذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، ص (٦) تاريخ ١٩٩٦م-١٤١٧هـ.

ويمكن للباحث إجمال معنى الأمن الاقتصادي بأنه:  
"ضمان ازدهار العوامل الانتاجية المتعلقة بالثروات والحفاظ على مستوى المتانة الاقتصادية ومنع ركودها، ومكافحة تضخمها".

## المبحث الأول

### الأدلة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك

توطئة:

لم يضع الشارح الحكيم مصلحة للإنسان إلا لخدمته، وهذا يظهر كرامة الله التي حظي بها الإنسان، وهي من نعم الله تعالى على عباده، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

ومن نعم الله تعالى على عباده أن بسط لهم الرزق الطيب بقدر ما يُقيمهم طائعين لله خاضعين له، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَآيَمَلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن الملاحظ أن الله تعالى قارن بين عبادته وبين الرزق، فإذا حظي العبد برزق الله تعالى وجب عليه أن يُكرِّس ذلك في شكره سبحانه وتعالى ويتضمن شكره عبادته، لأنهما متلازمان.

قال تعالى حكاية عن طبيعة نفس البشر وما يعترئها من وساوس الشيطان ونزغاته التي تُفضي به إلى الانفلات من طاعته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّزِّلَ يَقْدَرُ مَا يُنْشَأُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة إبراهيم، الآية: (٣٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٧٠).

(٣) سورة العنكبوت، الآية: (١٧).

(٤) سورة الشورى، الآية: (٢٧).



ومع هذا القدر المحكم من لدن حكيم خبير، فقد بغى بعض الخلق لتوظيفهم رزق الله تعالى الذي رزقهم به في معصية الله تعالى وبما فيه الإسراف والإخلال بتأمين هذا الرزق الحسن الرباني، فأصبح ذلك ضرراً عليهم وعلى الفقراء والمساكين، حيث لا هم استفادوا من أموالهم في وجه حق، ولا هم اعطوا الفقراء والمساكين حقوقهم كما هو مقرر شرعاً.

أولاً: النصوص الشرعية من القرآن الكريم الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحِصِّنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>. ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قال أبو الليث السمرقندي: (قوله عز وجل: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ يعني: دروع الحديد، وذلك أن داود عليه السلام خرج يوماً متنكراً ليسأل عن سيرته في مملكته، فاستقبله جبريل عليه السلام على صورة آدمي فلم يعرفه داود فقال: كيف ترى سيرة داود في مملكته؟ فقال له جبريل عليه السلام: نعم الرجل هو، لولا أن فيه خصلة واحدة! قال: وما هي؟ قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال، وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده، فرجع داود عليه السلام وسأل الله عز وجل أن يجعل رزقه من كدّ يديه، فألان له الحديد، وكان يتخذ منها الدروع ويبيعها ويأكل من ذلك، فذلك قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ يعني: ألهناه، ويقال: عَلَّمْنَاهُ بالوحي ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ ﴿لِنُحِصِّنَكُم مِّنْ بِأْسِكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> يعني: بمنعكم

(١) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

قتال عدوكم<sup>(١)</sup>.

ومما يُقَوِّي هذه الرواية التي أوردها أبو الليث السمرقندي في تفسيره، أنه ثبت في صحيح البخاري من حديث المقدم عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام، كان يأكل من عمل يده)<sup>(٢)</sup>.

ومن أوجه الاستشهاد بالآية أيضاً:

أن قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وما فيها من تعليم الله تعالى لداود عليه السلام صنعة لبوس يُفَسِّرُ نظرية الاقتصاد المعروفة بمبدأ (الانتاج مُقدِّمٌ على الاستهلاك) لأن الله تعالى أراد من عبده داود عليه السلام أن يكون مُنتجاً لا مُستهلكاً، بجامع أن عملية الانتاج تُؤمِّن الاقتصاد وتُحافظ على ازدهاره، بخلاف الاستهلاك فإنه عامل ركود إن لم تُصاحبه دوامة الانتاج.

ويتَّضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال هذه الآية بالآتي:

- ١- أن على الداعية أن يكون حريصاً على الاكتفاء الذاتي، فيما يتعلق بزيادة الداعية واحتياجاته اليومية لدعم الدعوة، ومنهج الأنبياء عليهم السلام في الدعوة إلى الله خير قدوة للدعاة، وما جاء عن داود عليه السلام خير دليل على ذلك.
- ٢- وكما أن على الداعية أن يدعوا الناس الى عبادة الله وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فعليه أيضاً أن يدعوهم ويحثهم على اصلاح الاقتصاد

(١) بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) (٢/٤٣٥). بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، (٣/٥٧/٢٠٧٢).

(٣) سورة الأنبياء، الآية: (٨٠).

والعمل الرامي إلى الانتاج، وتوعيتهم بمخاطر الاستهلاك الذي يُؤدّي في النهاية إلى الركود الاقتصادي إذا ما ركّز الناس على الاستهلاك فقط دون الإنتاج.

٣- كما تدل الآية الكريمة أيضاً على أولوية الانتاج وأهميته في حياة الفرد والمجتمع، وأن الدعوة الإسلامية تهدف فيما تهدف إليه إلى إصلاح شؤون حياة للناس وفق الشريعة الإسلامية، وأن القاعدة المعمول بها في هذا، هي (عدم التفريق بين الحياة والدين) بخلاف من زعم أن الحياة والدين شيان مُضادّان، والرّد على هذه النظرية أن داود عليه السلام إنما أرسل إلى قومه لإبلاغ دين الله تعالى، ومع ذلك فإن الله تعالى خاطب نبيّه وأمره في الآية بـ ﴿صَنَعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهذا يرمي إلى شؤون الدّين والحياة معاً وذلك لسببَيْن:

١- أمّا ما يرمي إلى شؤون الحياة في الآية الكريمة، فإنّه يمكن انتاج ما يتم صنعه من لبوس لتوفير المال وجعل ذلك ضمن الموارد الاقتصادية تُعين الداعية على العيش الكريم والاكتفاء الذاتي، والانفاق على المستحقين من الفقراء والمساكين من المدعوين.

٢- أمّا ما يرمي إلى شؤون الدّين المحضة، قوله تعالى: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي: يمنعكم قتال عدوكم<sup>(٢)</sup>، وهذا في ميدان الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد من الدّين، وهو سنة الأولين والآخرين للأنبياء والرسل عليهم السلام ولأتباعهم، وهو من أهم ركائز الشريعة الإسلامية في كل زمان ومكان لحماية الدعوة والمدعوين إذا ما لزم ذلك.

فأتضح ممّا سبق التّلازم من خلال هذا التحليل العلمي بين الحياة والدين وتعدّر التفريق بينهما.

(١) سورة الأنبياء: (٨٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (٢/ ٤٣٥).

٢- قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ووجه الاستدلال بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ قال أبو الحسن الواحدي -رحمه الله-: (أما السبع بقرات السماء فإنها سبع سنين مخصبات وذوات نعمة، وأنتم تزرعون فيها، وهو قوله: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: فازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًا﴾ قال ابن عباس: متوالية.  
 والدَّاب: استمرار الشيء على عادة، وهو دائب يفعل كذا، أي: استمر في فعله، وقد دأب يدأب دأبًا ودأبًا.

والمعنى: زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم فما حصدتكم مما زرعتهم ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: ما أردتم أكله فدوسوه، ودعوا الباقي في السنبُل، لأنه أبقى له وأبعد عن الفساد ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني: سبع سنين مجدبات، والشَّداد: الصَّعاب التي تشتدُّ على الناس يأكلن يذهبن ويفنين ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ في السنين المخصبة: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ تحرزون وتُدخرون<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة يوسف، الآية: (٤٧ - ٤٩).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، (٢/٦١٦) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١٤١٥/١ هـ - ١٩٩٤ م.

## وجه الاستشهاد بالآية الكريمة:

قوله تعالى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾ يُفيد الحث على استمرارية الانتاج ودوامته، وبيان أهميته، والهدف من هذا الحفاظ على استقرار الاقتصاد المحلي واحتياطية الغذاء التي تضمن حفظ استمرارية حياة الناس عندما يأتي وقت الجذب. قوله تعالى: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ يُفيد الحث على تأمين المحصول المنتوج، وهذا التحليل العلمي يُفسّر نظرية (تدوير المُنتَج) الاقتصادية، ليكون الاقتصاد أكثر متاناً وثباتاً.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ يُفيد الحث على القدر الكافي لاحتياج الإنسان اليومي، والكف عن استهلاك ما دون الحاجة، وهذا ضمن مفهوم مصطلح (الأمن الاقتصادي) وهذا ما ورد في الحديث الشريف من حديث مقدم بن معدي كرب، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (بحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)<sup>(١)</sup>. ذلك أن استهلاك ما فوق الحاجة إسراف وتبذير ويُسبب هذا إفناك الاقتصاد وركوده، ويتناقض ذلك مع مفهوم كلمة (الاقتصاد) ومقاصدها.

ويُتضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي خلال هذه الآية:  
١- أن على الداعية (أن لا يتأخر عن البيان في وقت الحاجة)، وهذا من القواعد الأصولية التي يُستفاد منها في تحقيق الدعوة الإسلامية في الوقت المناسب،

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، (٢٣٨٠/٥٩٠/٤)، وأخرجه ابن ماجه، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع، (٣٣٤٩/١١١١/٢) وقال ناصر الألباني رحمه الله حديث صحيح، انظر: رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (٥٢١/٢٣٩/١) الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق: محمد ناصر السديني الألباني.

وهذا ما فعله يوسف عليه السلام حيث استفتى الفتي يوسفَ عليه السلام عن رؤية رآها في نومه، فبينَ يوسفُ عليه السلام مآل قومه، بالإضافة إلى إيجاد حلولٍ لهم حين تقع الواقعة.

٢- أنَّ على الداعية التحوُّل بالدعوة وأن لا يكون تركيزه في الدعوة على أمر واحد، بل يُنوّع مسار دعوته في جميع شؤون الحياة، لأن يوسف عليه السلام لم يدع مجالاً من مجالات الدعوة إلا واستدمه، ومن ذلك تعبير الرؤيا لما في ذلك من مصالح الناس إذا كان الداعية مُلمّاً بذلك، فقد ورد من حديث أبي قتادة -رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث حين يستيقظ ثلاث مرات، ويتعوذ من شرها، فإنها لا تضره)<sup>(١)</sup>.

٣- أنَّ على الداعية أن يُحذّر المدعوين من مخاطر وعواقب العقوبات العامة التي تنزل بالناس بعمل الخاصة، وهذا بالنظر إلى ما أرادت امرأة العزيز بيوسف عليه السلام، وعاقبة فعلها على العامة.

٤- أنَّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ يُفيد الأمن الاقتصادي، وهو استعمال الاقتصاد على قدر الحاجة، وتأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استهلاكه. وهذا ما يؤيِّده الحديث الشريف، حيث قَسَمَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- ما تدعو الحاجة إلى استهلاكه بوضع قاعدة عامة له، وهي:

الثُّلث: لطعامه.

والثُّلث: لشرايه.

والثُّلث: لنفسه.

وهذا التَّقْسيمُ الثُّلاثيُّ يضمن تأمين ما لا تدعو الحاجة إلى استهلاكه، إلى حين احتياج المستهلك إليه، وهو المفهوم الحقيقي لكلمة (الاقتصاد)، لأن مفهوم الاقتصاد يرمي إلى نبذ فساد الثروة من دون حاجة، وتبعات هذا الفساد على

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية (٧/١٣٣/٥٧٤٧).

النمو.

٣- قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۗ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١﴾.

وجه الاستدلال بالآية الكريمة: قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ۗ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ يفيد الحث على الانتاج، لأن الحرث المراد في الآية هو الكسب عن طريق انتاج المزرع.

قال ابن قتيبة رحمه الله: الحَارِثُ الكاسِبُ يُقَالُ حَرِثَ إِذَا كَسَبَ واحترث المال كَسَبَهُ وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَحْرِثُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: { مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا } (١) أي من كان يريد كسب الآخرة نضاعف له كسبه يريد تضييف الحسنات ومن كان يريد كسب الدنيا نؤته منها (٢).

وفي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لا يقولن أحدكم: زرعت ولكن ليقل: حرثت" قال أبو هريرة: ألم تسمع إلى قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٤﴾ (٥).

(١) سورة الواقعة، الآية: (٦٣ - ٦٥).

(٢) سورة الشورى، الآية: (٢٠).

(٣) غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ -)، (٢٨٦/١) المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، ط ١/١٣٩٧هـ.

(٤) سورة الواقعة، الآية: (٦٤).

(٥) أخرجه ابن حبان في الإحسان، (١٣/٣٠/٥٧٢٣) وأخرجه ابن جرير الطبري في "التفسير" (٢٧/١١٤) والبراز (١٢٨٩) والطبراني في "الأوسط" (١/١٤٩-١) الظاهرية، وأبو نعيم في "الحلية" (٨/٢٦٧) والسهمي في "تاريخ جرجان" (٣٦٩)، والبيهقي في "السنن" (٦/٦).

ويلاحظ هنا أن من حكمة الله تعالى أنه لم يقل (أفأنتم ما تأكلون) لأن الخطاب لو جاء بهذا النحو لكان الحث على الاستهلاك مُقدِّماً على الحث على الانتاج، وهذا نقيض مفهوم الاقتصاد، بل جاء الخطاب في التأكيد على أهمية الانتاج والاستثمار، وهذا ما ذكرته سابقاً ضمن قواعد علم الاقتصاد المعروفة بـ (الانتاج مُقدِّم على الاستهلاك) وهذا ما ورد في الآية الكريمة.

وبناءً على قاعدة: (بضدّها تبيّن الأشياء) فقد جاء هذا الضدّ في الآية الكريمة لتكون المقاصد أكثر وضوحاً، وهو قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فالآية السابقة كانت تُحثّ على الانتاج وتبلور الاقتصاد وتأمينه، فعُرف أهمية ذلك بضدّه وهي العواقب الناجمة عن عدم حصول الاقتصاد على التأمين بعد انتاجه واستثماره، فجاءت في هذه الآية الكريمة قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ فعلم أن العاقبة تكون وخيمة إذا خلى الاقتصاد من التأمين والحفظ.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (لو نشاء جعلنا ذلك الزرع الذي زرعه حطاماً، يعني هشيمًا لا يُنتفع به في مطعم وغذاء)<sup>(١)</sup>.

وقال الماوردي -رحمه الله-: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ يعني الزرع، والحطام الهشيم المالك الذي لا ينتفع به، فنبّه بذلك على أمرين:

(١٣٨) وفي "شعب الإيمان" أيضاً (٤ / ٢٨٠١) كلهم، من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي، قال ناصر الدين الألباني: حديث صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، (٦/٧١٥/٢٨٠١).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (١٣٩/٢٣) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠/١هـ - ٢٠٠٠ م.



أحدهما: ما أولاهم من النعم في زرعهم إذ لم يجعله حطاماً ليشكروه.  
الثاني: ليعتبروا بذلك في أنفسهم<sup>(١)</sup>.

بناءً على هذا التنبيه على الأمرين المذكورين على لسان الماوردي رحمه الله- اللذين جاء تقسيمهما على قسمين الانتاج والاستهلاك بإيراد قاعدة (بضدّها تبيّن الأشياء) سابقاً.

ثانياً: النصوص الشرعية من السنة النبوية الشريفة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ومنهج الدعوة الإسلامية في تحقيق ذلك:

جاءت أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي في السنة النبوية الشريفة، من ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة، وقال ابن عباس: "كل ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان: سرف، أو مخيلة"<sup>(٢)</sup>).

وجه الاستدلال بالحديث النبوي:

قوله صلى الله عليه وسلم، (كلوا واشربوا.... في غير إسراف ولا مخيلة). يُفيد أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، ونبذ الإخلال بأمنه بإسراف أو مخيلة أو سائر أوجه التبذير المنهي عنه شرعاً.

"وما ورد في السنة المطهرة، من ضبط لعناصر الإنتاج والتوزيع والاستهلاك في المجتمع المسلم، حتى يتحقق له الأمن الاقتصادي، وهو جانب مهم من الأمن

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٤٦٠/٥) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس (٧/١٤٠).

الشامل الذي يحققه الإسلام للمجتمع المسلم"<sup>(١)</sup>.  
ومن المؤيد لما سبق أن الحديث الشريف شمل جميع جوانب الاقتصاد،  
من: (إنتاج، وتوزيع، واستهلاك)، سواء كانت الشُّمولية منطوقاً أم غير منطوقة.  
أما الإنتاج: فهو منطوق في الحديث، وذلك في قوله -صلى الله عليه وسلم-  
(كلوا واشربوا) والأكل والشرب من الاستهلاك، والقاعدة الاقتصادية تقول:  
(الإنتاج مُقدِّم على الاستهلاك) وتقدم الاستهلاك هنا على الإنتاج، ليس على  
إطلاقه، ذلك أن الحاجة دعت إلى تربية الناس على كيفية الاحتفاظ بالمنتج بعد  
إنتاجه فلم يُعدّ لذكر الإنتاج فائدة هنا، فتقدّم الاستهلاك على الإنتاج مجازاً، وتقدّم  
الإنتاج على الاستهلاك مفهوماً، لأنّه من المعلوم أن الأكل والشرب لا يسبقُهُمَا  
الإنتاج، وهذه الدقّة العلمية تدلّ على جوامع الكلم النبوية الشريفة.  
أما التوزيع: فهو غير منطوق إلا أنه من لوازم الاقتصاد بعد الإنتاج، لضمان  
استمرار التبلور الاقتصادي، وهو (التصدير)، وقوله -صلى الله عليه وسلم- (كلوا  
واشربوا) يُفسّر ذلك، إذ الأكل والشرب يَتِمَّان بعد توزيع المُنتَج.  
أما الاستهلاك: فهو منطوق أيضاً وهو ضمن مفهوم الأمن الاقتصادي، وهو  
استهلاك القدر المحتاج من المُنتَج دون إسراف، وهذا ما ورد في الحديث النبوي  
الشريف في قوله: (..... في غير إسراف ولا مخيلة)، إذ الإسراف والمخيلة من دون  
حاجة يُعدّ إخلالاً بالأمن الاقتصادي وحاجراً لنموّه وتحفيزه.  
ويتضح منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي من خلال الحديث  
الشريف السَّابِق.

بأنّ على الداعية القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك توعية

(١) الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، من  
منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، (٧٠/١)، بدون تاريخ، وانظر: الإسلام  
والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، الناشر: وزارة الأوقاف،  
(١٧/١) بدون تاريخ.

المدعويين بخطر الإسراف والعواقب الوخيمة الناجمة عن الإسراف وعدم المبالاة بالأمن الاقتصادي، وهذه العواقب قد تكون عقوبة جماعية، إذ قد يكون السبب في ذلك عمل الخاصة وسكوت العامة عنه، فتعمُّ العقوبة على الجميع، أو أن تكون العقوبة نتيجة عمل العامة، وهذا أشدّ من الأول، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ذلك أن كفر النعم المذكورة في الآية كان عملاً ارتكبه الجميع من أهل القرية، فعمهم العقاب، وهو أشدّ العقوبة مقارنة بعقوبة العامة بفعل الخاصة.

قال الماوردي رحمه الله:- (قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ يريد بالقرية أهلها ﴿ءَامِنَةً﴾ يعني من الخوف، ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ بالخصب والدعة، ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أقرانها.

الثاني: مرادها، ﴿رَغَدًا﴾ فيه وجهان:

أحدهما: طيباً.

الثاني: هنيئاً.

﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني منها بالزراعة، ومن غيرها بالتجارة، ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفر لسكنهم وأعمُّ في النعمة عليها.

{ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ } يحتمل وجهين:

أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يؤدّوا حقّها من مؤاساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات، وفي هذه القرية التي ضربها الله تعالى مثلاً أقاويل:

(١) سورة النحل، الآية: (١١٢).

أحدها: أنها مكة، كان أمنها أن أهلها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي<sup>(١)</sup>.

﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ وسماه لباساً لأنه قد يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس، وقيل إن القحط بلغ بهم إلى أن أكلوا القد والعلهز<sup>(٢)</sup> وهو الوبر يخلط بالدم، والقد أدم يؤكل، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة.

الثاني: أنها المدينة آمنت برسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم كفرت بأنعم الله بقتل عثمان بن عفان وما حدث بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها من الفتن، وهذا قول عائشة وحفصة -رضي الله عنهما-.

الثالث: أنه مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى<sup>(٣)</sup>. ومن المهم أن نعلم أهمية ما ذهب إليه الإمام الماوردي رحمه الله في تفصيل هذه الآية، وفكّ غموضها وفق مقاصد الشارع.

أما قول الماوردي -رحمه الله-: ﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ **يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ:** أحدهما: بترك شكره وطاعته.

الثاني: بأن لا يؤدّوا حقّها من مؤاساة الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات). فهذا يدلّ على خطر كُفْر النّعم المذكور في الآية، وهذه الآية تتلازم من حيث المقصد بما ورد في الحديث، وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: (كلسوا واشربوا

(١) النكت والعيون، للماوردي (٢١٨/٣).

(٢) قال أبو الهيثم فيما أخبرني عنه المنذري: العلهز: دم يابس يدق به أوبار الإبل في الجماعات ويؤكل، وأنشد: عن أكلي العلهز أكل الحيس، انظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، (١٧١/٣) المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١/ ٢٠٠١م.

(٣) النكت والعيون، للماوردي (٢١٨/٣).

والبسوا وتصدّقوا، في غير إسراف ولا محيلة) ومن الخطأ أن يتغافل المرء الغني عن حقّ الفقير، وهذا الذي حثّ عليه الحديث، أن تأكل وتشرب وتصدّق على المحتاج، فإن التغافل عن ذلك، يُعدّ كفراً للتعم المعطاة.

والسياسة الشرعية في حفظ الأمن الاقتصادي ومنهج الدعوة الإسلامية في ذلك، هي إنفاق الاقتصاد في وجهه الصحيح الذي أمر به الشارع، وإلا فإن التغافل عن ذلك، يُسبب الكدّ في العيش للطبقات الفقيرة، وهذا نقيض مراد الله تعالى في الآية، ويُحتمل إحلال العقوبة لحسم التبلور الاقتصادي والقضاء عليه كلياً، بالإضافة إلى انهاء رغد العيش في المجتمع، وإحلال الكد محل الرغد وكافة الظروف الصعبة في الحياة.

ومن الأحاديث الواردة في عقوبة العامة بفعل الخاصة:

عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: قال: أيها الناس، إنكم تقرأون هذه

الآية:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة المائدة، الآية: (١٠٥).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، (٤/٤٦٧) قال

ناصر الدين الألباني ~، هذا حديث صحيح، انظر: (صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني

١/٣٩٨).

## المبحث الثاني

### خطر الإسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثر ذلك على الفرد والمجتمع

توطئة:

من المهم أن يعلم العبد أن الإسراف منهي عنه، سواء في الجانب الاقتصادي أو الجوانب الأخرى.

قال الله تعالى: ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس -رضي الله عنه- في تفسير هذه الآية: (قوله: ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ﴾ قال: هم الذين ينفقون المال في غير حقه<sup>(٢)</sup>).

وهذا عين التحذير من خطر الإسراف المادي والعبث بالاقتصاد، ومن الخزي على المسرف والعاث بالاقتصاد أنه دخل في وصف الله تعالى له (بإخوان الشياطين).

وما أحسن ما قاله الإمام البيهقي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية حيث قال: (وقال في صفة الذين سماهم عباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾<sup>(٣)</sup> فاشتملت هذه الآيات كلها على الأمر بالاقتصاد والنهي عن الإسراف وذلك موافق للنهي عن الإسراف في الأكل والشرب؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فإذا كان الإسراف في الأكل والشرب ممنوعاً، وجب أن يكون الإسراف في الإنفاق ممنوعاً

(١) سورة الإسراء، الآية: (٢٦ - ٢٧).

(٢) الدر المنثور، للسيوطي (٢٧٤/٥) الناشر: دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.

(٣) سورة الفرقان، الآية: (٦٧).

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٣١).

لأن ذلك إنما يكون بصرف المال في أكثر مما يحتاج إليه من المأكول والمشروب، وذلك الأكثر ممنوع من أكله فينبغي أن يكون صرف المال في الممنوع ممنوعاً وحدُّ السرف في الأكل أن يجاوز الشبع ويثقل البدن حتى لا يمكن معه أداء واجب ولا قضاء حق إلا يحمل على البدن وليس السرف في الإنفاق كل ما ذكرنا، لكن في المسكن والملبس والمركب والخدام من السرف مثل ما في الطعام والشراب، فأما الإنفاق فيما يبقى وينمو فليس بسرف كشرى الضياع والمواشي للنسل لأن هذه تغل وتنمو، فيزداد بما يصرف فيها أضعافه<sup>(١)</sup>.

وقال البيهقي أيضاً: (ومما يدخل في جملة التبذير والإسراف أن لا يبالي الواحد فيما يشتري ويبيع كأن يغبن أو يغبن فيبيع بوكس ويشتري بفضل، وبسط الكلام فيه إلى أن حكى عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾<sup>(٢)</sup> قال الرجل: يشتري المتاع فيرده ويرد معه دراهم، قال: وكل هذا ممنوع وهذا الوجه هو الموجب للحجر وكذلك الإنفاق في الملاهي والشهوات المحرمة من التبذير الموجب للحجر والوقف فأما إذا اشترى طعاماً أكثر من حاجته أو لباساً أو خادماً أكثر من حاجته فهو وإن كان سرفاً فليس من السرف الموجب للحجر لأنه يستبدل بالملك ملكاً يوازنه، وإنما ينبع الإسراف منه في الانتفاع بما ملكه<sup>(٣)</sup>.

ويتضح مما سبق نقله أهمية الحفاظ على الانفاق، وخطر الإسراف المادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع على حد سواء.

(١) شعب الإيمان، للبيهقي، (٤٨٨/٨)، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع

الدار السلفية بيومباي بالهند، ط ١/١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٨).

(٣) شعب الإيمان، للبيهقي (التوفى: ٤٥٨ هـ) (٤٨٩/٨).

## خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد والمجتمع:

يمكن بيان خطر الإسراف المادي والعبث الاقتصادي وأثر ذلك على الفرد

والمجتمع من خلال ما يأتي:

١- أنه يمنع إيصال الحقوق المشروعة للفقراء والمساكين، وينجم عن ذلك عقوبة تحلّ بالمانع، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قال المراغي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (أي ولا يظنّ أحدٌ أن بُخْلَ الباخلين بما أعطاهم الله من فضله ونعمه هو خيرا لهم، لأنهم مطالبون بشكران النعم، والبخل بها كفران لا ينبغي أن يصدر من عاقل.

والمراد من البخل بالفضل البخل به في أداء الزكاة المفروضة، وفي الأحوال التي يتعين فيها بذل المال كالإنفاق لصد عدو يحتاج البلاد ويهدد استقلالها، ويصبح أهلها أذلة بعد أن كانوا أعزة، أو إنقاذ شخص من مخالب الموت جوعاً.

ففي كل هذه الأحوال يجب بذل المال، لأنه يجري مجرى دفع الضرر عن النفس.

وليس الذمّ والوعيد على البخل بما يملك الإنسان من فضل ربه، إذ أن الله أباح لنا الطيبات لنستمتع بها، ولأن العقل قاض بأن الله لا يكلف الناس بذل كل ما يكسبون وييقون عراة جائعين، ومن ثمّ قال في حق المؤمنين المهتدين ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وجاءت الآية بطريق التعميم ترغيباً في بذل المال بدون تحديد ولا تعيين، ووكل أمر ذلك إلى اجتهاد المؤمن الذي يتبع عاطفة الإيمان التي في قلبه، وما

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠).

(٢) سورة البقرة، الآية: (٣).



تحدثه في النفس من أريحية بذل الواجب والزيادة عليه، إذا هو تذكّر أن في ماله حقاً للسائل والمحروم.

﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ أي هو شرٌّ عظيم لهم، وقد نفى أولاً أن يكون خيراً ثم أثبت كونه شراً، لأن المانع للحق إنما يمنعه لأنه يحسب أن في منعه خيراً له، لما في بقاء المال في يده من الانتفاع به في التمتع باللذات، وقضاء الحاجات، ودفع الغوائل والآفات، ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي سيجعل ما بخلوا به من المسال طوقاً في أعناقهم، ويلزمهم ذنبه وعقابه، ولا يجدون إلى دفعه سبيلاً، كما يقال: طوقني الأمر أي ألزمني إياه.

وخلاصة هذا إن العقاب على البخل لازم لا بد منه<sup>(١)</sup>.

وقال السمرقندي رحمه الله:- (قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ يعني: أن البخل شرٌّ لهم، ويقال: الفضل شرٌّ لهم ﴿سَيَطُوفُونَ﴾ يقول سيوتقون ما بخلوا به من الزكاة كهيئة الطوق، وروي عن ابن عباس أنه قال: يأتي أكثر أحدهم، شجاع أقرع له زبيتان طوقاً في عنقه، يلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- نحو هذا فذلك قوله تعالى: ﴿سَيَطُوفُونَ مَا بِحَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ويقال: هو طوق من نار في عنقه، ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عنقهم كما قال في آية أخرى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير المراغي، (٤/١٤٦)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،

١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

(٢) سورة الإسراء، الآية: (١٣).

(٣) بحر العلوم، للسمرقندي (١/٢٦٩).

وفي الحديث: (عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من آتاه الله مالا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كترك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾<sup>(١)</sup>).

٢- إن الإسراف والعبث بالاعتقاد يكون أثره على الفرد العقوبة العاجلة قبل الآجلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَطَلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال الطبري رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم ﴿مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ﴾، يقول: أعطى الله عهداً ﴿لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ﴾، يقول: لن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالا ووسّع علينا من عنده.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، يقول: ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله، يقول الله تبارك وتعالى: فرزقهم الله وأتاهم من فضله ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَطَلُوا بِهِ﴾، بفضل الله الذي أتاهم، فلم يتصدقوا منه، ولم يصلوا منه قرابة، ولم ينفقوا منه في حق الله ﴿وَتَوَلَّوْا﴾، يقول:

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٨٠)، والحديث من صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مانع

الزكاة (١٠٦/٢/١٤٠٣).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٧٥ - ٧٧).

وأدبروا عن عهدهم الذي عاهدوه الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، عنه ﴿فَاعْقِبْهُمْ﴾ الله ﴿يَفْأَقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، يبخلهم بحق الله الذي فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله، وإخلافهم الوعد الذي وعدوا الله، ونقضهم عهده في قلوبهم ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ، يَمَّا أَخَلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾، من الصدقة والتفقة في سبيله ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، فيقبلهم، وحرّمهم التوبة منه، لأنه جلّ ثناؤه اشترط في نفاقهم أنّه أعقبهم إلى يوم يلقونه، وذلك يوم مما هم وخروجهم من الدنيا<sup>(١)</sup>.

٣- إنّ الإسراف والعبث الاقتصادي بوجه غير شرعي، بما في ذلك عدم إنفاقه على الفقراء والمساكين وإخراج زكاته، يعود على مالك المال بشرٍّ محتوم. وفي الحديث الشريف: عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رجل من القوم: يارسول الله، أرأيت إذا أذى رجلٌ زكاةً ماله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (من أذى زكاة ماله، فقد ذهب عنه شره)<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء الشر هنا نكرةً، لتعطي كافة أنواع الشر المحتملة.

٤- إنّ أهمّ خطر بالغ للإسراف والعبث الاقتصادي هو تعاطي الربا المنهي عنه شرعاً، وينجم ذلك تعرّض المجتمع على الحرب من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتَرُوا فَالْكُفْرُ بِرُءُوسِ أَمْوَالِكُمْ لَا تَقْظَمُونَ

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (١٤/٣٦٩) المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١/١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (ت: ٣٦٠هـ)، (٢/١٦١/١٥٧٩) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبدالحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، وقال ناصر الدين الألباني: حديث حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، (١/١٨٢) الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، طه/٥ بدون تاريخ.

وَلَا تَظْلَمُونَ ﴿١﴾

قال الخازن -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: (فإن لم تفعلوا أي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد ترجمه فأذنوا قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه: فأعلموا غيركم أنه حرب لله ورسوله.

وقرئ فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فأعلموا أنتم وأيقنوا بحرب من الله ورسوله، قال ابن عباس يُقال لاأكل الربا يوم القيامة: خذ سلاحك للحرب، قال أهل المعاني:

حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة ف قيل المراد بها المبالغة في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب، وقيل: بل المراد منه نفس الحرب وذلك أن من أصر على أكل الربا وعلم به الإمام قبض عليه وأجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس إلى أن تظهر منه التوبة وإن كان أكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكري حاربه الإمام كما يحارب الفئة الباغية، قال ابن عباس: من كان مقيما على أكل الربا لا يترع عنه فحق على إمام المسلمين أن يستتبهه فإن نزع أي تاب وإلا ضرب عنقه وإن تبتم أي إن تركتم أكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون يعني لا تظلمون أنتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال، ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال<sup>(١)</sup>.

وقد فصل أبو بكر الجزائري تفسير هذه الآية حيث قال: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ

الرِّبَا﴾ اتركوا ما بقي عندكم من المعاملات الربوية.

﴿فَأَذِنُوا يَحْرِبِ﴾ اعلموا بحرب من الله ورسوله واحملوا سلاحكم ولا ينفعكم سلاح فإنكم المهزومون الهالكون.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن (٢١٢/١) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار

الكتب العلمية - بيروت، ط ١٤١٥هـ.

﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ بعد التوبة مالكم إلا رأس المال الذي عند المدين لكم فخذوه واتركوا زيادة الربا.

### معنى الآيات:

بمناسبة ذكر عقوبة أكل الربا في الآيات السابقة نادى الله تعالى عباده المؤمنين أمراً إياهم بتقواه تعالى، وذلك بطاعته وترك معصيته، وبالتخلي عما بقي عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكراً إياهم بإيمانهم إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه فعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ثم هدد المتباطئين بقوله: فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب قاسية ضرروس من الله ورسوله، ثم بين لهم طريق التوبة وسبيل الخلاص من محنة الربا بقوله: وإن تبتم بترك الربا فلکم رؤوس أموالكم لا غير لا تظلمون بأخذ زيادة، ولا تظلمون بنقص من رأس مالكم، وإن وجد مدين لكم في حالة إعسار فالواجب انتظاره إلى ميسرته، وشيء آخر وهو خير لكم أن تصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها تطهيراً لأموالكم التي لامسها الربا وتزكية لأنفسكم من آثاره السيئة، ثم ذكر تعالى سائر عبادته يوم القيامة وافية من أهوال ومواقف صعبة حيث يتم الحساب الدقيق وتجزي فيه كل نفس مؤمنة أو كافرة بارة أو فاجرة ما كسبته من خير وشر وهم لا يظلمون بنقص حسنتهم أو زيادة سيئاتهم<sup>(١)</sup>.

ولهذه الآية فوائد من أهمها:

١- وجوب تجنب الربا بكافة أشكاله، بما فيه آكله وموكله وشاهده وكل ما

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (٢٧٢/١) ط ١٤٢٤/٥هـ / ٢٠٠٣م، وانظر: الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة، (١/١٣٠٤).

له صلة به.

- ٢- أن الربا يلحق بصاحبه الهلاك عاجلاً وآجلاً.
- ٣- أنه يستوجب على المسلم نصح الآخرين بمخطر تعاطي الربا للخروج من عهدة التكليف الذي إذا سكت المرء عنه استوجب عقاباً جماعياً.
- ٤- أن تجنب الربا هو من أهم سبل الأمن الاقتصادي، وضمان نجاح الخلاص من عقاب الله تعالى وسخطه.
- ٥- أن الربا هو العامل الأساس في الإخلال بالأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى ركوده وعدم تبلور الانتاج بما يضمن نيل كافة شرائح المجتمع ما يلزم لهم من احتياجاتهم المعيشية.
- ٦- أن الربا يُسبب ضياع الحقوق الملكية للمجتمع، وترجع هذه الحقوق فور التوبة منه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

لأن رؤوس المال للإنسان هي الحقوق الملكية الأولى له.

- ٧- حلول أشدّ وعيد وعذاب بمانعي الإنفاق الصحيح، وهذا من الخطر الناتج عن الإسراف والعبث الاقتصادي، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْفُرُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما يُشير إلى شناعة هذا الموقف، أن الله تعالى قارن شأن الذين يكترون

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٢) سورة التوبة، الآية: (٣٤ - ٣٥).

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بشأن علماء اليهود، وقد اشتبهت هذه النقطة أعني تلك المقارنة على بعض الصحابة-رضى الله عنهم-، فظنَّ البعض أنَّ المعنيين بها هم اليهود فقط، وظنَّ البعض أنَّ المعنيين هم أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

والصحيح أنهما معاً، وقد قارن الله تعالى مُكْتَرِي الذَّهَبِ والفضة بأعمال اليهود، لأنَّ من ذأب اليهود التَّمَرْد على الطَّاعة والعصيان الدَّائم في العبادات، فكذلك مَنْ سلك مسلكهم فهو منهم.

ومن المعلوم أنَّ الزَّكاة كانت ضمن شريعة أكثر أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، فكذلك فإنَّها ضمن شريعتنا.

فحصل التلازم على أن المعنيين هم اليهود الذين لم يُؤدِّوا أمانة إيتاء الزكاة، وكما أن الزكاة ضمن شريعة محمدية فإنَّ أمته داخلون في هذه الآية.

ويثبت ذلك ما أورده الإمام الطبري رحمه الله- حيث قال: (حدثني يعقوب بن إبراهيم قال، حدثنا هشيم قال، أخبرنا حصين، عن زيد بن وهب قال: مررت بالرَّبَذة، فإذا أنا بأبي ذر قال قلت له: ما أتزلك متزلك هذا؟ قال: كنت بالسَّام، فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال: فقال: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم، عن حصين)<sup>(١)</sup>.

وهذا هو صميم مقاصد الله تعالى في هذه الآية الكريمة.

والعلة الجامعة بين الفريقين، هي وجوب الزَّكاة في شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، وكذلك وجوبها أيضاً في شريعة النبي الخاتم محمد -صلى الله عليه وسلم-.

(١) تفسير الطبري، (٢٢٨/١٤).

وقد جاء شأن الزكاة ضمن شريعة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾<sup>(١)</sup>.

ومحل الشاهد في الآية: قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾، فدلَّ أن الزكاة ليست حديثة في شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- فقط.

(١) سورة المائدة، الآية: (١٢).



### المبحث الثالث

## دور الدعاة إلى الله تعالى في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي

توطئة:

الدعاة إلى الله تعالى ورثة الأنبياء، ومن أهم ما ورثوه عنهم هو الحفاظ على مسار الأمة الصحيح في كافة المجالات، وقد أثنى الله تعالى على الدعاة والعلماء الربانيين الذين التزموا بهذا الإرث النبوي المنهجي الدعوي، في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي لكافة الظواهر السلبية التي تُلحق المجتمعات الإسلامية، وتخلُّ بالأمن الخاص بهم بأنواعه المختلفة.

ولولا هذا الإرث المحمول على عاتق العلماء والتزامهم به في الأداء والتنفيذ لفسد الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الطبري -رحمه الله- في تفسير الآية: (ولولا أن الله يدفع ببعض الناس، وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضاً وهم أهل المعصية لله، والشرك به، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت يوم جالوت من أهل الكفر بالله والمعصية له وقد أعطاهم ما سألوا ربه من ابتداء من بعثة ملك عليهم ليجاهدوا معه في سبيله بمن جاهد معه من أهل الإيمان بالله واليقين والصبر، جالوت وجنوده، لفسدت الأرض، يعني هللك أهلها بعقوبة الله إياهم، ففسدت بذلك الأرض، ولكن الله ذو من على خلقه، وتطول عليهم بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر، وبالطبع عن العاصي منهم، وبالمؤمن عن الكافر)<sup>(٢)</sup>.

إذاً فالدعاة هم دافعوا أهل المعاصي بجميع أصنافه، ومُخرجوهم من موج المعاصي إلى برِّ الأمان الذي هو الطاعة.

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٥١).

(٢) تفسير الطبري، (٤/٥١٤-٥١٥).

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فإذا كان الداعية مأموراً بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي أيضاً يعتبر دعوةً إلى الخير المأمور به ضمن الآية.

وإنكار الداعية لأية ظاهرة من ظواهر الإخلال بالأمن الاقتصادي وحث الناس على ضده يُعدّ أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر كما سبق بيانه.

واجب الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّصَدِّي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي:

١- إن من واجب الدعاة في هذا الجانب توعية الناس بأهمية الالتزام بالأمن الاقتصادي، والسرّ الإلهي في هذا الأمر، أن الأمن الاقتصادي مُرتبط بالالتزام بشعائر الله وأوامره، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىءِ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بِيَتْنَاهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىءِ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿١٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

ومن الملاحظ أن الآيات المذكورة في هذا الشأن بدأت بذكر أهمية الالتزام بشعائر الله، وأصل هذه الشعائر المأمور بها، الإيمان به سبحانه وتعالى وتوحيده، حيث جعل الله تعالى الإيمان به شرطاً لفتح أبواب الرزق لأهل القرى، ثم عقب الشّارع بعد ذلك بذكر مآل غير المؤمنين به سبحانه وتعالى، وكيف سيحلّ عندهم الأمن الاقتصادي بعد تكذيبهم للدعاة من الرسل والأنبياء، ومحلّ الشاهد لذلك قوله سبحانه وتعالى في الناتج ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٩٦ - ٩٩).

قال الواحدي -رحمه الله- في تفسير هذا المقطع من الآية: (ولكن كذبوا الرُّسُلَ فأخذناهم بالجدوبة والقحط)<sup>(١)</sup>.

و العواقب الوخيمة التي لحقتُ بغير المؤمنين بالله بعد دعوة الرسل لهم هي التي ذُكرت لاحقاً، وهي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ قال الزجاج: (أي أفأمنت الأمة التي كذبت النبي محمداً -صلى الله عليه وسلم- أن يأتيهم بأسنا بيّناً، أي ليلاً)<sup>(٢)</sup>.

هذا وإن كان الخطاب في الآية مُوجَّهاً إلى نبي الأمة -صلى الله عليه وسلم- كما ذهب إليه الزجاج، فإنَّ الخطاب هنا ليست العبرة به بخصوص سببه بل بعموم لفظه، فإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إمام الدعوة، فإنَّ وِرثته من دعاة أمته تابعون له صلوات الله وسلامه عليه.

وفي حديث أبي الدرداء -رضي الله عنه-: قال (سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم،..... وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)<sup>(٣)</sup>.

ومحل الشاهد في الحديث: قوله: (...وإن العلماء ورثة الأنبياء... ) والعلماء

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي، (٣٨٩/٢) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١/ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج (٣٦٠/٢) الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط١/ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، (٣٦٤١/٣١٧/٣) والترمذي، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (٢٦٨٢/٤٨/٥) وقال ناصر الدين الألباني: (حسن لغيره) انظر: صحيح الترغيب والترهيب، (١٧/١) الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط٥/ بدون تاريخ.

هم الدُّعاة.

ثم يقول الله تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾.

قال الواحدي -رحمه الله-: (قال المفسرون: مكر الله استدراجه إياهم بالنعمة والصحة ليطروا ويتمادوا في المعصية والغي، فيكون ذلك في الحقيقة إضراراً بهم من حيث لا يشعرون)<sup>(١)</sup>.

وهذا الاستدراج تكون حُجَّةُ الله على أهل المعاصي بعد رفع الدُّعاة عُهدَةَ التَّكْلِيفِ عن أنفسهم بدعوتهم، لتكتمل الحُجَّةُ الإلهية بإحلال العقوبة بهم. وفي الآية الكريمة السابق ذكرها فوائد من أهمها:

١- وجوب تصدِّي الدُّعاة إلى الله تعالى لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من حماية المجتمع المسلم من العقوبة العامة، والضَّابِطِ في منع حدوث ذلك بإذن الله تعالى، هو اهتمام الدعاة بدعوة الناس وتوعيتهم بخطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي، وإخطارهم بأنَّ ذلك على المجتمع المسلم، وتأدية الداعية لهذه المهمة يُعدُّ رفعاً لعهدَةِ التكليف عن الداعية نفسه وعن المجتمع المطيع قال تعالى:

﴿وَأَمِجْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فكانت التَّجَاةُ والعُقْبَى للذين آمنوا وكانوا متقين.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَمِجْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا

الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الطبري -رحمه الله-: (فلما تركت الطائفة التي اعتدت في السبِّ ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه، وضيَّعت ما وعظَّتها الطائفة الواعظة وذكرَّتها به، من تحذيرها عقوبةَ الله على معصيتها، فتقدَّمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٢/٣٩٠).

(٢) سورة النمل، الآية: (٥٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (١٦٥).

الله الذين ينهون منهم عن ﴿عَنِ السُّوءِ﴾ "يعني عن معصية الله، واستحلال حرمه " ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾"، يقول: وأخذ الله الذين اعتدوا في السبت، فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله، فأحل لهم بأسه، وأهلكهم بعذاب شديد بئس بما كانوا يخالفون أمر الله، فيخرجون من طاعته إلى معصيته، وذلك هو "الفسق"<sup>(١)</sup>.

ولخص ابن عباس -رضي الله عنه- معنى هذه الآية الكريمة فقال: (نجح التاهون، وهلك الفاعلون)<sup>(٢)</sup>.

٢- وما يجب على الداعية في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، أن يسلك طريق الحكمة في دعوته للناس، وبيان خطورة الإخلال بالأمن الاقتصادي وعواقب ذلك عاجلاً وآجلاً، وخاصة إذا ما كان الداعية في أوساط المجتمع المسلم المختلط مع غير المسلمين، فيجب اتباع بعض القواعد لدعوتهم، وهي بيان المصالح الدنيوية والأخروية معاً مقابل المفسدات الدنيوية المحتملة، لأن غير المسلم لا يؤمن بالغيبيات، فتجريد الدعوة من الناحية الأخروية حينئذ تقل أهميتها في نظر غير المسلم، وفي ذلك على الداعية اتباع بعض القواعد في ذلك، وهي كالتالي:

### القاعدة الأولى:

• "سائر العبادات فيها فوائد أخروية، وهي العامة، وفوائد دنيوية"<sup>(٣)</sup>. وهذه القاعدة تُعدُّ استدلالاً عقلياً ونقلياً في آن واحد، فعلى الداعية استعمالها وهو أن يُعلم مَنْ يجهل هذه الحقيقة أن العبادات إنما وُضعت لتحصيل المصالح، ولها فوائد أخروية، وفي نفس الوقت لها فوائد دنيوية، وأولوية ما قصد لها هي الفوائد

(١) تفسير الطبري، (١٣/١٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٣/١٩٤).

(٣) الموافقات، للشاطبي (٦/٤٤٦) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن

عفان، ط١/١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

الأخروية، وثانوية ما قُصد لها هي الفوائد الدنيوية، وبينهما تلازم، ومثال ذلك: الفوائد التَّقَلِيَّةُ الأُوَلِيَّةُ (الأخروية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الفلاح في الآخرة بدخول الجنة. قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

الفوائد العقلية الثَّانَوِيَّةُ (الدَّنيوية) المتعلقة بتحريم الخمر: هي الحفاظ على سلامة الضَّرُورَاتِ الخمس للإنسان المكفولة شرعاً، وأولها حفظ الدِّين، وإن كان غير المسلم قد لا يعترف بذلك لكونه غير مُتَدَيِّنٍ بدين يُؤَهِّله إلى قبول ذلك، إلا أنه من المُسَلِّم أن يعترف ببقية الأربعة التي يستدعي العقل السليم القبول بها حتماً وهي: حفظ النَّفس والمال والعقل والعرض، وصحَّ من قال: العقل مناط التكليف، والأمثلة على ذلك:

رُوي عن جعفر الطَّيَّار -رضي الله عنه- أنه كان لا يشرب الخمر في الجاهلية، وكان يقول: (الناس يطلبون زيادة العقل، فأنا لا أنقص عقلي)<sup>(٢)</sup>.

وقال الشاعر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي      كَذَاكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ<sup>(٣)</sup>  
ويقصد الشاعر: - (شربتُ الإِثْمَ) أي شربتُ الخمر، والعاقبة الناتجة عن شرب الخمر أن ضلَّ عقله.

وقال السيوطي -رحمه الله-: كان أبو بكر -رضي الله عنه- أعف الناس في الجاهلية.

وقد أخرج ابن عساكر بسند صحيح في تاريخ دمشق عن عائشة >، قالت: (والله ما قال أبو بكر شعراً في جاهلية ولا إسلام لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر

(١) سورة المائدة، الآية: (٩٠).

(٢) بحر العلوم، للسمرقندي (١/١٤٤).

(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

في الجاهلية<sup>(١)</sup>.

وبناءً على القاعدة السابقة وهي: (سائرُ العباداتِ فيها فوائدُ أُخْرَوِيَّةٌ، وهي العامَّةُ، وفوائدُ دنيوية).

يتبين أن من واجبات الداعية أن يدعوا كافة أصناف المدعوين خلال دعوته إلى أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان عواقب الإخلال بذلك دنيوياً أو أُخْرَوِيًّا، وعلى الداعية استعمال الأدلة النقلية والعقلية لإيصال مقاصد تلك الدعوة إلى المدعوين.

### القاعدة الثانية:

عَمَلٌ أَعْلَى المصلحتين عند التَّعارض:

وهذه القاعدة مردها إلى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه - قال: (كان أبو طلحة لا يصوم على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - من أجل الغزو، فلما قبض النبي - صلى الله عليه وسلم - لم أره مفطراً إلا يوم فطر أو أضحى)<sup>(٢)</sup>.  
ففي هذا الحديث دلالة على أفضلية الجهاد في سبيل الله على صوم التطوع، وذلك أن الصحابة - رضي الله عنهم - عاشوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ساعة العسرة وهم بالمدينة، سعياً منهم لبناء الدولة الإسلامية التي كانت مُهَدَّدة من قبل مناوئي الدعوة، فكان على الصحابة الحفاظ على بقائها بقوة النفس، والمال، والروح.

ومن دلالة الحديث: بيان فقه الصحابة للمقاصد الإلهية، وتقديم الأهم على المهم، وهم السلف والقدوة بالنسبة للخلف في فهم النصوص الشرعية والمقاصد الإلهية.  
ويتبين مما تقدّم أن من واجب الداعية إعلام المدعوين أنه إذا تعارضت

(١) تاريخ دمشق، لابن عساكر (٣٣٤/٣٠) المحقق: عمرو بن غرامة العمري، الناشر: دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اختار الغزو على الصوم، (٤/٢٤٢٨/٢٨٢٨).

مصلحتان قدّم أعلاهما بحيث إذا كان الإخلال بالأمن الاقتصادي مصلحة للمدعو، فالواجب عليه اختيار المصلحة الأعلى، وفي ذلك أن يتنازل عن المصلحة الخاصة به التي هي الإخلال بالأمن الاقتصادي، لما في ذلك من محافظة أمنه، وذلك هو أعلى المصلحتين، وهذا هو المعنى المراد من القاعدة، ومن القواعد ذات الصلة هي: (أن المصلحة العامة مقدّمة على المصلحة الخاصة).

ويُفهم من القاعدة المذكورة آنفاً أن صوم التطوع مصلحة خاصة، لأن ثوابه يرجع للصائم وحده، بخلاف الجهاد، فإنه حماية للدولة الإسلامية بالمدينة المنورة ومستقبل الأمة الإسلامية، فكان تقديم الجهاد أولى حكماً وعقلاً من صوم التطوع.



## الخاتمة

أولاً: مُلخّص الدّراسة:

جاءت هذه الدّراسة في مقدّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث: شملت المقدّمة: على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث.

أما التّمهيد: فهو مشتمل تعريف معنى الأمن لغة واصطلاحاً، وكذلك معنى الاقتصاد من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ومن ثَمَّ التعريف بجملة (الأمن الاقتصادي) ومقاصده المرادة دراستها في هذا البحث.

واحتوى المبحث الأول: على إيراد الأدلة القرآنية الدالة على أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، وبيان الأدلة من السنة النبوية المؤيّدة لذلك، بالإضافة إلى منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي.

أما في المبحث الثاني: فقد تمّت دراسة خطر الاسراف المادي والعبث على الاقتصاد وأثرهما على حياة الفرد والمجتمع بإيراد الأدلة التي تُبيّن حقيقة تلك المخاطر والعواقب المصاحبة لذلك.

وفي المبحث الثالث: كان الحديث عن واجب الدعوة إلى الله تعالى في التصدي لظاهرة الإخلال بالأمن الاقتصادي، ودور الدّعاة إلى الله في ذلك.

ثانياً: نتائج الدّراسة:

تمثّلت نتائج الدراسة على نحو التالي:

١- أتضح للباحث أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي من خلال ما تمّ إيراد من الأدلة الشرعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢- أتضح للباحث وجوب حفظ الكيان الاقتصادي للمجتمع المسلم، لما ينعكس ذلك إيجابياً على الفرد والمجتمع.

٣- تبيّن للباحث المخاطر التّاجمة عن الإخلال بالأمن الاقتصادي، وآثارها السيئة على المجتمع الإسلامي.

٤- تبين من خلال هذه الدراسة أهمية المتانة الاقتصادية للمجتمع المسلم، وما ينتج من ذلك من تعزيز مكانة الدول الإسلامية من الناحية السياسية، والاجتماعية، والفكرية، والثقافية.

٥- يتبين للقارئ الكريم من خلال ما تم تناوله في هذا البحث، ما يجب على الداعية اتخاذه من سبل ووسائل لردع العابثين بالاقتصاد والمصرفين به، و طريقة دعوتهم للحيلولة دون الانكماش الاقتصادي وركوده.

٦- إن هذه الدراسة قليلة الأوراق، كثيرة المنافع، إذ تركّزت على الموضوعية، وفكّ غموض التّضخّم الاقتصادي والتّقييد العلمي لحلّ عُقده، ووضع الحلول المناسب لذلك، بالإضافة إلى بيان السياسة الشرعية التي تقتضي محاسبة المرء في كل صغير وكبير، وما فيها من علاقة الدّين بالحياة.

### ثالثاً: أهم التوصيات:

١- إيجاد مراكز بحثية علمية تُعنى بدراسة الاقتصاد الإسلامي، وحمایته من الركود والتّضخّم.

٢- توعية الفرد والمجتمع بأهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، بالإضافة إلى تثقيفهم بأهمية استقرار النظام الاقتصادي الإسلامي وما ينتج من ذلك من تقدّم وازدهار.

٣- تسخير سبل علاج الإخلال بالأمن الاقتصادي سواء من الناحية العلمية أو العملية، أما من الناحية العلمية، فيكمن ذلك، بتقلّم البرامج التلفزيونية العلمية التثقيفية، وتخصيص الأوقات المناسبة لبثّها تعميماً للفائدة.

أما من الناحية العملية فيكمن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المقارن والخاص. بمنع الإخلال بالأمن الاقتصادي في الشوارع، والأسواق، بالإضافة إلى مراقبة الشركات المنتجة والمؤسسات الحكومية والأهلية ذات الصلة حفظاً لمتانة الاقتصاد الإسلامي وصموده الدائم.

٤- إعادة النظر في المناهج العلمية الدراسية في جميع المستويات ابتداءً من الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، وكافة المراحل الجامعية والعليا وذلك بوضع نصيب علمي مفروض لكل مرحلة أو مستوى تذكيراً للدارس بأهمية نظام الاقتصاد في الإسلام ودوره في الحفاظ على مكانة الدول الإسلامية دينياً، وسياسياً، واجتماعياً، وثقافياً، وأمنياً.

٥- إيجاد البرامج التوعوية الخاصة بالناشئة، تُعنى بإبراز جوانب أهمية الحفاظ على الأمن الاقتصادي، حتى لا ينشئ الناشئة على الإسراف والعبث بالاقتصاد.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنحري، الناشر: وزارة الأوقاف، بدون تاريخ.
- ٣- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، من منشور وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، بدون تاريخ.
- ٤- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٥- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) بدون تاريخ.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.
- ٧- تاريخ جرجان، أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (المتوفى: ٤٢٧هـ)، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

- ٨- تاريخ دمشق، ابن عساكر، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.
- ٩- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن بمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط ١٤٢٢/١هـ/ ٢٠٠١ م.
- ١٠- تفسير الماوردي النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٥/٤٦٠) المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. بدون تاريخ.
- ١١- تفسير المراغي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- ١٢- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، ط ١/ - ١٤٢٣ هـ.
- ١٣- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١/ ٢٠٠١ م.
- ١٤- التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر: دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة، ط ١/١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٦- الجامع الكبير - سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

١٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم- وسننه وأيامه صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٨- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثم صورتها عدة دور منها- دار الكتاب العربي - بيروت، - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، - دار الكتب العلمية- بيروت (طبعة ١٤٠٩هـ - بدون تحقيق).

- ٢٠- خصائص ومقومات الاقتصاد الإسلامي، محمد إبراهيم برناوي، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تاريخ الطبعة، ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ، بدون عدد الطبعة.
- ٢١- الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٢- رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بدون تاريخ.
- ٢٣- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦ عام النشر: ج ١ - ٤ : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج ٦ : ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ج ٧ : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٤- سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجسة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
- ٢٥- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بسن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، بدون تاريخ.

٢٦- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٧- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٢٩- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، ط ٥/ بدون تاريخ.

٣٠- صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.

٣١- غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: د. عبد الله الجبوري، الناشر: مطبعة العاني - بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.



- ٣٢- الفتاوى الاقتصادية، لمجموعة من المؤلفين، مصدر الفتاوى، المكتبة الشاملة.
- ٣٣- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- ٣٤- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القرعبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، بدون تاريخ.
- ٣٥- باب التأويل في معاني الترتيل، للخازن، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١/١٤١٥هـ.
- ٣٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، ط ٣/١٤١٤هـ.
- ٣٧- مسند البزار المشهور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- ٣٨- معالم الترتيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١/١٤٢٠هـ.

- ٣٩- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ط ١٤٠٨/١ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٤٠- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة، بدون تاريخ.
- ٤١- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) باب: الثاء، الناشر: دار الدعوة بدون تاريخ.
- ٤٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر.
- ٤٣- منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، إعداد: معن خالد عبد الله القضاة، وأصل هذا البحث، رسالة علمية قدمه صاحبه استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي من كلية الشريعة في جامعة اليرموك، تاريخ ١٩٩٦م - ١٤١٧هـ.
- ٤٤- الموافقات، للشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط ١/١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٤٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: أ. د. عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١/١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

البحث رقم (٥)

**استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين**  
**"الاستراتيجية التضامنية أنموذجاً"**

إعداد

د. مصطفى بن عبدالرحمن البار  
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة  
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

المبحث التمهيدي:

أهمية البحث:

إن الحرص والسعي عموماً لمحاولة تحقيق تواصل إنساني فعّال، وبناء علاقات إيجابية؛ تسهم في جلب الخير والطمأنينة للمجتمع، من الأهمية بمكان، وتزداد هذه الأهمية، وتتأكد الحاجة لها في الحقول والميادين التي تتطلب اتصالاً مباشراً مع الناس على اختلاف قدراتهم وثقافتهم؛ كميادين الدعوة والتربية والتعليم، والتي تحتاج مع العلم إلى قدر كبير، ومهم من جودة الأداء المبني على مهارات وسلوكيات راقية.

وعليه، فإن حرص الداعية، على حسن اختيار الاستراتيجية المناسبة، التي يبي عليها خطابه؛ من شأنه أن يسهم في إقامة تواصل يفضي إلى التقارب، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتأثير الإيجابي على المدعويين، بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم.

ومن تلك الاستراتيجيات المهمة، ما يسمى بالاستراتيجية التضامنية، والتي يحاول أن يتناولها هذا البحث من منظور دعوي؛ كونها تعنى بالدرجة الأولى بالتعامل الإنساني الأخلاقي، مع الاهتمام والاعتناء أيضاً بطرق تبليغ القصد، وحسن التعبير عنه، التي من مسوغات استعمالها: بناء علاقة ودية بين طرفي الخطاب، أو إعادتها عند تعرضها لما قد يضعفها، وفي ميادين الدعوة والتعليم تستعمل كذلك؛ بحيث يكون حسن الخلق والتأدب، وسيلة لتيسير الفهم وتسهيله على المدعويين، إضافة إلى نشر المحبة، والقبول إلى غير ذلك.

ويمكن محاولة رصد، وفهم، وتحليل نوعية الاستراتيجيات المستخدمة، من قبل الداعية وغيره، من خلال صيغ خطاباته، ومواقفه المختلفة، والتي منها فيما يخص هذه الاستراتيجية، استخدام الأسماء، والكنى، والتصغير، والاعجاب والثناء الصادق، وعبارات التلطف والتودد، والتضامن والمصارحة، والمزاح المباح إلى

غير ذلك.

وإن من نافلة القول وأهميته أيضاً، الإشارة أولاً، إلى أن لكل استراتيجية (سواء منها التضامنية (محل البحث والدراسة) أو التوجيهية أو التلميحية أو الإقناعية (الحجاجية) صيغ ومسوغات، فينتقى منها ما هو أكثر ملائمة، وأن يكون ثانياً، استعمال هذه الاستراتيجية التضامنية متوازناً مصحوباً بالاحترام، وإنزال، الناس منازلهم (١) والتي ثالثاً، من أهم مؤشرات نجاحها، وفعاليتها التجرد، والإخلاص عن كل غرض يعيها، فالمتلقي يدرك ذلك غالباً، ويلمسه في الخطاب الدعوي الموجه إليه؛ ولذا على الداعية أن يحرص دوماً على مراقبة وتقييم خطابه، وفعله مما يشينه شرعاً وعقلاً، وأن يجتهد في المحافظة على عُرى التواصل مع المدعو، بما يجعله مقبلاً على سماعه، وفهم مراده؛ وأن يبادل له الحرص على استمرار ذلك التواصل، للوصول أو الاقتراب من تحقيق الهدف المرجو منه (٢) وقديماً قيل في تأكيد هذا المعنى: "الكلمة إذا خرجت من القلب، وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان" (٣).

وبشيء من التتبع والاستقراء لسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم- فيما يتعلق بهذه الجوانب، نجد ما يثير الهمة، ويؤكد الرغبة العلمية، بإجراء المزيد من الدراسات المعاصرة؛ لمحاولة استنباط منهج تواصل إبداعي شامل، مصحوباً بالنماذج والأمثلة الواقعية؛ للتأمل والوقوف على مواطن اللطف والحكمة، والتأثير،

(١) انظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن ٢٢٣، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م) واستراتيجيات الخطاب، عبدالهادي الشهري ٢٥٧ - ٢٦٣، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).

(٢) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٢٦٠ - ٢٦١، والبيان والتبيين، الجاحظ ٨٧/١ عند حديثه عن أحسن الكلام وتأثيره، ط: د (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣هـ).

(٣) البيان والتبيين، الجاحظ ٨٨/١.

والرقي في التواصل مع الآخرين، من ناحية، والتعرف على مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة، وتعزيز التأسّي والاقتداء به -صلى الله عليه وسلم- من ناحية أخرى.

ولأهمية هذا الجانب، والحاجة إليه، فقد تم اختيار هذا الموضوع بعنوان: استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعوين، الاستراتيجية التضامنية أمودجا، حيث سيتم التطرق بمشيئة الله تعالى إلى دراسة ومعالجة عدد من النقاط المشار إليها في خطة البحث، كاستخدام الكنى والثناء والاعجاب، ولطيف العبارات مع المدعوين، والمحافظة على عُرى التواصل معهم، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها؛ محاولة لاستخلاص رؤى، ونماذج يقتدى بها من حياة الأسوة الحسنة -صلى الله عليه وسلم-، وصحبه الكرام -رضى الله عنهم-، الذين رأوا وقتئذ ذلك الخطاب، والتواصل النبوي الكريم الرائع، مطبقاً في مختلف نواحي حياتهم، وبالإمكان أن يراه ناس اليوم حال حرصهم على محاولة تلمسه والتعرف عليه، والسعي للتأسّي به.

#### الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتتبع لم أجد حسب علمي دراسة مستقلة لهذا الموضوع، وإنما توجد دراسات وأبحاث قليلة مهمة في بابها وتخصصاتها، ومنها ما يلي:

• الاستراتيجية الخطابية في السنة النبوية<sup>(١)</sup> وقد تناولت هذه الدراسة مفهوم الحوار ومرادفاته، ومفهوم الاستراتيجية، والأساس الشرعي للاستراتيجيات الخطابية، وتم التطرق إلى أربعة أنواع وهي: الاستراتيجية التضامنية، الاستراتيجية التوجيهية، الاستراتيجية التلميحية، والاستراتيجية الحجاجية في حوارات الرسول -صلى الله عليه وسلم-. وذلك بالتعريف بكل استراتيجية، ومسوغات استعمالها،

(١) الاستراتيجية الخطابية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية،

جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ١٥/٢، الصفحات ٥٣٢ - ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).

والتمثيل لها، وفيما يتعلق بجانب الدراسة الحالي، وهي الاستراتيجية التضامنية، فقد تطرق لها الباحث الكريم في قرابة ست صفحات، واستشهد لها بأربعة نماذج من السيرة النبوية.

• ومن الدراسات السابقة في هذا المجال دراسة بعنوان: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي (١) وقد ضبطت الباحثة الكريمة هذه الدراسة بصحيح البخاري - رحمه الله- وكان التركيز فيها على الاستراتيجية التوجيهية، حيث تم التطرق إلى ملامحها عند العرب، والغرب قديماً وحديثاً، وآليات التوجيه في الحديث النبوي الشريف، كما تناولت في جزء من بحثها استراتيجية الاقناع، وآلياتها في الحديث النبوي.

• ومن الدراسات المهمة في بابها: استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية (٢) حيث تناول الباحث الكريم في الباب الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب ومعايير تصنيفها، والعوامل المؤثرة فيها، وضمنه ثلاثة فصول، الأول: مفهوم استراتيجية الخطاب، الثاني: معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب، الثالث: العوامل المؤثرة في اختيار استراتيجية الخطاب، والباب الثاني عن أنواع الاستراتيجيات، وضمنه أربعة فصول، الأول: الاستراتيجية التضامنية، الثاني: الاستراتيجية التوجيهية، الثالث: الاستراتيجية التلميحية، الرابع: استراتيجية الإقناع. وسوف تتم الإفادة منها بمشيئة الله في الجوانب ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالي.

(١) استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١٢/٢٠١١م)

(٢) استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).



## أهداف البحث:

١ - إبراز أهمية اختيار، وتمييز الداعية للاستراتيجية التي يبني عليها خطابه، وتواصله مع المدعويين على اختلاف قدراتهم وثقافتهم؛ بما يفضي إلى التقارب، والتأثير الإيجابي.

٢ - التعريف بالاستراتيجية التضامنية، ومسوغات استعمالها، وبيان أهميتها في ميادين الدعوة، والتربية والتعليم.

٣ - محاولة الإسهام في تقديم دراسة تتعلق بفقہ الخطاب والتواصل الدعوي من خلال السيرة النبوية، والتعرف على مواطن الحكمة والتأثير.

## منهج البحث:

سيتم بمشيئة الله التعامل مع المادة العلمية لهذا البحث وفق المنهج العلمي المتبع في مثل هذه الدراسات، وذلك باستخدام المنهج الاستقرائي - الاستنتاجي، بحيث يتم جمع الجزئيات والوقائع وفحصها ودراستها، وتنظيم المعلومات المتوافرة في قالب معين، لمساعدة الباحث على استنباط نتائج صحيحة تزوده بالحلول والمقترحات (١).

## التعريف بمفردات البحث:

### استراتيجيات:

جمع استراتيجي، وتأتي بمعنى خطة شاملة، وبراعة التخطيط، في أي مجال من المجالات، ويرجع هذا المصطلح إلى المجال العسكري، وتعدى ليتسع استعماله علوماً وتخصصات متنوعة (٢) وعرفت الاستراتيجيات بأنها: " طرق محددة لتناول مشكلة

(١) انظر: المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية، أ. د. عبدالله الوليحي،

٣٥، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ) وكتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د.

عبدالوهاب أبو سليمان ٦٤، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ) ومنهاج البحث العلمي

تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي ٨٣، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ٩٠/١، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

ما، أو القيام بمهمة من المهمات، أو هي مجموعة عمليات تهدف إلى بلوغ غاية معينة" (١) وبمعنى آخر أنها مجموع عمليات، وخطوات المعالجة الموجهة عادة بوعي عند إعداد الخطاب وتلقيه؛ للإسهام في تحقيق أهدافه، ونجاح العملية التواصلية (٢) وبهذا فإن الاستراتيجية تتعلق بإعداد الخطاب وتجهيزه بالدرجة الأولى، وعليه فمن الضروري أن يكون الخطاب الدعوي معداً بإتقان، وأن يقوم الداعية بانتقاء الاستراتيجية الأكثر ملائمة لخطابه، والتي تعينه على التعبير عن مقاصده وتحقيق أهدافه بأحسن حال (٣).

### الخطاب:

جاء أن "الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان... والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة" (٤) وعُرف الخطاب بأنه الكلام الذي يقصد به الإفهام لمن هو متهيئ لفهمه (٥) وقد ورد لفظ الخطاب في مواضع وبصيغ متعددة في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا

(١) استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش ١٧٢، مجلة

جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).

(٢) انظر: مدخل إلى علم لغة النص، "فولتجانج هانيه" ٢٦٩، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد البحري،

ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).

(٣) انظر: استراتيجيات الخطاب، الشهري ٥٣، ٥٦، ومفتاح العلوم، السكاكي، الفن الثاني ١٧٥

وما بعدها، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).

(٤) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) ٣٦١/١، ط: ٣ (بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ)

وانظر معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ١٩٨/٢، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط:

د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكسوفي (ت ١٠٩٤هـ)

٤١٩، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).

خَاطِبُهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿١٣﴾ (١) أي لم يقابلوا خطاب الجهل بمثله (٢) بل "أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب" (٣)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿١٣﴾﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٥﴾﴾ (٥) وقيل فصل الخطاب هو "الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس...، وقيل: هو الخطاب القصد السذي ليس فيه اختصار مغل، ولا إشباع ممل، كما جاء في وصف كلام الرسول صلى الله عليه وسلم" (٦) وهو المراد في هذا البحث.

### التواصل:

التواصل ضد التقاطع والتصارم ونقيضه، يقال: توصل إليه، بمعنى تطف في

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٦.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي ٤٣٦/٧، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ) وتيسير الكريم الرحمن، السعدي ٥٨٦، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحي، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٩٥/١٩، تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ) وانظر معالم التنزيل، البغوي ٤٥٤/٣، تحقيق: المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

(٤) سورة ص، الآية: ٢٣.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٠.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ٢٦/٥، تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ) وانظر جامع البيان، الطبري، ١٧٣/٢١، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١٦٢/١٥، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ).

الوصول إليه (١) وتصارموا بعد التواصل أي تهاجروا وتقاطعوا (٢).  
المدعويين:

جمع مدعو، وهو الإنسان الذي يخاطب بالدعوة وتوجه إليه (٣) والمراد في هذا البحث المدعو من المسلمين، مع الإشارة اليسيرة لغير المسلمين.  
الاستراتيجية التضامنية:

من التضامن، يقال: تضامن القوم، تعاونوا وساعد بعضهم بعضاً، واتفقوا على أمر. وتضامناً معه، أي تأييداً ومشاركة له (٤) والتضامن الالتزام بالمعاونة، وأن يؤدي عن الآخر ما قد يقصر عن أدائه (٥).

ومما عُرِّفت به الاستراتيجية التضامنية: "بأنها الاستراتيجية التي يحاول المرسل أن يجسد بها درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبر عن مدى احترامه لها، ورغبته في المحافظة عليها، أو تطويرها؛ بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي

(١) انظر: مختار الصحاح (ت ٦٦٦هـ) الرازي ٢٥٦، ٣٤٠، تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٠هـ) وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) ٧١٩٣/١١، تحقيق: د. حسين العمري وآخرون، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: أساس البلاغة، الرمخشري ٣٣٩/٢، تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني ٤١ - ٤٢ و ١٦٩، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤٣٤هـ) وأصول الدعوة، عبدالكريم زيدان ٣٧٣، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ) والأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية "دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر"، أ. د. عبدالرحيم المغذوي ٥٧٤ - ٥٧٦، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).

(٤) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار ١٣٧٠/٢، ١٣٧١، ١٥٨٠.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ١/٥٤٤، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ت: د).

محاولة التقرب من المرسل إليه وتقريبه" (١). وهو المراد في هذا البحث.  
**أتمودجاً:**

مثال الشيء، فالأتمودج يأتي بمعنى المثال الذي يعمل عليه الشيء (٢).  
 ويقصد به في هذا البحث، استخدام الاستراتيجية التضامنية المشار إليها في  
 عنوان البحث، كمثال وأتمودج لتطبيق هذا النوع من الاستراتيجيات على موضوع  
 الدراسة.

### خطة البحث:

#### تمهيد:

المبحث الأول: استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعويين  
 المبحث الثاني: الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعويين  
 المبحث الثالث: السكينة والهدوء، وحسن الإفهام والتعليم مع المدعويين  
 المبحث الرابع: المحافظة على عُرى التواصل مع المدعويين وتنقيتها مما قد يشوبها  
 الخاتمة: النتائج والتوصيات  
 قائمة المراجع والفهرس

- 
- (١) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري ٢٥٧، وانظر أهمية الموضوع ص ١.  
 (٢) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ٣١/١، ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد  
 مختار ١٣٣/١، ومعجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار ٨٦/١، ط: ١  
 (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

## تهيد

كما سبقت الإشارة أثناء الحديث عن أهمية البحث، بأن قيام الداعية إلى الله، بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله مع المدعويين، واهتمامه، واعتناؤه بخطابه، ومواقفه المتنوعة؛ من شأنه أن يُعينه، ويساعده - بتوفيق الله تعالى وتسديده - على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في حل مواقفه، وتهيئة خطابه وطريقة تواصله على ضوءها.

وبناء عليه، ومن خلال المباحث التالية، سيتم استعراض العديد من النماذج، والمواقف الحياتية المتنوعة، ومحاولة تحليلها، وإبراز ما تحويه من قيم أخلاقية سامية، وتواصل فعال، يتضح من خلالها كيف كان خطاب النبي -صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث نبّجه -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف يتواصل معهم بما يسرهم ويفرحهم، ويريح مشاعرهم، ويحفظ منزلتهم، فيزداد حبهم، وتوقيرهم، واتباعهم له -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أمه.

فتارة نراه -صلى الله عليه وسلم- يخاطب بالأسماء والكنى، والإعجاب، وتارة بألفاظ الترحيب والإكرام والملاطفة، والمزاح المباح، وأخرى بالسكينة والهدوء، وتطيب نفس المخاطب، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك، وبغيره، حتى أنه في مواقف يهيم أصحابه الكرام -رضى الله عنهم- بالزجر والإنكار، حرصاً على ما يرونه مخالفاً لما تعلموه، فيأتي خطابه -صلى الله عليه وسلم- وطريقة تواصله بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأرقى وأحسن أسلوب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام هذه الاستراتيجية، لا يتعارض مع استخدام ما يلائم من غيرها، ولا مع المواقف والأحداث التي تتطلب وتقتضي نوعاً من الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتبرة شرعاً؛ حيث بالإمكان، ومن واقع السيرة النبوية العطرة أن يُرى بوضوح كيف أن الصرامة، والقوة المشروعة تحمي الفرد والمجتمع، وتسهم في نشر الأمن والسلام، وتحمل في

طياتها معاني الرحمة، وبأن الرحمة تهذب القوة وتحاصر فيها مظاهر الشر، والقسوة غير المبررة شرعاً، فهو منهج متوازن، وقد بين العلماء ذلك، ولعدم التطرق لهذه الجزئية في البحث الحالي؛ نظراً لاختلاف طبيعة الدراسة، ومحدوديتها بموضوعها، فقد تم الاكتفاء بالإشارة إلى ذلك في الهامش أدناه باختصار، مع تزويد القارئ الكريم ببعض المصادر والمراجع المتنوعة للبحث والاستزادة(١).

(١) فعلى سبيل المثال: تم بيان وإيضاح أن الحزم والغضب المشروع فيما يعود إلى القيام بالحق، قد يكون واجبا كالغضب على أهل الباطل، والانكار عليهم بما يجوز، وقد يكون مندوبا، وهو الغضب على المخطئ، كما غضب صلى الله عليه وسلم لما سأله رجل عن ضالة الإبل، ولما شكى إليه معاذ أنه يطول في الصلاة. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) ٢/٢١٢، د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ) وقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الأدب، باب "ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله" ٢٧/٨، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ) وبالإمكان مراجعة فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ١٠/٥٨١، رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ولزيد من الاطلاع على هذا الجانب انظر: على سبيل المثال أيضاً: شرح السنة، البغوي = = (ت ٥١٦هـ) ١٣/٢١٣ تحقيق: شعيب الأرنؤوط و محمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ) ومفاتيح الغيب، السرازي (ت ٦٠٦هـ) ٢٢/١٩٣، ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ) والتسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري (ت ٧٤١هـ) ٢/٣١، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ) والرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أ. د. راغب السرجاني ١٢٧ وما بعدها و٣٦٧، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم، ونصرته، ١٤٣١هـ) ومظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص ١٠٩ وما بعدها و١١٩، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم، ونصرته، ١٤٣١هـ).

## المبحث الأول

### استخدام الأسماء والكنى، والثناء والإعجاب مع المدعوين

يُلاحظ أن سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- حافلة بالمواقف والنماذج والأحداث؛ التي تعزز جوانب التعاضد والتضامن، والتكاتف في المجتمع، وترتقي بمستوى التخاطب والتواصل فيما بينهم، بما يرسخ أواصر المودة بين أفرادها؛ ومن ذلك النداء بالاسم والكنية، وما يصحب ذلك من انبساط الوجه، وعبارات الثناء الصادقة التي تدخل السرور والابتهاج على المدعو، وتكون أجمع لقلبه، ولما يُخاطب به ويُلقى عليه، ومن النماذج:

أولاً - ما ذكره أنس رضي الله عنه-، في بيان خطاب وتعامل النبي -صلى الله عليه وسلم- معه، حينما كان صبياً صغيراً، وأنه أرسله يوماً لقضاء حاجة، فتأخر عن إنجازها؛ لانشغاله مع صبيان آخرين يلعبون في السوق، وذلك حين قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ قَبِضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَتَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ»(١).

في موقف تلكئ فيه عن المبادرة بسرعة تنفيذ ما أمر به؛ لصغر سنه، ومع ذلك، ما وبخه -صلى الله عليه وسلم- بل داعبه، وتجاوز عنه، ووضع يده الحانية عليه، وشفع ذلك بضحكه، ومحاطبته بـ: «يَا أُنَيْسُ أَذْهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» ناداه

(١) صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) كتاب الفضائل، باب كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أحسن الناس خلقاً ٤/١٨٠٥ رقم ٢٣١٠، تحقيق: محمد عبد الباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء

التراث العربي، ت: د).



بتصغير اسمه رحمة وشفقة (١).

قال ابن هبيرة -رحمه الله- مستنتجاً الحكمة التربوية من وضع يده الشريفة - صلى الله عليه وسلم- على مؤخر عنق أنس: " ومما يدل على حكمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أنه، وكأنه قال له حين قبض على عنقه من ورائه، وما أترك إلا عن قدرة عليك" (٢) فنبهه على تقصيره، بفعل حان، ولفظ يحمل في طياته معاني التربية على التودد والتألف، وتجدد الحب، وتلمس المعاذير لمن هو في عمره وسنه (٣) عوضاً عن التعنيف وقساوة مفرداته، فما أروعها من معالجة، وما أحوج الدعاة، والمربين وغيرهم لمحاكاة ذلك، ونشر هذه الثقافة وتعزيزها.

مع ملاحظة أن هذا التواصل والتعامل الراقي، لم يكن مجرد موقف عابر، أو نتيجة مواقف معدودة، وإنما هو ثقافة سائدة، وسلوك استمر معه عشر سنوات؛ مما ترك أبلغ الأثر في نفسه -رضي الله عنه-، تُجَاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولذا قال: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أَفَّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟" (٤) وفي رواية أخرى قال: «فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا

(١) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت ١٠١٤هـ) ٣٧١٠/٩، ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠هـ) ٢١٤/٥، تحقيق: فؤاد عبدالمعتم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).

(٣) انظر: الدين المعاملة، منقذ السقار ٧٥ (رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقاً ١٨٠٤/٤ رقم ٢٣٠٩.

هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟» (١).

ثانياً - وهذا زيد بن ثابت -رضي الله عنه- يبيّن إعجاب النبي -صلى الله عليه وسلم- به، وبقدراته، ومخاطبته باسمه، وتكليفه إياه بتعلم كتاب يهود، وذلك حين قال: "ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَعْجَبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ" (٢) وجاء في رواية: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمَرَهُ «أَنْ يَتَعَلَّمَ كِتَابَ الْيَهُودِ» حَتَّى كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كُتُبَهُ، وَأَقْرَأْتُهُ كُتُبَهُمْ، إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ" (٣).

وفي هذا الصدد قال ابن الملتن -رحمه الله-: "وفيه من الفوائد تعلم كتاب اليهود، ويجوز على هذا تعلم كتابة غيرهم من العجم للضرورة" (٤)، ومما يستأنس به في الصدد ما قيل من أنه: "كان في إمكان النبي صلى الله عليه وسلم- أن يكتابهم بالخط العربي، ويلزمهم أن يكتابوه به، ولكن تسامح الإسلام، واحترامه لمحترمات الأمم في دينهم وقوميتهم، قضيا بترك اليهود يكتبون ويكتابون بخطهم، فأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم- على ما أرادوا، وكلف هو من تعلم خطهم" (٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب استخدام اليتيم في السفر...، ١١/٤ رقم ٢٧٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ٤٩٠/٣٥ رقم ٢١٦١٨، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، وقال اسناده حسن، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ترجمة الحكام...، ٧٦/٩ رقم ٧١٩٥.

(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملتن (ت ٨٠٤هـ) ٥٧٣/٣٢، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).

(٥) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبدالحميد محمد بن باديس الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ٦٩، ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).

ولا شك أن ما قام به زيد -رضي الله عنه-، وهو من حفاظ القرآن الكريم وكتابه - يستحق ذلك الإعجاب، ويدل على ذكاء مفرد، وقدرة عالية، وقوة حافظه (١).

ثالثاً - ومن النماذج خطابه المتنوعة مع عمه العباس، وبلال، وجابر، وعمرو، وعبدالرحمن -رضي الله عنهم-.

• فحين طلب عمه العباس -رضي الله عنه- أن يعلمه شيئاً يسأله الله تعالى، ناداه صلى الله عليه وسلم: باسمه وبصلة قرابته، فقال: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، الْعَاقِبَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» (٢) فقد كان صلى الله عليه وسلم - يتزله منزلة والده، ويرى له من الحق ما يرى الابن لأبيه (٣).

• ومع بلال -رضي الله عنه- عندما نزلوا بعد مسير ليلة؛ للنوم والاستراحة، والتزامه بإيقاظ النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه لصلاة الفجر، جرياً على عادته في الاستيقاظ لأداء الأذان، ولكن النوم غلبه وقتئذ حتى خرج وقتها (٤) فعذره النبي -صلى الله عليه وسلم- وخاطبه باسمه مرتين، وذلك بقوله: «يَا بِلَالُ، أَيْنَ مَا

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ٢/٢٤٩، ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ) والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي ٥٤٧ - ٥٤٨، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).

(٢) سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩هـ) باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم - ٥٣٤/٥ رقم ٣٥١٤ وقال عنه حديث صحيح، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٩٥هـ) وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ٢٨/٤ رقم ١٥٢٣، ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).

(٣) انظر: تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ٣٤٨/٩، ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د) ومرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ٨/٢٥٥، ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥هـ) ٥/٨٨، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د) وشرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ١٠٣/١، تحقيق: طه عبدالرؤوف، ط: ١ (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٤هـ).

قُلْتَ؟» قَالَ: مَا أَلْقَيْتَ عَلَيَّ نَوْمَةً مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ، يَا بِلَالُ، قُمْ فَأَذِّنْ بِالنَّاسِ بِالصَّلَاةِ» (١).

قال ابن حجر -رحمه الله- أثناء ذكره لفوائد هذا الموقف ومنها: "قبول العذر ممن اعتذر بأمر سائغ، وتسويغ المطالبة بالوفاء بالالتزام، وتوجهت المطالبة على بلال بذلك تنبيها له على اجتناب الدعوى والثقة بالنفس، وحسن الظن بها، لا سيما في مظان الغلبة، وسلب الاختيار، وإنما بادر بلال إلى قوله أنا أوقفكم؛ اتباعاً لعادته في الاستيقاظ في مثل ذلك الوقت لأجل الأذان" (٢).

• ومن النماذج ما حصل لجابر بن عبد الله -رضي الله عنه- عندما خرج مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في إحدى أسفاره، فأتاه ليلاً، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم-: «مَا السُّرَى يَا جَابِرُ» فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي» (٣)

فناداه باسمه، وسأله عن السبب الذي دعاه للسير ليلاً؛ لعلمه -صلى الله عليه وسلم- بأن الحامل على مسراه في ذلك الوقت أمر يحتاجه (٤).

• ومن ذلك: مناداته لعمر بن العاص وضحكه -صلى الله عليه وسلم- مما صنع، فقد جاء أنه رضي الله عنه قال: "اِحْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ أَنْ اغْتَسِلَ فَأَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِنَبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: "يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟" فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي مِنَ الْاِغْتِسَالِ، وَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ:

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الأذان بعد ذهاب الوقت ١٢٢/١ جزء من رقم ٥٩٥.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٦٧/٢ - ٦٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً ٨١/١ جزء من رقم ٣٦١.

(٤) انظر: الإفصاح، ابن هبيرة ٨ / ٣٢٠، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ٢ / ٣٦٥، تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرين، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (١) فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا (٢).

• وكقوله -صلى الله عليه وسلم- منادياً عبدالرحمن -رضي الله عنه-: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وَكَلِمَتٍ إِلَيْهَا، وَإِن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا» (٣).

والمعنى كما قال الطيبي -رحمه الله- " أن الإمارة أمر شاق، لا يخرج عن عهدها إلا الأفراد من الرجال، فلا تسألها عن تشرف نفس، فإنك إن سألتها تركت معها، فلا يعينك الله عليها، وإن أُوتيت من غير مسألة أعانك الله عليها" (٤).

وقد بين ابن أبي حمزة -رحمه الله- الحكمة من استخدام الأسماء بهذه الكيفية، أثناء الخطاب والتواصل، وذلك حين قال: "والحكمة في ذلك تظهر من وجهين: الأول: أن نداءه باسمه أجمع لخاطرة، فيكون ذلك سبباً لتحصيل جميع ما يلقي إليه...؛ كل ذلك ليأخذ الأهبة للإلقاء، ويصغي لسمع الخطاب، الثاني: إن في نداءه

(١) سنن أبي داود، أبوداود (ت ٢٧٥هـ) باب إذا خاف الجنب البرد أتيتم ٢٤٩/١ رقم ٣٣٤، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، وقال عنه حديث صحيح، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ) وانظر صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ١٥٤/٢ رقم ٣٦١، ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من لم يسأل الإمارة أعانته الله عليها ٦٣/٩ جزء من رقم ٧١٤٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النهي عن طلب الإمارة والحصر عليها ١٤٥٦/٣ رقم ١٦٥٢.

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ٨ / ٢٤٤٠، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة - الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).

باسمه ادخال سرور عليه؛ لأن النداء أبداً، إذا وقع من الفاضل إلى المفضول يحصل له به ابتهاج وسرور، فكيف به، وهو نداء سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم- (١).

رابعاً - وبعد بيان الحكمة من استخدام الأسماء، يُنتقل الآن للإشارة إلى بعض النماذج على استخدام الكنى، وإظهار الثناء والإعجاب في مواطنه، أثناء العمليسة التواصلية، ومن ذلك ما حدث مع أبي ذر، وأبي بن كعب، وأبي هريرة، وسلمان- رضى الله عنهم-.

• فقد كنى صلى الله عليه وسلم- أباذر حين قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانِكَ» (٢).

• ومن ذلك ما حصل مع أبي هريرة - رضى الله عنه - عندما كناه صلى الله عليه وسلم- وأثنى عليه، نتيجة سؤاله حين قال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوْلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَيَّ الْحَدِيثِ» (٣)، قال العيني رحمه الله-: "فيه جواز الكنية عند الخطاب" (٤) وقال ابن بطال رحمه الله- في بيان أثر الثناء على المتلقي: "وفيه أن للعالم أن يتفرس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرسه فيه،

- 
- (١) هجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي حمزة (ت ٦٩٩هـ) ١/١٣٤، ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).
- (٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار والإحسان إليه ٢٠٢٥/٤ رقم ٢٦٢٥،
- (٣) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث ٣١/١ جزء من رقم ٩٩.
- (٤) عمدة القاري، العيني ١٢٨/٢.

ويعرفه ذلك؛ ليعتبه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه" (١).

- وفي موقف آخر، يأخذ -صلى الله عليه وسلم- بيده للتأنيس، وكمال الالتفات إليه، ويكنيه بالترخيم والتكبير (٢) قال أبو هريرة رضي الله عنه: "لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا جُنْبٌ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَشَيْتُ مَعَهُ حَتَّى قَعَدَ، فَأَسَلَلْتُ، فَأَتَيْتُ الرَّحْلَ، فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ جِئْتُ وَهُوَ قَاعِدٌ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرٍ»، فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَبَا هُرَيْرٍ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ» (٣).
- كما ورد أنه خاطب -صلى الله عليه وسلم- أبي بن كعب رضي الله عنه -بكنيته، والثناء عليه حين قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (سورة البقرة/ الآية ٢٥٥) قَالَ: فَضْرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ» (٤) الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» (٥).
- قال النووي -رحمه الله-: "فيه تبجيل العالم فضلاء أصحابه، وتكثيرهم، وجواز مدح الإنسان في وجهه؛ إذا كان فيه مصلحة، ولم يخف عليه إعجاب

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) ١/١٧٦، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ) وانظر التوضيح، ابن الملقن ٣/٤٨٩.

(٢) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني (ت ٧٨٦هـ) ٣/١٤٩، ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ) ومرقاة المفاتيح، الهروي ٢/٤٣٣، وكوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ٥/٤٨٧، ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب الجنب يخرج ويمشي في السوق...، ١/٦٥ رقم ٢٨٥.

(٤) المعنى: ليكن العلم هنيئاً لك. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، الطيبي ٥/١٦٤٤.

(٥) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/٥٥٦ رقم ٨١٠.

ونحوه؛ لكمال نفسه ورسوخه في التقوى" (١) كما فيه مراعاة الأدب وتعظيم السائل، عندما قال -رضي الله عنه- ابتداءً: الله ورسوله أعلم" (٢).

• ومن نماذج الثناء أيضاً، ما حصل مع سلمان الفارسي -رضي الله عنه-، حين وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الشريفة على كتف سلمان، وأثنى عليه (٣).

فقد بين ذلك أبو هريرة -رضي الله عنه- بقوله: "كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ -

صلى الله عليه وسلم- إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ (سورة الجمعة/ الآية ٣) قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَاءِ، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ» (٤).

وهكذا فإن الكنية تحمل معاني الإكرام والمسرة، والمساهمة في زيادة السود، والقرب من المدعو وتقريبه، كما سبق ذكره في استخدام الأسماء، والإعجاب والثناء الصادق في مواطنه، وسيأتي بمشيئة الله تعالى في المبحثين القادمين ما يشير إلى ذلك أيضاً.

(١) شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ٩٣/٦، ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ) وانظر شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) ٣٧٦/٥، تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).

(٢) انظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ١/ ٥٢٥، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).

(٣) انظر: شرح المشكاة، الطيبي ١٢/ ٣٩٣٣، وشرح صحيح مسلم، النووي ١٦/ ١٠٠، ومرقاة المفاتيح، الهروي ٩/ ٤٠٠٥.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل فارس ٤/ ١٩٧٢ رقم ٢٥٤٦، وانظر صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الجمعة قوله تعالى "وأخرجين منهم لماما..." ١٥١/٦ رقم ٤٨٩٧.



## المبحث الثاني

### الترحيب والملاطفة والمزاح المباح مع المدعويين

إن مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر العلاقات بين الناس، ما يقدمونه أثناء مخاطبتهم وتواصلهم من مؤشرات التقدير والاحترام المتبادل، وحفظ الأماكن وإنزال الناس منازلهم، وطيب الخطاب وصدقه، وما يتبع ذلك من انتقاء ألفاظ الترحيب والإكرام، والملاطفة والمزاح الذي يقرب النفوس، ونحو ذلك، ويتأكد ذلك عند القيام بالدعوة إلى الله تعالى، والتواصل مع المدعويين، ومن الأمثلة والنماذج الدالة على ذلك ما يلي:

أولاً - عندما قدم وفد عبدالقيس، وهم من أولاد ربيعة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عنهم، ورحب بهم، وذكر مزاياهم، وذلك أنه " لَمَّا أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنْ الْوَفْدُ؟»، قَالُوا: رَيْبِعَةٌ، قَالَ: «مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ - أَوْ الْقَوْمِ - غَيْرِ خَزَائِيَا وَلَا نَدَامَى» (١).

وجاء أنه -صلى الله عليه وسلم- قال لأشجَّ عبدِ القيسِ: " إِنْ فِيكَ لَحْصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ " (٢) فوجدوا من حفاوة الترحيب، وألفاظ التأنيس ما حفظ لهم مكانتهم، وأشجى أسماعهم، وأسعد خواطرهم (٣) وفي هذا الصدد قال ابن أبي جمرة رحمه الله: " فيه دليل على التأنيس للوارد، وذلك بشرط أن يكون ما يأنسوا به مطابقاً لحال المتكلم؛ لئلا يدرك الوارد طمعاً في المورد عليه فيما لا يقدر عليه؛ لأن الرحب والسعة التي أخبر بها -صلى الله عليه وسلم- للقادمين عليه، كانت

(١) صحيح البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب وصاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وفود العرب...

٩٠/٩ جزء من رقم ٧٢٦٦

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله... ٤٨/١ جزء من رقم ١٨.

(٣) انظر: السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني ٤/١٨٦، ط: ١

(مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).

عنده حقيقة حساً ومعنى...، وفيه دليل على تسمية الوارد حين الكلام معه؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم- قد سمي هذه القبيلة التي وردت عليه حين مخاطبتهم، حيث قال مرحباً بالقوم أو الوفد...؛ ولأن تسمية القادم زيادة له في التأنيس، وإدخال السرور عليه، وفي إدخال السرور من الثواب ما قد عُلم، ولأنه قد يظن القادم أن الكلام مع غيره؛ لأجل قلة أنسه بالخل<sup>(١)</sup> كما فيه بيان ما لدى الوفد من الفصاحة، ومراعاة المقام، وحسن التخاطب والتواصل، فهم لما سئلوا من القوم؟ لم يُطيلوا فيه الكلام، بذكر أسمائهم، أو الانتساب لأبائهم وأجدادهم؛ وإنما سماوا القبيلة التي حصل بها المقصود إبلاغاً في البيان، وإيجازاً في الاختصار، كما فيه ما يشير إلى ما يتمتعون به من التأدب والاحترام؛ لأنهم نادوا النبي صلى الله عليه وسلم- بأحسب أسمائه إليه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً - ويمثله ما حصل مع أم هاني بنت أبي طالب -رضى الله عنها- حينما ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- عام الفتح، فسلمت عليه فقال صلى الله عليه وسلم:- «مَنْ هَذِهِ؟»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِي بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِأُمِّ هَانِي...»، «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتَ يَا أُمَّ هَانِي»<sup>(٣)</sup>.

وقد بوب البخاري -رحمه الله- في صحيحه "باب قول الرجل مرحباً"<sup>(٤)</sup> فهي كلمة إكرام<sup>(٥)</sup>، والعرب تقول: "مرحباً وأهلاً وسهلاً؛ أي لقيت أهلاً كأهلك،

(١) بحجة النفوس، ابن أبي جمرة ٩٤/١.

(٢) انظر: المرجع السابق ٩٥/١، وللإمكان كامل الحوار بالإمكان مراجعة إحالة نص الحديث المشار إليها.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب أمان النساء وجوارهن ١٠٠/٤ جزء من رقم ٣١٧١، وانظر صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...، ٤٩٨/١ رقم ٣٣٦.

(٤) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الرجل مرحباً ٤١/٨.

(٥) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٢٥٦١/٦، و تحفة الأحوذى، المباركفوري ٣/٨.

ولقيت سهلاً؛ أي سهلت عليك أمورك (١).

وفي هذا الصدد قال ابن العربي -رحمه الله-: "فيه الترحيب بالزائر، وما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخلاق الجميلة الحسنة، وصلة الرحم، وطيب الكلام، ألا ترى إلى قوله: "مرحبا يا أم هانئ". ويروى "مرحبا بأم هانئ" والترحيب والابتهاال، مما يستدل به على فرح المزور بالزائر، وفرح المقصود إليسه بالقاصد، وهذا معلوم عند العرب" (٢).

وقال النووي -رحمه الله-: "فيه أنه لا بأس أن يكني الإنسان نفسه على سبيل التعريف إذا اشتهر بالكنية، وفيه أنه إذا استأذن، أن يقول المستأذن عليه من هذا، فيقول المستأذن فلان باسمه الذي يعرفه به المخاطب..، فيه استحباب قول الإنسان لزائره والوارد عليه مرحبا، ونحوه من ألفاظ الإكرام والملاطفة، ومعنى مرحبا صادفت رحبا؛ أي سعة" (٣).

وقد أكد ذلك ابن حجر -رحمه الله- وأشار إلى العديد من الأمثلة حين قال: "وفيه دليل على استحباب تأنيس القادم، وقد تكرر ذلك من النبي -صلى الله عليه وسلم-، ففي حديث أم هانئ، مرحبا بأم هانئ، وفي قصة عكرمة بن أبي جهل مرحبا بالراكب المهاجر، وفي قصة فاطمة مرحبا بابنتي، وكلها صحيحة" (٤).

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٣٤/٩.

(٢) المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) ٩٢/٣، تعليق محمد وعائشة السليمان، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ) وانظر المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ٢٧١/١، ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).

(٣) شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥.

(٤) فتح الباري، ابن حجر ١٣١/١، وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ٢٣١/٥، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ١/٧، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.

ثالثاً - ومن صور القرب من المتلقي وتقريبه أيضاً، ما حدث مع معاذ، وأبي ذر، وابن عمر -رضي الله عنهم-.

• فيها هو -صلى الله عليه وسلم- يأخذ بيد معاذ بن جبل -رضي الله عنه-، ويسمعه عبارات الحب والود، ويوصيه بما ينفعه، فقد جاء أنه -صلى الله عليه وسلم- "أخذ بيده، وقال: "يا معاذُ واللهِ إني لأحِبُّكَ" فقال: "أوصيك يا معاذ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تقول: اللهمَّ أعني على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ" (١) ولا شك أن مخاطبته -صلى الله عليه وسلم- بالحببة لمعاذ أشد تأكيداً، وتأثيراً من مخاطبة معاذ له بما، وفيه استحباب الإشعار بذلك، وإظهار المحبة والمودة (٢).

• ونموذج آخر مقارب لما ذكر هنا، ولما سبقت الإشارة إليه أثناء الحديث عن عبدالرحمن بن سمرة -رضي الله عنه-، يحمل في طياته أيضاً ألفاظ الإكرام والمودة، ولطف الخطاب، وحسن النصح والتوجيه، وهو ما حصل مع أبي ذر -رضي الله عنه- حين قال: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَيَّ مِنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِزْبِي وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» (٣).

وفي رواية: أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أَحِبُّ لَكَ مَا أَحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأْمُرَنَّ عَلَيَّ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلِّينَ مَالَ يَتِيمٍ» (٤) فهنا

(١) سنن أبي داود، أبواب فضائل القرآن، باب في الاستغفار ٦٣١/٢ رقم ١٥٢٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح أبي داود، الألباني ٢٥٣/٥ رقم ١٣٦٢.

(٢) انظر: شرح سنن أبي داود، العيني ٤٣٣/٥، والجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري، السفيري (ت ٩٥٦هـ) ٣٩٦/١، تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٥.

(٤) المرجع السابق، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٤٥٧/٣ رقم ١٨٢٦.

استعمال الكنية، والتوجيه بما يلائم الحال مع الملاطفة بلفظ المحبة، وضرب اليد لطفاً، وشفقة (١) وفي هذا "شدة رافة النبي صلى الله عليه وسلم- بأمته، ولا سيّما أصحابه الذين كان يعيش بينهم، ويداخلهم، ويعرف أحوالهم الشخصية، فمن كان منهم لا يستطيع التعامل مع المجتمع حذره عن التعامل، الذي يؤدي إلى عدم القيام بما يجب عليه، وحثه بالاشتغال بنفسه" (٢).

قال القاضي عياض -رحمه الله-: "وحضه على تركها؛ لما خافه عليه من الضعف عنها، حتى قرر عنده بمحض نصحه له في ذلك، وأنه إنما يجب له ما يجب لنفسه من الخير، ودفع الضرر" (٣) وقال ابن رجب -رحمه الله-: "وإنما نهاه عن ذلك، لما رأى من ضعفه، وهو صلى الله عليه وسلم- يُحب هذا لكل ضعيف" (٤).

• وفي نموذج آخر، وهو ما رواه عبد الله بن عمر -رضي الله عنه- حين قال: "أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ غَابِرٌ سَبِيلٍ» (٥) والحكمة بالأخذ بالمنكب ونحوه بهذا الحنو؛ إثارة الاهتمام والتنبية، وحث المستمع على وعي وإدراك ما يُلقى عليه، ولا يفعل هذا غالباً إلا بمن يميل إليه (٦).

(١) انظر: مرقاة المفاتيح، الهروي ٢٤٠١/٦

(٢) شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبى في شرح المحتجى، محمد بن علي الولوي ١٧٦/٣٠، ط:

١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ) وانظر شرح المشكاة، الطيبي ٢٥٦٧/٨.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٥٤٤هـ) ٦/٢٢٥، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١

(مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ) وانظر شرح صحيح مسلم، النووي ٢١٠/١٢ - ٢١١.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) ١/

٣٠٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم بساجس، ط: ٧ (بيروت، مؤسسة الرسالة،

١٤٢٢هـ).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم- "كن في الدنيا... " ٨٩/٨

جزء من رقم ٦٤١٦.

(٦) انظر: فتح الباري، ابن حجر ٢٣٥/١١، والفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيثمي (ت

٩٧٤هـ) ٦١٢، عني به: أحمد محمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ) وفتح

قال المبار كفوري -رحمه الله-: "ونكتة الأخذ؛ تقريه إليه، وتوجهه عليه؛ ليتمكن في ذهنه ما يلقي لديه" (١) كما أن في الوصية ما يشير إلى تعزيز موجبات التآلف والتضامن والتعاون، والبعد عن مسببات الخصومة والفرقة والتنافر، وفي هذا الصدد يقول ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث ما يدل على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حض على التشبه بالغريب؛ لأن الغريب إذا دخل بلدة لم ينافس أهلها في مجالسهم، ولا يجرع من أن يروه على خلاف عاداته في الملبوس، ولا يكون متدابراً معهم، وكذلك عابر السبيل، فإنه لا يتدبر ولا يلج في الخصومات مع الناس ولا يشاحهم، ناظراً إلى أن لبثه معهم أياماً يسيرة" (٢).

فقد "شبه الإنسان في الدنيا بالمسافر، وكذلك هو على الحقيقة؛ لأن الدنيا دار نقلة، وطريق إلى الآخرة، فنبه صلى الله عليه وسلم- أمته أن يغتتموا أوقات فرصتهم وفراغهم" (٣).

وقال الكرمانى -رحمه الله- معلقاً على هذا التشبيه بالغريب، بأنهما "كلمة جامعة لأنواع النصائح؛ إذ الغريب لقله معرفته بالناس قليل الحسد، والعداوة، والحقد، والنفاق، والتراخ، وسائر الرذائل التي منشأها الاختلاط بالخلائق" (٤).  
وقال ابن حجر -رحمه الله-: "وفيه مخاطبة الواحد وإرادة الجمع، وحرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على إيصال الخير لأُمَّته" (٥).

القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، عبدالحسن العباد ١٣١، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).

(١) تحفة الأحمدي، المبار كفوري ٥١٥/٦، وانظر مرقاة المفاتيح، الهروي ٨/ ٣٣٠٠.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٤/ ٢٤٧، وانظر شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ١٣٣، ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩٧/١.

(٤) الكواكب الدراري، الكرمانى ٢٢/ ١٩٤.

(٥) فتح الباري، ابن حجر ٢٣٥/١١.

رابعاً - وهذه صورة أخرى من صور الملائفة والممازحة، واستمالة القلوب، وإدخال السرور عليها.

• فهذا أنس بن مالك -رضي الله عنه- يروى هذه المرة موقفاً آخر لأخيه بقوله: "إِنَّ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِيَخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ(١)»(٢) .

وفي رواية قال: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو عُمَيْرٍ، قَالَ: أَحْسِبُهُ، قَالَ: كَانَ فَطِيمًا، قَالَ: فَكَانَ إِذَا جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرَأَاهُ، قَالَ: «أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّغَيْرُ»(٣) فيلاحظ هنا الإشارة إلى المخالطة والمجالسة بالملائفة، والمزاح، ومناداة هذا الطفل الصغير بالكنية، على معنى الكرامة، وحسن التفاوض بأن يكون أباً، وذا ولد، وهذا كله مما يقرب النفوس ويؤنسها، ويثبت الود، ويؤكد الرقي في التعامل، وحسن الخلق(٤).

وفي هذا الصدد قال الطيبي رحمه الله:- "وفيه كمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم- وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب

(١) النغير تصغير النغر، وهو طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) - ٨٦/٥، تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس ٣٠/٨ رقم ٦١٢٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب استحباب تحنيك المولود...، ١٦٩٢/٣ رقم ٢١٥٠.

(٤) انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٢٤/٢٨ و ٥٠٨، وإرشاد الساري، القسطلاني ٧٧/٩، وحاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ٤٠٢/٢، ط: د (بيروت، دار الجيل - بيروت، ت: د) والعرف الشذبي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) ٣/٣٣٤، تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).

الصغار، وإدخال السرور إلى قلوبهم" (١)، كما يبين الفرق بين المزاح المباح؛ الذي يفضي إلى ارتياح النفوس وتآلفها، وإلى الآخر المنهي عنه؛ الذي يورث الإيذاء والتنافر، وذلك حين قال: "المزاح المنهي عنه، هو الذي فيه إفراط ويداول عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدين؛ ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد، ويسقط المهابة والوقار، فأما من سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفعله على الندرة، لمصلحة، وتطبيب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا؛ فإنه مما يعظم الاحتياج إليه" (٢).

وقد أكد ابن بطال -رحمه الله-، أهمية التأسي به -صلى الله عليه وسلم- في مثل هذه الجوانب، حين قال: "فينبغي الاقتداء بحسن أخلاقه، وطلاقة وجهه الشريف -صلى الله عليه وسلم-" (٣).

• وهذا موقف آخر في كيفية التخاطب والتواصل مع الأهل والأقارب، حدث مع زوج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووالدها رضي الله عنهم، فقد روي أنه "استأذن أبو بكرٍ على النبي -صلى الله عليه وسلم- فسمع صوت عائشةً عالياً، فلما دخلَ تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يحجزه، وخرج أبو بكرٍ مغضباً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- حين خرج أبو بكرٍ: "كيف رأيتني أنقذتُك من الرجل؟"

(١) شرح المشكاة، الطيبي ١٠ / ٣١٤٠، وانظر الكواكب الدراري، الكرمانى ٢٢ / ٥، ومعالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ٤ / ١٢٩، ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ) وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ٦ / ٧٠، ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).

(٢) المرجع السابق ١٠ / ٣١٤٠.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٩ / ٣٠٤.



قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن على رسول الله فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلككما كما أدخلتُماني في حربكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد فعلنا، قد فعلنا" (١).

• وأختتم هذا المبحث بمثال ونموذج مشابه، حصل مع صهر النبي صلى الله عليه وسلم- وزوج ابنته-رضى الله عنهم-، فقد جاء أن " أَحَبَّ أَسْمَاءَ عَلِيٍّ - رضي الله عنه- إِلَيْهِ لِأَبُو تُرَابٍ، وَإِنْ كَانَ لَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى بِهَا، وَمَا سَمَاءُ أَبُو تُرَابٍ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، غَاظَبَ يَوْمًا فَاطِمَةَ فَخَرَجَ، فَاضْطَجَعَ إِلَى الْجِدَارِ، إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَتَّبِعُهُ، فَقَالَ: هُوَ ذَا مُضْطَجِعٍ فَنَسِيَ الْجِدَارَ، فَجَاءَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَمْتَلَأَ ظَهْرَهُ تُرَابًا، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ وَيَقُولُ: «اجْلِسْ يَا أَبَا تُرَابٍ» (٢).

وفي تحليل هذا الموقف، وبيان ما فيه من حسن التواصل والتقارب، قال ابن بطال -رحمه الله:- " وفيه ما جبل الله عليه رسوله من كرم الأخلاق، وحسن المعاشرة، وشدّة التواضع، وذلك أنه طلب علياً، وأتبعه حتى عرف مكانه، ولقيه بالدعابة، وقال له: (اجلس أبا تراب) ومسح التراب عن ظهره؛ ليسطه ويذهب غيظه، وتسكن نفسه بذلك، ولم يعاتبه على مغاضبته لابنته، وفيه من الفقه الرفق بالأصهار وترك معاتبتهم" (٣).

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المزاح ٣٤٩/٧ رقم ٤٩٩٩، قال عنه المحقق: حديث صحيح، ومسنّد أحمد بن حنبل، وقال عنه المحقق: اسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: المسند ٣٤٢/٣ رقم ١٨٣٩٥ و ٣٧٣/٣٠ رقم ١٨٤٢١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكني بأبي تراب وإن كانت له كنية أخرى ٤٥/٨ رقم ٦٢٠٤.

(٣) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٣/٩، وانظر إرشاد الساري، القسطلاني ١١٧/٩، والسيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، د. أحمد غلوش ٢٩٢، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).

وقال أيضاً أثناء حديثه عن الكنية، وأثرها على النفس: "الكنية موضوعة لإكرام المدعو بها، وإتيان مسرته؛ لأنه لا يتكفى المرء إلا بأحب الكنى إليه، وهو مباح له أن يتكفى بكنتين، إن اختار ذلك...؛ لأن علياً كان أحب الكنى إليه أبا تراب، وفي هذا الحديث أن أهل الفضل قد يقع بينهم وبين أزواجه ما جبل الله عليه البشر من الغضب، والحرص حتى يدعوهم ذلك إلى الخروج عن بيوتهم، وليس ذلك بعائب لهم" (١).

وأخيراً لعل فيما تم إيرادها، ومناقشته في هذا المبحث، ما يشير إلى أهمية حرص الداعية إلى الله تعالى على حسن التواصل والتخاطب مع المدعوين، وسعيه لإقامة تواصل فعال؛ يفضي - بتوفيق الله وإعانتة - إلى التقارب، والتعاون، والاحترام المتبادل، والتأثير الإيجابي عليهم، بما يجعلهم مقبلين على سماعه، وفهم مراده.

(١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٣٥٢/٩

## المبحث الثالث

### الهدوء والسكينة وحسن الإقهاء والتعلیم مع المدعوين

من الأهمية بمكان أن يحرص الإنسان عموماً، ومن يتولى شؤون الدعوة، والتربية والتعلیم، ومخالطة الناس خصوصاً، على التدرج، والسعي الجاد للاتصاف - مع العلم والمعرفة - بالسكينة وهدوء الطبع، والقدرة على امتلاك النفس، وضبط مشاعرها، وحملها على التخلص الصادق بما يُزينها، وإبعادها عن كل ما قد يُشينها من التصرفات والسلوكيات؛ ليتمكن - بتوفيق الله تعالى وإعانتة - من محاولة تبليغ ما لديه بالصورة المرجوة، وبما يحقق هدف الخطاب والتواصل، وبشيء من التبع والاستقراء لحياة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - تظهر بجلاء الأسوة الحسنة، في السكينة والحنو والهدوء، وروعة الإقهاء والتعلیم، وتطيب نفس المخاطب، حتى أنه في بعض المواقف والأحداث، يُقبل من حضرها من أصحابه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، بالتأنيب والإنكار، وفقاً لما يروونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله - صلى الله عليه وسلم - بما يُعالج تلك المواقف بأحسن أسلوب وأرقاه، ومن ذلك ما يلي:

أولاً - تقيبه وإدناؤه صلى الله عليه وسلم - وحواره لذلك الشاب الذي أتاه، واستأذنه وصارحه بما في نفسه، فقد جاء عن أبي أمامة رضي الله عنه - قال: "إن فتى شاباً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، أئذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "أذنه، فدنا منه قريباً" قال: فجلس قال: أتجبه لأمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يُحبونه لأمهاتهم" قال: "أفتجبه لابنتك؟" قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يُحبونه لبناتهم" قال: "أفتجبه لأختك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يُحبونه لأخواتهم" قال: "أفتجبه لعمتك؟" قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يُحبونه لعماتهم" قال: "أفتجبه

لِخَاتِكَ؟" قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ" قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (١).

فهذا الشاب توجه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بكامل الوضوح والانكشاف، والصراحة دون مواربة؛ ليستأذنه، ويخبره بما يُكن في صدره، ويجول في خاطره، وهو مما يُعلم حرمة وشناعته وقبحه، فناله ممن سمع قوله، وحضر مجلسه من الصحابة الكرام-رضى الله عنهم-، ما يتوقع لمثله من التوبيخ والتأنيب، ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقبل عليه، وقربه إليه بقوله: "أدنه" فدنا منه الشاب قريباً، وجلس، فخاطبه -صلى الله عليه وسلم- بما يلامس جوانب الخير فيه، ويشير مكان الغيرة المحمودة في نفسه، بتعداد محارمه، فقال: "أَتَحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟" والشاب يجيب: "لا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ" فبين له -صلى الله عليه وسلم- بقوله: "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" وهكذا فيما يخص بقية المحارم: البنت، والأخت، والعمة والحالة، وفي كل مرة، يجيب الشاب بالنفي، ويؤكد له -صلى الله عليه وسلم- بأن الناس كذلك، فهم يكرهون هذه الفعلة المشينة في محارمهم، كما كرهها الشاب في أهله ومحارمه، فلما أدرك الشاب بشاعة ذلك وأقره، وضع -صلى الله عليه وسلم- يده الكريمة عليه، ودعا له بقوله: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ" قال الراوي: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ.

فيظهر في هذا التخاطب والتواصل روعة التعامل مع المخاطب، وحسن إفهامه، بالحنو عليه وتقريبه، والاستماع إليه، والسماح له بالتعبير عما يجول في نفسه، واستثارة الخير فيها، والتوجه بالدعاء لمن بيده مفاتيح القلوب سبحانه وتعالى، كما فيه أيضاً ما يؤكد أهمية مراجعة الدعاء، والآباء، ومن يتولى توجيه الناس وتعليمهم،

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥٤٥/٣٦ رقم ٢٢٢١١ قال المحقق: إسناده صحيح. وانظر: سلسلة

الأحاديث الصحيحة، الألباني ٧١٢/١ - ٧١٣ رقم ٣٧٠.

لطريقة تعاملهم مع المخطئ، وتقييم ذلك، برصد ما يُستخدم معه من ألفاظ وتعايير، وعبارات، والسعي للاقتداء، والتأسي بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، والتحلي بالسكينة، والهدوء، والرفق في مخاطبة الناس والتواصل معهم، وخاصة المخطئ منهم (١).

وأختم هذه الجزئية بتعليق المناوي -رحمه الله- عن بيان الحكمة من الرفق، وإشارته إلى هذا الحديث، وضرورة ترفق العالم وتلطفه مع المخطئ، بقوله: "به تسهل الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجتمع ما تشتت، ويأتلف ما تنافر وتبدد، ويرجع إلى المأوى ما شذ، وهو مؤلف للجماعات، جامع للطاعات، ومنه أخذ أنه ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرماً أن يترفق في إرشاده ويتلطف به" (٢).

ثانياً - وفي موقف آخر بتقريب الغلام، ومناداته ببي، وتعليمه آداب الأكل، وكيف أثر ذلك فيه بقية حياته، قال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه: "كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرٍ (٣) رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَكَانَتْ يَدَي تَطْيِشُ فِي الصُّحُفَةِ (٤) فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَا غُلَامُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ

(١) انظر: الدين المعاملة، السقار ٧٥ - ٧٦، والاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، د. إدريس مقبول ٤٥٤.

(٢) فيض القدير، المناوي ٤٦١/٥.

(٣) في تربيته وتحت نظره، وقد كان ابن أم سلمه > زوج النبي صلى الله عليه وسلم. إرشاد الساري، القسطلاني ٢١١/٨، وانظر عمدة القاري، العيني ٢٩/٢١.

(٤) أي تجول في جهاتها وتأخذ من نواحيها ولا تقتصر على مكان واحد. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨هـ - ٣٨٧)، تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ) وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٥٣/٣.

بِيَمِينِكَ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ» (١).

وجاء في رواية: "أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدَهُ طَعَامٌ قَالَ: «اذْنُ يَا بُنَيَّ، وَسَمَّ اللَّهُ وَكُلُّ بِيَمِينِكَ، وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ» (٢) وهو ما كان الغلام الصغير على خلافه وقتئذ، فعلمه -صلى الله عليه وسلم- آداب الأكل، فتعلمها، ويَبِّنُ رضي الله عنه، أن تلك الطريقة المهذبة صارت عادة له، وطريقته في الأكل طيلة حياته (٣).

ثالثاً - ما حصل مع عقبة بن عامر -رضي الله عنه- أثناء سفره مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومناداته له باسمه، وتعليمه سورتين من القرآن الكريم، وعدم اكتمال سروره بذلك وملاحظة النبي -صلى الله عليه وسلم- لمشاعر عقبة، فما كان منه -صلى الله عليه وسلم- إلا أن صلى بهما الفجر، ثم خاطب عقبة باسمه مرة أخرى، ليرغبه فيهما، ويؤكد له فضلهما.

وقد بيَّن -رضي الله عنه- تفاصيل ما حدث له بقوله: "كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- نَاقَتَهُ فِي السَّفَرِ، فَقَالَ لِي: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أَعْلَمُكَ خَيْرَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ٦٨/٧ رقم

٥٣٧٦، وانظر صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام...، ١٥٩٩/٣ رقم ٢٠٢٢.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في التسمية في الطعام ٢٨٨/٤ رقم ١٨٥٧، وانظر

سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني ١٨٠/٣ رقم ١١٨٤.

(٣) تمت الإشارة إلى الحكمة من ذلك، وهي أن الأكل من موضع يد صاحبه، لا سيما في الطعام

الربط والإمراق، وما شابهه، سوء عشرة، وترك مودة، ومجانبة الأدب، ولا تستحسنه

النفوس...، انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٢١١/٨، وإكمال المعلم، القاضي عياض

٤٨٨/٦، والتجيب لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) ٥٣٥/٧،

تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ) ومنار القاري شرح مختصر

صحيح البخاري، حمزة قاسم ٥/ ١٤٢، راجعه: عبدالقادر الأرنؤوط، عني بتصحيحه ونشره:

بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).

سُورَتَيْنِ قُرْتَاتًا؟» فَعَلَّمَنِي قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، قَالَ: فَلَمْ يَرِنِّي سُرْرَتُ بِهِمَا جِدًّا، فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ صَلَّى بِهِمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الصَّلَاةِ التَّفَّتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: «يَا عَقْبَةَ، كَيْفَ رَأَيْتَ؟» (١).

والمعنى: "كيف حال هاتين السورتين عندك الآن بعد أن رأيتني صليت بهما الصبح، التي يُقرأ فيها بالطوال، وقال صلى الله عليه وسلم- ذلك له؛ ترغيباً، وتنبهاً على فضلها، وتأكيذاً لقوله: "أَعْلَمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ" (٢).

وفي هذا الصدد قال الطيبي -رحمه الله- معلقاً على هذا الموقف: "أشار صلى الله عليه وسلم- إلى الخيرية في الحالة التي كان عقبة عليها، وذلك أنه كان في سفره، وقد أظلم عليه الليل، وراه مفتقراً إلى تعلم ما يدفع به شر الليل، وشر ما أظلم عليه الليل، فعين السورتين لما فيهما من جازة اللفظ، والاشتغال على المعنى الجامع مع سهولة حفظها، ولم يفهم عقبة المعنى الذي أراده النبي -صلى الله عليه وسلم- من التخصيص، فظن أن الخيرية إنما تقع على مقدار طول السورة وقصرها، ولهذا قال: "فَلَمْ يَرِنِّي سُرْرَتُ بِهِمَا جِدًّا" وإنما صلي النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعرفه أن قراءتهما في الحال منصوح عليهما والزمان المشار إليه أمثل وأولي من قراءة غيرهما، ويبين له أنهما يسدان مسد الطويلتين" (٣).

(١) سنن أبي داود، باب تفرير أبواب الوتر، باب في المعوذتين ٧٣/٢ رقم ١٤٦٢، وصححه الألباني، انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني ٢٠٣/٥ رقم ١٣١٥.

(٢) ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩/٣٨٩، وانظر شرح سنن أبي داود، العيني ٥/٣٧٩.

(٣) شرح المشكاة، الطيبي ٣/١٠٠٦ - ١٠٠٧، وانظر حاشية السندي على سنن النسائي، السندي ٢٥٣/٨، ومرقاة المفاتيح، علي الهروي ٢/٦٩٨، وفي قوله صلى الله عليه وسلم-: "خير سورتين" قيل: أي من خير السور، وليس المراد أنهما أفضل السور على الإطلاق، إذ هناك ما يساويهما، أو يزيد عليهما، وقيل: هما يزيدان على غيرهما من السور في باب التعويد، إذ لم توجد سورة

رابعاً - إقباله - صلى الله عليه وسلم- وقربه من السائل لتعليمه، فقد روى أبو رفاعَةَ -رضي الله عنه- ما حصل له عندما أتى إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سائلاً ومستفسراً، ومبيناً عدم معرفته بدينه، وما قام به -صلى الله عليه وسلم- من الإقبال عليه، والدنو منه، ليسأله ويباحثه، وذلك حين قال: "انتهيتُ إلى النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- وهو يخُطُبُ، قال: فقلتُ: يا رسولَ الله رجُلٌ غريبٌ، جاءَ يسألُ عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبلَ عليَّ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وتركَ خطبته حتى انتهتْ إليَّ، فأتني بكرسيٍّ، حسبتُ قوائمَهُ حديداً، قال: فقعدَ عليهِ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- وجعلَ يُعلمني ممَّا علمهُ الله، ثم أتى خطبته، فأتمَّ آخرها" (١).

فيلاحظ هنا تلمظ السائل في ألفاظه، وعباراته، وتواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- وشفقته ومبادرته إليه، حتى أن هذا السائل روى كافة تفاصيل ما حدث له، وفي بيان ذلك، وفائدة جلوسه -صلى الله عليه وسلم- على الكرسي قال القاضي عياض -رحمه الله-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- دنا من المذكور، ونزل عن المنبر، وترك القيام عليه، وجلس إليه ليقرب منه، ويسأله عن دينه، ويتمكن من مباحثته عنه، وارتفع على الكرسي ليسمع كلامه غيره ويشاهدوا محاورته إياه" (٢). كما أشار النووي -رحمه الله- إلى عدة فوائد تتعلق بالخطاب، وكيفية التواصل، وذلك أثناء شرحه وتعليقه على هذا الموقف، حين قال: "فيه استحباب تلمظ السائل في عبارته، وسؤاله العالم، وفيه تواضع النبي -صلى الله عليه وسلم- ورفقه بالمسلمين، وشفقته عليهم، وخفض جناحه لهم، وفيه المبادرة إلى جواب المستفتي وتقديم أهم الأمور فأهمها، ولعله كان سأل عن الإيمان وقواعده المهمة وقد اتفق العلماء على أن من جاء يسأل عن الإيمان، وكيفية الدخول في الإسلام،

كلها تعويذ إلا هاتين السورتين. ذخيرة العقبى، الولوي ٣٩ / ٣٨٩، وانظر ومرة المفاتيح، علي الهروي ٢ / ٦٩٧.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة ٥٩٧ / ٢ رقم ٨٧٦.

(٢) إكمال المعلم، القاضي عياض ٣ / ٢٨١.



وجب إجابته وتعليمه على الفور، وقعوده -صلى الله عليه وسلم- على الكرسي ليسمع الباقر كلامه ويروا شخصه الكريم" (١).  
خامساً - استقبله -صلى الله عليه وسلم- لما عرضه راقى الريح، بحلم وهدوء، وفصاحة بيان.

ففي هذا الموقف سيتضح أدب هذا الرجل مع الله تعالى، ومع رسوله -صلى الله عليه وسلم- قبل إسلامه، وكيف أنه سمع ما سمع من أهل مكة عن أتمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالجنون، وكانت مثل هذه الحرب الإعلامية وقتئذ طريقتاً وسبباً لتواصله مع الرسول، ورصد سلوكه وسماع حسن خطابه، مما أثار إعجابه، وقاده إلى الإسلام.

فقد روى ابن عباس -رضي الله عنه-: " أَنْ ضَمَادًا، قَدِمَ مَكَّةَ وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنْوَاءَ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، فَقَالَ: لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَيَّ يَدَيَّ، قَالَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ (٢) وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَيَّ يَدِي مَنْ شَاءَ، فَهَلْ لَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَا بَعْدُ» قَالَ: فَقَالَ: أَعَدَّ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكُهَنَةِ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ، وَقَوْلَ الشُّعْرَاءِ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَنَّا عُمُوسَ الْبَحْرِ (٣) قَالَ: فَقَالَ: هَاتِ يَدَكَ أَبَايَعُكَ عَلَيَّ

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٦٥/٦، ولمزيد من الاطلاع فيما يخص قطع الخطبة لمثل هذا، وهل كانت خطبة جمعة أو خلافه. انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٨١/٣، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) ٥٨/٥، اعتنى به: خليل شيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).

(٢) المراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجن. شرح صحيح مسلم، النووي ١٥٧/٦.

(٣) وسطه ولجته. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٨١/٥.

الإسلام، قَالَ: فَبَابِعُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَعَلَى قَوْمِكَ»، قَالَ: وَعَلَى قَوْمِي" (١).

فلنلاحظ هنا أدب هذا الرجل مع الله؛ حين نسب الشفاء إليه سبحانه وتعالى بقوله: "وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَيَّ يَدِي مَنْ شَاءَ" وأدبه مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والمتمثل في جانبين، الأول: أنه لم يتلفظ بما سمعه من بعض سفهاء أهل مكة، وإنما عبر بقوله: "يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ"، والثاني: تأدبه بطرح ما لديه بأسلوب العرض لا الاستخفاف، والاستهزاء، وذلك حين قال "فَهَلْ لَكَ؟" (٢) ولا غرو، فقد قيل إنه كان رجلاً يطلب العلم، ويعالج بالطب والرقية (٣).

ومع ما ذكر، فإن الرجل قدم وقتئذ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زاعماً معالجته، ومداوته وفقاً لما سمع، دون السؤال والتيقن والتمحيص، ولا شك أنه موقف غير مريح، يثير الغضب والاستغراب، ومع ذلك استقبله -صلى الله عليه وسلم- بحلم وهدوء وسكينة، ولم يناقشه في قوله، ولا رد عليه، وإنما خاطبه بتلسك الكلمات الجوامع؛ المشتملة على تعظيم الله وتمجيده، كلمات انبعثت من القلب إلى القلب؛ فلامست شغاف قلب ضماد، وأثرت على موقفه، فطلب إعادة سماعها، فأعادها -صلى الله عليه وسلم- له ثلاثاً؛ حرصاً على دعوته وهداياته (٤) فأبدى إعجابها بها، وأنه لا أبلغ منها ولا أنجع في القلب (٥) فما كان منه إلا أن دخل في الإسلام -رضي الله عنه-، وبايع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقومه كذلك.

(١) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٣/٢ جزء من رقم ٨٦٨.  
(٢) انظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم- أحمد زواوي ٢ / ٢٥٠ - ٢٥١، ط: د (الإسكندرية، دار القمة، ت: د).

(٣) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ٥٦/٣ رقم ٢٥٦٩، تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).

(٤) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، الصلابي ١٣٦، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) انظر: غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ١/١٣٤، تحقيق: عبدالكريم الغرناوي، ط: د (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).

## المبحث الرابع

### المحافظة على عرى التواصل مع المدعويين وتنقيتها مما قد يشوبها

إذا كان مما يزيد التآلف، ويقوي أواصر المودة والمحبة، ويُعين الدعاة إلى الله تعالى، وغيرهم على أداء المهام المناطة بهم بالصورة المرجوة، ما يُقدم أثناء الخطاب والتواصل من مؤشرات التقدير، والاحترام المتبادل، وحفظ المكانة، وطيب وصدق الحديث مع المدعويين، وما يتبع ذلك من ألفاظ وأفعال تسدل على الملاطفة، والإكرام، وحسن الخلق ورقبه إلى غير ذلك؛ فإن الحفاظ على هذه العلاقات وتقوية أواصرها، ومعالجة ما قد يشوبها من منغصات، أو يُضعفها من مواقف وأحداث أمر في غاية الأهمية؛ إذ النفس البشرية لا تخلو عموماً من التأثير الذي ربما يفقدها توازنها المعتاد بين فينة وأخرى، وعليه يتأكد على الدعاة والمربين إدراك ذلك، ومراعاته، والسعي لامتلاك مهارات المعالجة اللازمة، والقدرة على التواصل الإيجابي، وخاصة خلال أوقات التزاحم والتنازع والتوتر، وما قد ينجم عنها من التباس الفهم والقصد؛ والعمل بما يهيئ لتلك النفوس فرص الانتقال الهادئ إلى ناحية الوضوح، والشفافية، والرغبة في التعاون والمعالجة، عوضاً عن الولوج أو اختيار خاتمة المنازعة والمشاحنة، والتنافر والتباغض.

وبشيء من التتبع والاستقراء للسيرة النبوية العطرة، نجد الكثير من النماذج والأمثلة الرائعة التي تشير إلى أهمية الحفاظ على تماسك المجتمع وترابطه، واستمرار الثقة المتبادلة بين أفرادها، وتنقيتها مما قد يشوبها ويضعفها، ومن ذلك ما يلي:

أولاً - مقولة الأنصار-رضى الله عنهم- يوم فتح مكة، وما وجدوه في أنفسهم، وكيف تم معالجة ذلك.

فمن المواقف الخالدة، التي سطرها التاريخ ما حدث في تلك الفترة، مع الذين أخرجوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من بلده، وآذوه وأتباعه أشد الإيذاء؛ فإذا بهم يُعاملوا ويُخاطبوا عند النصر والاقْتدار، بمنتهى الرحمة، حتى خشى

الأَنْصَارِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- أَنْ مَا رَأَوْهُ مِنْ رَأْفَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِقَوْمِهِ، مُؤَشِّرًا عَلَى رَغْبَتِهِ فِي الْبَقَاءِ مَعَهُمْ، وَتَرْكِهِمْ، فَطَمَأْنَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَكَّدَ لَهُمْ اسْتِمْرَارَ مَكَاتِهِمْ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مُعْتَذِرِينَ يَكُونُ.

ومما ورد في ذلك الموقف: " فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكْتُهُ رَغْبَةً فِي قَرَيْبَتِهِ، وَرَأْفَةً بِعَشِيرَتِهِ...، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ» قَالُوا: لَيْبِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فَأَدْرَكْتُهُ رَغْبَةً فِي قَرَيْبَتِهِ؟» قَالُوا: قَدْ كَانَ ذَلِكَ، قَالَ: «كَلَّا، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَالْيَوْمِ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ» فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَكُونُ وَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الظَّنَّ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْدِرَانِكُمْ»(١).

فلنلاحظ هنا ما دار بين الأنصار-رضى الله عنهم- وأرضاهم فيما بينهم؛ جراء ما رأوه، فظنوا أنه صلى الله عليه وسلم- يرجع إلى سكنى مكة، والمقام فيها ويتركهم، فشق ذلك عليهم، فقالوا لبعضهم تلك المقولة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما خاطبهم، وأعلمهم بحقيقة الموقف، وأكد لهم صلى الله عليه وسلم- مكاتتهم ومترلتهم، تبذت مخاوفهم، واطمأنت نفوسهم، وبكوا واعتذروا، وبيّنوا أنهم ما قالوا ذلك إلا حرصاً على مصاحبتهم صلى الله عليه وسلم- ودوام بقائه معهم(٢).

وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة -رحمه الله-: " وفيه من الفقه: أن الرجل قد يظن الظن غير الصالح، ثم يفيء عن قريب، لكون الأنصار قالوا: أما الرجل فأدركته رغبة في قومه"(٣) ويظهر تأدب الأنصار رضي الله عنهم مع رسول الله -صلى الله

(١) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة ١٤٠٥/٣ جزء من رقم ١٧٨٠.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٢٩، وشرح الزرقاني على المواهب اللدنية ٣/٤٥٩، والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، أبو شهبه ٢/٤٦٢.

(٣) الإفصاح، ابن هبيرة ٨/٢٠٧.

عليه وسلم- واعتذارهم عن مقولتهم، وقبوله -صلى الله عليه وسلم- لعذرهم(١).  
وفي اعتذارهم، وما صاحب ذلك من مشاعر الحب والصدق، قال النووي -  
رحمه الله-: " وهذا معنى قولهم ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بك...؛ أي شحاً بك أن  
تفارقنا، ويختص بك غيرنا، وكان بكأؤهم فرحاً بما قال، وحياء مما خافوا أن يكون  
بلغه عنهم مما يستحي منه"(٢).

ثانياً - مقولة بعض شبان الأنصار-رضى الله عنهم- يوم حنين، أي بعد وقت  
قصير من الحادثة السابقة، وما وجدوه في أنفسهم، وما دار بينهم، وبين رسول الله  
-صلى الله عليه وسلم- حين جمعهم دون غيرهم؛ لمناقشة ما قالوه، ومعالجة الموقف،  
وتطيب نفوسهم-رضى الله عنهم-، وبيان مدى قربهم منه -صلى الله عليه وسلم-.  
فقد جاء ما بيّن ذلك الموقف بتفاصيله من "أن أناساً من الأنصار قالوا: يَوْمَ  
حُنَيْنٍ، حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيَّ رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالٍ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، الْمِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَعْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ  
اللَّهُ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُنَا وَسَيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَحُدِّثْ  
ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِنْ قَوْلِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ  
فِي قُبَّةِ مِنْ أَدَمٍ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: «مَا  
حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟» فَقَالَ لَهُ فَهَاءُ الْأَنْصَارِ: أَمَا دَوُو رَأِينَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ  
يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أَنَسٌ مِنَّا حَدِيثُهُ أَسْنَانُهُمْ، قَالُوا: يَعْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِهِ، يُعْطِي قُرَيْشًا  
وَيَتْرُكُنَا، وَسَيُوفُنَا تَقَطَّرُ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- «فِيَّيْ  
أَعْطِي رِجَالًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، أَتَأَلَّفُهُمْ، أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ،  
وَتَرْجِعُونَ إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»

(١) انظر: شمائل الرسول -صلى الله عليه وسلم-، زاوي ٣٥٦/٢، والسيرة النبوية كما جاءت في

الأحاديث الصحيحة، الصوياني ٤٦/٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي ١٢/١٢٩، وانظر الإفصاح، ابن هبيرة ٢٠٨/٨.

فَقَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ" (١).

وجاء في رواية ما يؤكد أيضاً أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتقرييهم، وقرهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأهم خاصته وبطانته، ونصبها أنه " لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمَوْلَفَةِ قُلُوبَهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَمْ أَحْجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلْفَكُمُ اللَّهُ بِي، وَعَالَةً فَأَعَانَاكُمْ اللَّهُ بِي» كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: «مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-». قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنٌ، قَالَ: " لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْنَا كَذِبًا وَكَذًا، أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى رِحَالِكُمْ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكَتُ وَادِي الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دَثَارٌ" (٢) (٣).

فهذه الحادثة تظهر أيضاً ما قد يعترى الإنسان من مشاعر ومواقف تحتاج إلى نقاش ومصارحة، وتواصل ومعالجة؛ تعزز الود والقرب، وهو ما حصل حين جمعهم -صلى الله عليه وسلم- واستمع لهم، واستمعوا له، وأكد لهم قرهم ومكانتهم، فطابت نفوسهم ورضيت.

وفي هذا الصدد قال الخطابي -رحمه الله-: "أراد رسول الله -صلى الله عليه

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام ٧٣٣/٢ جزء من رقم ١٠٥٩.

(٢) الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الذي فوقه. إكمال المعلم، القاضي عياض ٦٠١/٣ والنهية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ١٠٠/٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف ١٥٧/٥ جزء من رقم ٤٣٣٠، وانظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المولفة قلوبهم على الإسلام ٧٣٨/٢ رقم ١٠٦١.

وسلم- بهذا الكلام تألف الأنصار، وتطيب قلوبهم والثناء عليهم في دينهم" (١).  
وقال ابن هبيرة -رحمه الله-: "في هذا الحديث من الفقه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حكم على الأنصار حكم الواثق بمئانة دينهم، وأن ذوي آرائهم فهموا ذلك، فلم يقولوا إلا خيرا، فأما الأحداث: فإنهم قالوا ما قالوا عن غير فهم لمقصود رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى صرح لهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما فهموا به هم، وغيرهم" (٢).

وقال ابن حجر -رحمه الله- في تأكيد ذلك: "وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم، فقد اعتذر رؤسائهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم، ولما شرح لهم -صلى الله عليه وسلم- ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع، رجعوا مذعنين، ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله إلى بلادهم" (٣).  
كما أن في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَأَدْيَا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَأَدْيَا الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارُ وَالنَّاسُ دَنَارٌ" ما يؤكد مناقبهم، وقرّبهم ومكانتهم -رضى الله عنهم-، وفيه كناية لطيفة عن قربهم، وأهم أقرب إليه، وألصق به من غيرهم (٤).

(١) عمدة القاري، العيني ٣٠٨/١٧، وانظر الكواكب الدراري، الكرمان ١٦/١٦٠.

(٢) الإفصاح، ابن هبيرة ٥/٣٨.

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٨/٤٩، وانظر مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قسري ٤٣٣، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).

(٤) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٦/٤١٢، وعمدة القاري، العيني ٣٠٩/١٧، وجاء في الفتح تعليق لطيف ما نصه: " وإنما قال -صلى الله عليه وسلم- ذلك تواضعا منه وإنصافا، وإلا فسي الحقيقة الحجة البالغة، والمئة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم؛ فإنه لولا هجرته إليهم وسكناه عندهم، لما كان بينهم، وبين غيرهم فرق، وقد نبّه على ذلك بقوله -صلى الله عليه وسلم- ألا ترضون إلخ، فبينهم على ما غفلوا عنه من عظيم ما احتصوا به منه، بالنسبة إلى ما حصل عليه غيرهم من عرض الدنيا الفانية" فتح الباري، ابن حجر ٨/٥١، وقال ابن هبيرة ~: " وفيه أيضا

قال النووي -رحمه الله-: "ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة، والأصفياء وألصق بي من سائر الناس، وهذا من مناقبهم الظاهرة وفضائلهم الباهرة" (١).

وأختم هذه الجزئية، بما يؤكد أدب الأنصار-رضى الله عنهم-، وتأدهم مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد ذكر ابن حجر أيضاً -رحمه الله- أثناء استنباطه لفوائد هذا الموقف، وما حصل فيه من تواصل وتفاعل إيجابي ما نصه: "أدب الأنصار في تركهم المماراة، والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم، إنما كان عن شبابهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم؛ لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة؛ ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبه واستعطاف المعاتب، وإعتابه عن عتبه؛ بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف" (٢).

ثالثاً - ما حصل من استفسار، ومعاتبة متلطفة من بعض الأنصار-رضى الله عنهم-، حين فضّل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دور الأنصار بعضها على بعض، وبيانه لهم أن الفضل والخير حاصل في جميعها (٣) فقد جاء عن أبي حميد، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إِنَّ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ، ثُمَّ عَبْدُ الْأَشْهَلِ، ثُمَّ دَارُ بَنِي الْحَارِثِ، ثُمَّ بَنِي سَاعِدَةَ، وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ» فَلَحِقْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: أبا أُسَيْدٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-

أنه عرفهم قدر نعمة الله عليهم في تمييزهم دون أهل الأرض برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي مثل هذا الموضوع؛ بحسن الاعتداد بالنعمة؛ مخافة أن تفضي الغفلة عنها إلى نسيانها" الإفصاح، ابن هبيرة ٣٨/٥.

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ٧/ ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض ٣/ ٦٠١.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨/ ٥٢.

(٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ٦/ ١٥٣، وفتح الباري، ابن حجر ٧/ ١١٧.



خَيْرَ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا أَحْيَرًا؟ فَأَدْرَكَ سَعْدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَيْرَ دُورِ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا أَحْيَرًا، فَقَالَ: «أَوْلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْخِيَارِ» (١) فَبَيَّنَ لَهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُمْ مِنَ الْخِيَارِ، وَفِي ذَلِكَ مَا يُؤَكِّدُ مَكَانَتَهُمْ وَيَحْفَظُ مَزَلَّتَهُمْ.

قال ابن حجر -رحمه الله- في إيضاح ذلك، ومعنى تكرر كلمة خير بأن: "خير الأولى بمعنى أفضل، والثانية اسم، أي الفضل حاصل في جميع الأنصار، وإن تفاوتت مراتبه" (٢) وقد أشار العلماء إلى أن تفضيلهم -رضي الله عنهم- كان على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم، وأثارهم الجميلة فيه (٣).

فيلحظ في هذا الموقف، وسابقه عند فتح مكة، ويوم حنين، ما حصل من تأثير متوقع معتاد؛ تمليه طبيعة النفس البشرية، وما جبلت عليه، وهو مؤشر صدق، ورغبة في الحفاظ على أواصر هذه العلاقة، وتنقيتها مما قد يشوبها، ويؤكد ذلك، ويعززها الكيفية التي حصل بها التواصل والتخاطب؛ لمعالجة تلك المواقف بما يحافظ على الود والمحبة، والتقارب وتماسك المجتمع، وفي هذا أسوة وقدوة حسنة للصدعاة والمرين وغيرهم.

رابعاً - عتب الذين لم يعطوا من المال، وإيضاح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لمبرر ذلك، وعدم لومهم، بل وثناؤه على عمرو بن تغلب -رضي الله عنه-، فقد ورد "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَى بِمَالٍ - أَوْ سَبِيٍّ - فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَى رِجَالًا وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى عَلَيْهِ،

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب فضل دور الأنصار ٣٣/٥ رقم ٣٧٩١، وانظر صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم- ١٧٨٥/٤ رقم ١٣٩٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ١١٦/٧، انظر: فيض الباري، الديوبندي ٥٠٠/٤.

(٣) انظر: إكمال المعلم، القاضي عياض ٢٤٤/٧، وشرح صحيح مسلم، النووي ٦٩/١٦ و

ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لِأُعْطِي الرَّجُلَ، وَأَدْعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدْعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ، وَأَكُلُ أَقْوَامًا إِلَيَّ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ، فِيهِمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ» فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حُمْرَ النَّعَمِ" (١).

وفي هذا ما يشير إلى "أن البشر جبلوا على حب العطاء، وبغض المنع، والإسراع إلى إنكار ذلك قبل الفكرة في عاقبته إلا من شاء الله" (٢) وهكذا فقد حسمت مادة الخلاف، ويُن لهم مقياس العطاء، فهو لأناس تأليفاً وتطبيعاً؛ ومداوة لما في نفوسهم من الجزع، ويترك آخرون دون عطاء؛ على وجه الثقة، ولما في نفوسهم من الغنى والقناعة، والخير، وذكر صلى الله عليه وسلم- فيهم عمرو بن تغلب مرضي الله عنه-، الذي ابتهج وفرح بذلك، وأكد أنه لا يرضى بغير هذا الثناء عوضاً ولا بديلاً، ولو كان العطاء من أنفس أموال العرب (٣).

وفي هذا الصدد قال ابن بطال رحمه الله:- " وهذه المترلة التي شهد لهم بها النبي صلى الله عليه وسلم- أفضل من العطاء الذي هو عرض الدنيا، ألا ترى أن عمرو بن تغلب اغتبط بذلك بعد جزعه منه...، وفيه استتلاف من يخشى منه، والاعتذار إلى من ظن ظناً والأمر بخلاف ظنه، وهذا موضع كان يحتمل التأنيب للظان، واللوم له، لكنه صلى الله عليه وسلم- رعوف رحيم كما وصفه الله تعالى" (٤).

- 
- (١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ١٠/٢ رقم ٩٢٣.  
 (٢) فتح الباري، ابن حجر ٥١١/١٣، وانظر تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦هـ) ٣٥٤، تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).  
 (٣) انظر: إرشاد الساري، القسطلاني ١٨٤/٢، وشرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠، وكوثر المعاني، الشنقيطي ١١٤/١٠، ومنار القاري، حمزة محمد ٢٥٤/٢  
 (٤) شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٥٣٦/١٠.

خامساً - وقريب من ذلك، ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من " أن رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَعْطَى رَهْطًا وَسَعْدًا جَالِسًا، فَتَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَجُلًا هُوَ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا» فَسَكَتُ قَلِيلًا، ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ، فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، فَقُلْتُ: مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا، فَقَالَ: «أَوْ مُسْلِمًا». ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَعْلَمُ مِنْهُ فَعُدْتُ لِمَقَالَتِي، وَعَادَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ قَالَ: «يَا سَعْدُ إِنِّي لَأَعْطِي الرَّجُلَ، وَغَيْرَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، خَشْيَةَ أَنْ يَكْبَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ»(١).

فيلحظ هنا أن سعداً -رضي الله عنه- خاطب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بشأن الرجل، وراجعه مراراً لما يعلم من شأنه، فناقشه صلى الله عليه وسلم- ووضح له مقياس العطاء والمنع، وأنه ليس بحسب الفضائل؛ لتطمئن النفوس وتأنس، ويزول عنها ما قد يحزنها ويغمها، فقد أرشده إلى جانبين، الأول: الحكمة من إعطاء أولئك، ومنع الرجل، والآخر التنبيه إلى التوقف عن الثناء عن الأمر الباطن، وما لا يعلمه إلا الله تعالى، دون الثناء بما هو ظاهر(٢).

وفي هذا قال النووي -رحمه الله-: " معنى هذا الحديث؛ أن سعداً رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعطي ناساً، ويترك من هو أفضل منهم في الدين، وظن أن العطاء يكون بحسب الفضائل في الدين...، إلى أن أعلمه النبي صلى الله عليه وسلم- أن العطاء ليس هو على حسب الفضائل في الدين...، وأترك أقواماً هم أحب إلي من الذين أعطيتهم، ولا أتركهم احتقاراً لهم، ولا لسنقص دينهم، ولا إهمالاً لجانبهم، بل أكلهم إلى ما جعل الله في قلوبهم من النور، والإيمان التام، وأثق بأنهم لا يتزلزل إيمانهم لكماله، وقد ثبت هذا المعنى في صحيح البخاري عن عمرو

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ١٤/١ رقم ٢٧، وانظر

صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تألف قلب من يخاف على إيمانه ١٣٢/١ رقم ١٥٠.

(٢) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال ٨١/١، والتوضيح، ابن الملقن ٦٤٧/٢، وعمدة القاري،

العيني ١٩٥/١، وإرشاد الساري، القسطلاني ١١٢/١.

بن تغلب" (١) وهو ما سبق الحديث عنه في الفقرة السابقة "رابعاً".

والخلاصة أنه يمثل هذا التواصل والتخاطب، وما فيه من نقاش صادق ببناء، وإيضاح، وتقبل، وإعذار، واستجابة واعية مدركة لأمر الله تعالى ورسوله -صلى الله عليه وسلم-، من شأنه الإسهام في طمأنة النفوس، وزيادة تألفها، وغلبة السكينة، والألفة والمودة عليها.

وأختم هذا المبحث، وبه ختام البحث، بما يؤكد أهمية التحرز، والتباعد عن مواقف الريب والالتباس، وكل ما من شأنه تشويش الخطاب وإرباكه، وإضعاف عُرَى التواصل مع المدعويين، وما قد يُوقع في الوهم واللبس، وسوء الظن، وتزداد تلك الأهمية، وتتأكد في حق العلماء، والدعاة والمرين؛ لما قد يسببه ذلك من إضعاف أو إبطال الثقة بهم، والانتفاع بما لديهم من علم ومعرفة.

ومما يشير إلى ذلك في سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ويؤكد - مع الإيمان بعصمته وتزكيتة من ربه عز وجل - كمال شفقتة ورحمته، وحرصه -صلى الله عليه وسلم- على تعليم أمتة ما ينفعها، ويمنح الدعاة والمرين، وغيرهم القدوة والأسوة الحسنة؛ ذلك الموقف الجميل، والتواصل الرائع: عندما كان -صلى الله عليه وسلم- مع إحدى زوجاته ليلاً، فمر بهما رجلان، فأسرعا الخطى، حياءً وأدباً، فطلب -صلى الله عليه وسلم- منهما التمهّل والتريث، لمخاطبتهما والتواصل معهما، وإيضاح الموقف لهما بأن الذي معه إنما هي زوجته -رضى الله عنها-.

فقد ورد أن صَفِيَّةَ بِنْتَ حَيٍّ زَوْجَ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- "جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- تَزْوَرُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْعَشْرِ الْقَوَابِرِ (٢) مِنْ رَمَضَانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً مِنَ الْعِشَاءِ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ (٣) فَقَامَ مَعَهَا النَّبِيُّ

(١) شرح صحيح مسلم، النووي ١٤٨/٧ - ١٤٩، وانظر الكواكب الدراري، الكرمانى ١٣١/١.  
 (٢) جمع غابر، والمعنى: البواقي. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٣٣٧/٣، وتفسير غريب ما في الصحيحين، الحميدي ١٨٣.  
 (٣) أي تصرف وتردّ إلى منزلها. انظر: التوضيح، ابن الملقن ٦٥٠/١٣، وعمدة القاري، العيني ١٥١/١١.

صلى الله عليه وسلم- يَقْبَلُهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ بَابَ الْمَسْجِدِ، الَّذِي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ تَفَدَّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَيَّ رَسَلُكُمْ» (١) إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ» قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا مَا قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُمْ» (٢) .

وجاء في رواية أن الرجل قال: "يا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ كُنْتُ أَظُنُّ بِهِ، فَلَمْ أَكُنْ أَظُنُّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ» (٣).

فهنا بين المسوغ الذي دعي إلى تعريفهما بالواقع؛ وهو الاحتراس والخوف عليهما مما قد يكون، وفي هذا الصدد قال ابن هبيرة رحمه الله معلقاً على هذا الموقف: "في هذا الحديث دليل على أنه يجب على كل مسلم أن يتباعد عن مواقف الريب، وأن لا يقنع ببراءة نفسه عند نفسه، حتى يكون دليله على ذلك برهاناً واضحاً، ينوب عن مقاله، ولا يجوجه إلى بسط عذره، فإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يظن به الشر مسلم، إلا أنه -صلى الله عليه وسلم- أراد بذلك أن يسلم ذلك الشخص الناظر، من أن يعرض له الشيطان في تخييل ما لم يكن، وأن

(١) أي اثبتاً ولأ تَعَجَّلَا. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٢٣/٢

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب ٤٨/٨ رقم ٦٢١٩، وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به ١٧١٢/٤ رقم ٢١٧٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة...، ١٧١٢/٤ رقم ٢١٧٤، "أكثر الروايات أهمها اثنان، ويحتمل أن هذا كان مرتين، أو أنه صلى الله عليه وسلم- أبل على أحدهما بالقول بحضرة الآخر، فيصح على هذا نسبة القصة إليهما جميعاً وأفراداً" التوضيح، ابن الملقن ٦٥٠/١٣.

يقتدي به كل مؤمن إلى يوم القيامة" (١).

وقال النووي رحمه الله: "وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان، وطلب السلامة، والاعتذار بالأعذار الصحيحة، وأنه متى فعل ما قد ينكر ظاهره مما هو حق، وقد يخفى، أن يبين حاله؛ ليدفع ظن السوء" (٢). وأختم بما ذكره ابن دقيق العيد رحمه الله- في تعزيز، وتأکید هذه الجوانب حين قال أثناء تعليقه على الحديث: " وفيه دليل على التحرز مما يَقَعُ فِي أَلْوَاهِمِ نَسْبَةُ الْإِنْسَانِ إِلَيْهِ، مِمَّا لَا يَنْبَغِي...، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَرَادَ تَعْلِيمَ أُمَّتِهِ، وَهَذَا مُتَأَكِّدٌ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ، وَمَنْ يَقْتَدِي بِهِمْ، فَلَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلًا يُوْجِبُ ظَنَّ السُّوءِ بِهِمْ، وَإِنْ كَانَ لَهُمْ فِيهِ مَخْلَصٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ تَسْبِيبٌ إِلَى إِبْطَالِ الْإِنْتِفَاعِ بِعِلْمِهِمْ" (٣).

وفي هذا إشارة إلى أنه ليس لأحد بعد النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- الاغترار بمزله ومكانته عند الناس، بعدم مراعاته وتوقيه ما قد يضعف الثقة به أو يفقدها (٤)؛ ويتأكد ذلك في حق العلماء والدعاة والمربين؛ لتتم الاستفادة المرجوة منهم، ومما لديهم من علوم ومعارف، وليكونوا قدوة خيرة، ومحل ثقة، ومنار هدى وإرشاد وتآلف للناس.

(١) الإفصاح ، ابن هبيرة /٥ /٣٧٢.

(٢) شرح صحيح مسلم، النووي /١٤ /١٥٦ - ١٥٧، وانظر إكمال المعلم، القاضي عياض /٧ /٦٤، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن /١٣ /٦٥٢، وعمدة القاري، العيني /١١ /١٥٢.

(٣) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) /٢ /٤٥، ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د) وانظر إرشاد الساري، القسطلاني /٣ /٤٤٣.

(٤) انظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي ١٧٩ - ١٨١، والسدين المعاملسة، السقار ٢٢١.

## الخاتمة

من خلال هذا البحث: استراتيجيات الخطاب، والتواصل مع المدعويين، الاستراتيجية التضامنية أنموذجاً، تبين بأن حرص الداعية - وغيره من العاملين في ميادين التربية والتعليم - وقيامه بانتقاء الاستراتيجية الأكثر مناسبة لتواصله، واعتناؤه بخطابه، ومواقفه المتنوعة مع المدعويين؛ من شأنه أن يُعينه على الارتقاء بأداء مهمته بالصورة المرجوة، ومن ذلك اختياره للاستراتيجية التضامنية في جل مواقفه، وهيئة خطابه، وطريقة تواصله على ضوئها، وعدم الاقتصار على التوجيه، والأمر والنهي فحسب مع أهميته، بل يحرص فيها على القرب من المدعو وتقريبه، والاستعمال المتزن لعبارات اللطف والثناء الصادق، وما يشير إلى التعاون والتضامن ونحو ذلك، والسعي لتعزيز هذه العلاقة، واحترامها، بل والحفاظة عليها، وتنقيتها مما قد يشوبها ويُضعفها.

كما تمت الإشارة إلى أن الاعتناء باستخدام الاستراتيجية التضامنية في الخطاب والتواصل مع المدعويين؛ لا يتعارض مع استعمال غيرها، ولا مع الصرامة والحزم، والقوة المشروعة في مواطنها المحددة، وطرقها المعتمدة شرعاً.

وقد ورد في ثنايا هذا البحث استعراض، واستخلاص مواقف، ونماذج حافلة، مع محاولة تحليلها وربطها في سياقات حياتية متنوعة، وإبراز ما تحويه من مهارات التواصل الإيجابي الفعّال، والقيم الأخلاقية الراقية، والتي تجلت في خطاب النبي - صلى الله عليه وسلم- وتواصله مع الناس؛ حيث كان -صلى الله عليه وسلم- في كثير من المواقف والأحداث، يتواصل مع الناس بما يسرهم ويُبهجهم، ويحفظ مكانتهم، ويُشعرهم بالارتياح، فيزداد جبههم وتوقيرهم، واتباعهم لما جاء به -صلى الله عليه وسلم- واهتمامهم لما أهمه، فتارة يخاطب بالأسماء والكنى، وبالثناء والإعجاب، وتارة بألفاظ الإكرام والملاطفة، والانبساط والمزاح المباح، وأخرى بالهدوء والحنو، وتطيب نفس المخاطب وتقريبه، وروعة الإفهام والتعليم، وتارة بجميع ذلك،

وبغيره. حتى أنه في مواقف يهيم أصحابه الكرام -رضى الله عنهم-، بالتأنيب والإنكار، حرصاً على ما يروونه مخالفاً لما عهدوه وتعلموه، فيأتي خطابه، وطريقة تواصله صلى الله عليه وسلم-، بما يُعالج تلك المواقف والأحداث بأحسن أسلوب وأرقاه.

ولعل في هذا ما يؤكد أهمية التأسى، والاقتداء، والسعي الجاد لمحاولة تحقيق خطاب وتواصل بناء؛ يُرجى أن يكون مؤداه المساهمة في تكوين صور ذهنية ناصعة؛ وتأثير إيجابي على المدعويين، ونشر للطمأنينة، وحسن الخلق، والتآلف بين الناس، وتعزيز جوانب الاحترام والتقدير، وتعاضد المجتمع، وتكاتفه على البر والخير. وأخيراً مما يوصى به في هذا البحث ما يلي:

- أن يبذل العلماء والدعاة المزيد من الجهد؛ لإبراز ما تحويه السيرة النبوية العطرة من مظاهر التقدير، والتأثير، والرقى في مجالات الخطاب والتواصل، ومعرفة مقومات النجاح التي صاحبت تلك الدعوة المباركة.

- إجراء دراسات ميدانية عن استراتيجيات الخطاب والتواصل عموماً، في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وبما لدى المجتمعات والثقافات الأخرى، ومقارنة تطبيقاتها بما حصل في العهد النبوي.

- إجراء دراسات تقييمية على عينة من الدعاة والوعاظ والمرين؛ لمحاولة رصد طبيعة الاستراتيجيات المستخدمة في خطاباتهم وتواصلهم، ومدى ملائمتها، ونصيب الاستراتيجية التضامنية منها.

- إعداد وتصميم برامج تدريبية تُعنى بالخطاب والتواصل مع المدعويين، تسهم في حسن استخدام الاستراتيجية التضامنية، لتحقيق مزيد من الرقى بمستوى الأداء والانتاجية في ميادين الدعوة والتربية والتعليم خاصة.

- كذلك يوصى بعقد برامج ودورات تدريبية للمدعويين على اختلاف أصنافهم وقدراتهم وثقافتهم؛ للإسهام في محاولة تعزيز قيم التخاطب والتواصل، والتخلق، وتحويلها لواقع معاش.



## فهرس المصادر والمراجع

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: د (مطبعة السنة المحمدية، ت: د).
٢. أساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).
٣. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي الشهري، ط: ١ (بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م).
٤. الاستراتيجيات التخاطبية في السنة النبوية، أ. م. د إدريس مقبول، مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل (المجلد ٨، الإصدار ١٥/٢، الصفحات ٥٣٢ - ٥٦٣، السنة ٢٠١٤م).
٥. استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمية، لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص لسانيات الخطاب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (الجزائر، العام الجامعي ٢٠١١/٢٠١٢م).
٦. استراتيجيات تعلم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، عبدالرحمن العيدان وراشد الدويش، مجلة جامعة أم القرى (السنة الحادية عشر، العدد السابع عشر، ١٤١٩هـ).
٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) تحقيق: علي معوض وزميله، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٨. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، أ. د. عبدالرحيم المغذوي، ط: ٢ (الرياض، دار الحضارة، ١٤٣١هـ).
٩. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، ط: ٩ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).

١٠. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠ هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم، ط: د (دار الوطن، ١٤١٧هـ).
١١. إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) تحقيق: د. يحيى إسماعيل، ط: ١ (مصر، دار الوفاء، ١٤١٩هـ)
١٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) تحقيق: محمد المرعشلي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).
١٣. بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة ما لها وما عليها، شرح مختصر صحيح البخاري، ابن أبي حمزة (ت ٦٩٩ هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة الصدق الخيرية، ١٣٤٨هـ).
١٤. التحرير لإيضاح معاني التيسير، محمد بن إسماعيل الصنعاني (١١٨٢هـ) تحقيق: محمد صبحي، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٣٣هـ).
١٥. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ط: د (الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٣٣هـ).
١٦. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد البار كفوري (ت ١٣٥٣هـ) ط: د (بيروت، دار الكتب العلمية، ت: د).
١٧. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزى (ت ٧٤١ هـ) تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط: ١ (بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).
١٨. تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبدالعزيز المبارك (ت ١٣٧٦ هـ) تحقيق: د. عبدالعزيز آل حمد، ط: ١ (الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٣هـ).
١٩. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن أبي نصر الحميدي (ت ٤٨٨ هـ) تحقيق: د. زبيدة محمد، ط: ١، (القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ).

٢٠. تنوير الحوالك شرح موطأ مالك، السيوطي (٩١١هـ) د. ط (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٩هـ).
٢١. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط: ١ (دمشق، دار النوادر، ١٤٢٩هـ).
٢٢. تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويح، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٣. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (٣١٠هـ) تحقيق: أحمد شاكر، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).
٢٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وزميله، ط: ٢ (القاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ).
٢٥. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: د (بيروت، دار الجيل، بيروت، ت: د).
٢٦. حاشية السندي على سنن النسائي، السندي (ت ١١٣٨هـ) ط: ٢ (حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ).
٢٧. الحوار في السيرة النبوية، د. السيد علي خضر، ط: (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم- ونصرتة، ١٤٣١هـ).
٢٨. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الشافعي (ت ١٠٥٧هـ) — اعتنى به: خليل شيحا، ط: ٤ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٥هـ).
٢٩. الدين المعاملة، منقذ السقار (رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق كتاب شهري محكم، السنة: ٢٤، العدد: ٢٣٧، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٣٠. الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، أ. د. راغب السرجاني، ط: ٢ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله

- عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٣١. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الرياض، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ).
٣٢. سنن أبي داود، أبو داود (ت ٢٧٥هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد بللي، ط: ١ (دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ).
٣٣. سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، ط: ٢ (مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ).
٣٤. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي، ط: ٧ (بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ).
٣٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة (ت ١٤٠٣هـ) ط: ٨ (دمشق، دار القلم، ١٤٢٧هـ).
٣٦. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، محمد الصوياني، ط: ١ (مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ).
٣٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أ. د. أحمد غلوش، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ).
٣٨. شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢هـ) ط: ٦ (مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ).
٣٩. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ط: ١ (دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ).
٤٠. شرح السنة، البغوي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد الشاويش، ط: ٢ (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ).
٤١. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) الطيبي (ت ٧٤٣هـ) تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط: ١ (مكة المكرمة -

- الرياض، مكتبة نزار الباز، ١٤١٧هـ).
٤٢. شرح سنن أبي داود، العيني (ت ٨٥٥هـ) تحقيق: خالد المصري، ط: ١ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٠هـ).
٤٣. شرح سنن النسائي المسمى ذخيرة العقبي في شرح المجتبى، محمد بن علي الولوي، ط: ١ (دار آل بروم للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ).
٤٤. شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ت ٤٤٩هـ) تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ط: ٢ (الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ).
٤٥. شرح صحيح مسلم "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، النووي (ت ٦٧٦هـ) ط: ٢، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).
٤٦. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين العمري وآخرين، ط: ١ (بيروت، دار الفكر المعاصر - دمشق، دار الفكر، ١٤٢٠هـ).
٤٧. صحيح البخاري (ت ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير الناصر، ط: ١ (دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).
٤٨. صحيح سنن أبي داود، الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ط: ١ (الكويت، مؤسسة غراس، ١٤٢٣هـ).
٤٩. صحيح مسلم، مسلم (ت ٢٦١هـ) تحقيق: محمد عبد الباقي، ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).
٥٠. العرف الشذي شرح سنن الترمذي، محمد أنور شاه (ت ١٣٥٣هـ) تصحيح: محمود شاكر، ط: ١ (بيروت، دار التراث العربي، ١٤٢٥هـ).
٥١. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ت ٨٥٥هـ) ط: د (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ت: د).
٥٢. غريب الحديث، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) تحقيق: عبدالكريم الغرباوي، ط: د

- (دمشق، دار الفكر، ١٤٠٢هـ).
٥٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) رقمه: محمد عبدالباقي، صححه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، ط: د بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).
٥٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) تحقيق: محمد عبدالمقصود وآخرون، ط: ١ (المدينة النبوية، مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ).
٥٥. فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب، د. عبدالمحسن العباد، ط: ١ (الدمام، دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ).
٥٦. الفتح المبين بشرح الأربعين، أحمد بن محمد الهيثمي (ت ٩٧٤هـ) عني به: أحمد محمد وآخرون، ط: ١ (جدة، دار المنهاج، ١٤٢٨هـ).
٥٧. فيض التقدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي (ت ١٠٣١هـ) ط: ١ (مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٦هـ).
٥٨. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، أ. د. عبدالوهاب أبو سليمان، ط: ٦ (دار الشروق، ١٤١٦هـ).
٥٩. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط: د (بيروت، مؤسسة الرسالة، ت: د).
٦٠. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرمانلي (ت ٧٨٦ هـ) ط: ٢ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ).
٦١. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ) ط: ١ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ).
٦٢. لسان العرب، ابن منظور (ت ٥٧١١هـ) ط: ٣ (بيروت، دار صادر،

- ١٤١٤هـ).
٦٣. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبدالرحمن، ط: ١ (الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).
٦٤. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، عبد الحميد محمد بن بادي، الصنهاجي (١٣٥٩هـ) ط: ١ (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ١٤٠٣هـ).
٦٥. المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري، محمد بن عمر السفيري (ت ٩٥٦هـ) تحقيق: أحمد فتحي، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ).
٦٦. محاسن التأويل، القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل، ط: ١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
٦٧. مختار الصحاح، الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق: يوسف محمد، ط: ٥ (بيروت، المكتبة العصرية، ٥١٤٢٠).
٦٨. المدخل إلى إعداد البحوث والرسائل الجامعية في العلوم الاجتماعية - أ. د. عبدالله الوليعي، ط: ١ (توزيع مكتبة جرير، ١٤٣٣هـ).
٦٩. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوي، ط: ٣ (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٤هـ).
٧٠. مدخل إلى علم لغة النص، "فولنجانج هانيه"، ترجمة وتعليق: أ. د. سعيد البحيري، ط: ١ (القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م).
٧١. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيدالله المباركفوري (ت ١٤١٤هـ) ط: ٣ (الهند، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية، ١٤٠٤هـ).
٧٢. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان الهروي (ت

- ١٠١٤هـ) ط: ١ (بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ).
٧٣. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف، إبراهيم قريبي، ط: ١ (المدينة النبوية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤١٢هـ).
٧٤. المسالك في شرح موطأ مالك، القاضي محمد بن عبدالله بن العربي (ت ٥٤٣هـ) تعليق محمد وعائشة السليمان، ط: ١ (دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ).
٧٥. مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط: ١ (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ).
٧٦. مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، محاضرات: د. سارة آدم، إعداد: أ. د. زيد العيص، ط: ٣ (الرياض، رابطة العالم الإسلامي: المركز العالمي للتعريف بالرسول صلى الله عليه وسلم- ونصرته، ١٤٣١هـ).
٧٧. معالم الترتيل في تفسير القرآن، البغوي (ت ٥١٠هـ) تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط: ١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٧٨. معالم السنن شرح سنن أبي داود، الخطابي (ت ٣٨٨هـ) ط: ١ (حلب، المطبعة العلمية، ١٣٥١هـ).
٧٩. معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار، ط: ١ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ط: ١ (عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).
٨١. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط: د (القاهرة، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ت: د).
٨٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) تحقيق: عبدالسلام هارون، ط: د (دار الفكر، ١٣٩٩هـ).



٨٣. مفاتيح الغيب، الرازي (ت ٦٠٦هـ) ط: ٣ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).
٨٤. مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ) ضبط وتعليق: نعيم زرزور، ط: ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ).
٨٥. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة قاسم، راجعه: عبدالقادر الأرنؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير عيون، ط: د (دمشق، مكتبة دار البيان، الطائف، مكتبة المؤيد، ١٤١٠هـ).
٨٦. مناهج البحث العلمي تطبيقات إدارية واقتصادية، د. أحمد الرفاعي، ط: ٦ (الأردن، دار وائل، ٢٠٠٩).
٨٧. المنتقى شرح الموطأ، سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) ط: ١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ).
٨٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر الزاوي وزميله، ط: د (بيروت، المكتبة العلمية - ١٣٩٩هـ).



البحث رقم (٦)

## المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها

دراسة ميدانية تفويجية لآراء جمهور مجلة الدعوة السعودية نحو تحقيق  
أهدافها والحكم عليها

إعداد

د. عبدالله بن محمد بن عبد العزيز السبيعي

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## توطئة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣١﴾ ﴿١﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٣﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿٣﴾ (٤)﴾

المقدمة المنهجية:

تناول هذه الدراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية تقويمية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها، والحكم عليها، وتقوم على النحو الآتي:

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: (٧٠-٧١).

(٤) تسمى هذه الخطبة خطبة الحاجة، انظر في تسميتها بذلك: مسند الإمام أحمد بن حنبل، بدون ذكر رقم الطبعة (الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ) - حديث رقم ٤١١٥-٤١١٦، ص ٣٨٤ وللإستزادة انظر: خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ٤، (دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ) ص ١٠ وما بعدها، وقال عن رواية إسرائيل - أحد رواة الحديث -: وصلها أحمد رقم ٤١١٦ وأبو داود والبيهقي عن وكيع، ولم يتفرد إسرائيل به، بل تابعه شعبة عند أحمد والطحاوي والبيهقي، فدل ذلك على صحة الإسناد عن ابن مسعود... وأما هذه الرواية التي فيها إسرائيل - فصحيح على شرط مسلم، ص ١٤.

## أولاً: مدخل الدراسة:

هناك جدلية قديمة حول دور وسائل الإعلام في المجتمع، وتتمحور هذه الجدلية حول سؤال هام: هل دور وسائل الإعلام يتمثل في النهوض بمستوى الجمهور فكرياً وسلوكياً وثقافة؟ أم أن دورها تلبية رغبات هذا الجمهور بغض النظر عن ذلك؟! وإنه لمن المنصف أن نقول: إن مجلة الدعوة بالملكة العربية السعودية تضع نصب أعينها غايات جليلة وأهداف كبرى ترمي إلى تحقيقها والوصول إليها وهذه الأهداف تتسق تماماً مع العقيدة الإسلامية الصافية المشرقة المضيئة، وتجتهد هذه المجلة للنهوض بقارئها إلى آفاق رحبة ومعارج عليا نابعة من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ومستمدة من قيم الإسلام ومثله ومبادئه السامية، وفي نفس الوقت تبذل هذه المجلة أقصى الجهد في سبيل تلبية رغبات الجمهور بما لا يؤثر على دورها الرائد آنف الذكر في النهوض بالمجتمع إلى القيم الإسلامية الرفيعة، ومن أجل ذلك، وحتى تتحقق هذه المعادلة الدقيقة، تأتي دراسة المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها دراسة تحليلية تقويمية ومعرفة المثالب والعيوب والاجتهاد (وسع الطاقة والإمكان) للقضاء عليها، كما قام الباحث بعمل هذه الدراسة لتجمع بين المعلومات النظرية والتحليلية مساهمةً منه في تطوير أداء مجلة الدعوة، ورغبة في معرفة نقاط القوة والضعف.

## ثانياً: أهمية الدراسة:

مجلة الدعوة من الوسائل الإعلامية الدعوية وهي وليدة أحداث وملابسات تحيط بالمجتمع الذي نشأت فيه من جوانب شتى، وتوجه لكافة شرائح المجتمع، ولا تقتصر قراءتها على أشخاص بعينهم من المثقفين والمهتمين بالجمال الدعوي، وقد رسمت لنفسها عند تأسيسها أهدافاً عدة، وأصبحت هذه المجلة تسهم مع زميلاتها الأخرى في خدمة الدعوة، ولذلك حرص الباحث بهذه المجلة، ورأى ضرورة إخضاع أهدافها التي رسمتها لنفسها للدراسة والبحث العلمي باعتبار أن في تجلية

هذه الأهداف والوقوف على آراء القراء لتوضيح آرائهم، فائدة علمية للمجلة وللمحرفين بها ولقراءها، وبالتالي يمكن للباحث من خلال نتائج الدراسة وتقويم تلك الأهداف والإفادة من آراء قرائها في تقويمها.

### ثالثاً: أسباب الاختيار:

وقع اختيار الباحث على هذا المجلة واختار لبحثها العنوان: المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية، تقويمية، لراء جمهور مجلة الدعوة السعودية، نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، لأسباب متعددة لعلها من أبرز الأسباب التي تجعل بعض الباحثين يهتمون بمثل هذه الدراسة، وأبرز هذه الأسباب ما يلي:

- ١- أن هذه المجلة لها أهمية كبرى في خدمة الدعوة الإسلامية، وذلك أنها تعالج موضوعات تتعلق بالعقيدة والعلوم الشرعية، وتقوم بالدفاع عن السنة وأهلها مما يضادها، والذب عن حياض الدين الخفيف.
- ٢- أنه لم يسبق - حسب علم الباحث- أن درست أهداف المجلة ومعرفة منهجها الدعوي دراسة علمية.
- ٣- صقل مواهب الباحثين في هذا المضمار، علاوة على الممارسة الفعلية لعملية الدراسة التحليلية التقويمية.
- ٤- ندرة الدراسات الدعوية التي تعنى بدراسة وتقويم المجالات الدعوية، وموقفها تجاه القضايا الدعوية، وأهمية تلك القضايا المطروحة في تلك المجالات من خلال الضوابط المنصوص عليها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.
- ٥- إنه في تجلية منهج المجلة الدعوي وأهدافها ما يوضح توجهات هذه المجلة وموقفها تجاه تلك القضايا المتعلقة بأهدافها.
- ٦- مكانة هذه المجلة في الأوساط العلمية وسرعة انتشارها وتوزيعها.
- ٧- المتغيرات الجديدة وبخاصة الهجمة الشرسة على الإسلام والمسلمين وما تفرزه من أحداث تؤثر على مسيرة الدعوة.

#### رابعاً: أهداف الدراسة:

تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دور مهم في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعويين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، لذا تسعى هذه الدراسة إلى قياس مدى اتساق ما تنشره المجلة من موضوعات ومعالجات مع ما تبناه من أهداف من خلال قياس اتجاهات القراء والخبراء والدعاة، وتقوم معالجتها الإعلامية وعلاقة ذلك باحتياجات ودوافع قرائها من خلال قياس مدى تحقيق المجلة لأهدافها الدعوية في الأمور الآتية:

- ١- الوقوف على ما تقوم به مجلة الدعوة من علاج للقضايا الدعوية المتعلقة بالدعاة والمدعويين سواء كانوا جماعة أم أفراداً فيما يخص موضوعاتها وهل حققت مع أهدافها الدعوية.
- ٢- الوقوف على ما تقدمه المجلة من علاج القضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات أهداف المجلة ومدى تحقيقها لأهدافها الدعوية.
- ٣- إبراز دور المجلة كوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى، والوقوف على ما تؤديه هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى.
- ٤- معرفة أوجه الضعف والقوة في أداء المجلة عند معالجتها للقضايا الدعوية.
- ٥- الاستفادة من منهج المجلة، وأهم موضوعات الأهداف الدعوية التي تناولتها.

#### خامساً: تساؤلات الدراسة:

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن عدد من التساؤلات من خلال الإطار النظري والإطار التطبيقي: الإطار النظري: تساؤلات خاصة بالجوانب المعرفية للمجلة وتشتمل:



- ١ - ما مفهوم المنهج، وما ضوابطه، ومجالاته؟.
- ٢ - ما أهداف الصحافة ووظائفها؟.
- ٣ - ما أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها؟.
- ٤ - ما مفهوم المجلة؟.
- ٥ - متى أنشئت مجلة الدعوة السعودية؟.
- ٦ - ما أهدافه مجلة الدعوة السعودية؟.
- ٧ - ما دوافع إصدار مجلة الدعوة السعودية؟.
- ٨ - ما الجهود الدعوية التي تبذلها مجلة الدعوة السعودية؟.
- ٩ - ما دور الدعاة في عملية معالجة القضايا المستجدة؟.

الإطار التطبيقي: ( الدراسة الميدانية ):

تساؤلات خاصة بالتقويم:

- ١- ما أهمية دراسة أهداف مجلة الدعوة السعودية؟.
- ٢- هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها الدعوية أم لا؟.
- ٣- ما مدى التزام مجلة الدعوة السعودية بأهدافها الدعوية عند رسمها لأهدافها الدعوية؟
- ٤- هل هناك أوجه ضعف وأوجه قوة في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟

سادساً: الدراسات السابقة:

تعتبر هذه الدراسة التي تتناول منهج مجلة الدعوة السعودية، في تحقيق أهدافها، دراسة ميدانية تقييمية دعوية لآراء جمهور المجلة نحو تحقيق أهدافها والحكم عليها، جديدة من حيث موضوعها، وهذا ما تبين للباحث من خلال استطلاع ومسح قوائم الرسائل الجامعية في عدد من المراكز البحثية والجامعات السعودية، واتضح أن ذلك الموضوع لم يخضع للدراسة حسب علم الباحث.

اطلعت مؤخراً بعد اكتمال الدراسة على البحث التكميلي للباحث سلطان بن

حماد الحماد بعنوان: المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١/١/١٤٣٢هـ إلى ٣٠/١٢/١٤٣٢هـ وهو عبارة عن بحث مقدم لاستكمال متطلب الحصول على درجة الماجستير في الدعوة، ويمكن للباحث ذكر فصول دراستها فقط وتشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول إضافة إلى الخاتمة والفهارس، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: التمهيدي ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية ومراحل تطورها وملاحظاتها الدعوية.

المبحث الثاني: نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وفيه مطلبان.

الفصل الأول: المضامين الدعوية المتعلقة بصفات الداعية ويشتمل على تسعة مباحث.

المبحث الأول: الإخلاص.

المبحث الثاني: العبادة وقوة الصلة بالله.

المبحث الثالث: الحرص على هداية الناس.

المبحث الرابع: الرفق.

المبحث الخامس: الصدق.

المبحث السادس: العفو.

المبحث السابع: الغيرة.

المبحث الثامن: التواضع.

المبحث التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الفصل الثاني: المضامين الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين.

ويشتمل على أربعة مباحث. المبحث الأول: عامة المسلمين وفيه خمسة مطالب.

المبحث الثاني: المنافقون.

المبحث الثالث: أهل الكتاب اليهود والنصارى.

المبحث الرابع: المشركون وفيه مطلبان.

الفصل الثالث: المضامين الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.

وفيها ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: موضوعات الدعوة العقديّة وفيه اثنا عشر مطلباً.

المبحث الثاني: موضوعات الدعوة الشرعية وفيه تسعة مطالب.

المبحث الثالث: الموضوعات الدعوية الأخلاقية وفيه خمسة مطالب.

الفصل الرابع: المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة ووسائلها في مجلة

الدعوة وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المضامين الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة وفيه ستة مطالب.

المبحث الثاني: المضامين الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة بمجلة الدعوة وفيه

أربعة عشر مطلباً.

الخاتمة - الفهارس.

والباحث هنا لم يشير إلى أي دراسة تتحدث عن الصحافة بوجه عام، وكذلك دراسته ليس لها علاقة بموضوع هذه الدراسة، إذ إن هذه الدراسة دراسة ميدانية مخصصة لاستطلاع آراء جمهور قراء المجلة حول تحقيق المجلة لأهدافها. وقد بين مجتمع دراسته، بقوله: "وقد تكون مجتمع الدراسة من ٥٢ عدداً من أعداد مجلة الدعوة التي صدرت عام ١٤٣٢هـ من الهجرة النبوية الشريفة (١).

كما أن من أهداف دراسته - وفقه الله تعالى -

١ - التعرف على نشأة مجلة الدعوة السعودية وتطورها وأهم أنشطتها.

(١) المضامين الدعوية في مجلة الدعوة، دراسة تحليلية لعينة من الأعداد خلا المدة من ١/١/١٤٣٢هـ إلى

٣٠/١٢/١٤٣٢هـ بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدعوة

للباحث سلطان بن حماد الحماد، عام ١٤٣٥/١٤٣٦هـ ص ٧.

٢- بيان المضامين المتعلقة بالداعية.

٣- إبراز المضامين المتعلقة بالمدعو.

٤- الوقوف على المضامين المتعلقة بموضوع الدعوة.

٥- إيضاح المضامين المتعلقة بأساليب الدعوة و وسائلها.

وقد بين - وفقه الله تعالى- أن اهتمامه بالمضامين فقط أثناء عرضه لاختلاف دراسته عن الدراسات السابقة، وأن هذه الدراسة ستكون -بإذن الله -لبنة مسن لبنات البحث العلمي؛ وذلك لأهمية عرض المضامين الدعوية عبر وسائل الإعلام عامة ومجلة الدعوة خاصة، ولما ستمثله هذه الدراسة من تكامل في مجال حقل الدعوة إلى الله مع وسائل الإعلام المختلفة، وإيصال الأفكار الدعوية البناءة الهادفة إلى مختلف شرائح المجتمع. بينما دراستي هذه لم تتطرق إلى المضامين الدعوية، وكانت دراسة استطلاع رأي حول تحقيق المجلة لأهدافها التي رسمتها لنفسها عند تأسيسها.

#### سابعاً: تحديد المشكلة البحثية وصياغتها:

قام الباحث بمجهود علمي للتعرف على مكونات موضوع الدراسة وتصور أبعاده، والوقوف على عدد من القضايا والمؤشرات التي كشفت من خلالها المشكلة البحثية وصياغتها؛ حيث تعطي مجلة الدعوة الصادرة بالملكة العربية السعودية اهتماماً بالغاً بمعالجة القضايا الدعوية، ذلك أن في معالجة تلك القضايا دوراً مهماً في العملية الدعوية؛ حيث تساعد الدعاة والمدعوين في حل بعض قضاياهم، وذلك من خلال رسمها لأهداف دعوية تناسب توجه المجلة بما تقدمه من حلول وفهم للأحداث والمستجدات على الساحة الإسلامية وغيرها، وتحدد المشكلة البحثية في هذا الدراسة من خلال استنباط المنهج الدعوي المبني على تحقيقها لأهدافها من خلال الأمور الآتية:

١. تحديد المفاهيم الأساسية لمكونات عنوان الدراسة، وأيضاً التعرف على

تاريخ تأسيس المجلة وأهدافها، ومراحل تطورها، ووظائفها؛ بما يتيح للباحث وضع تصور شامل للمجلة.

٢. تقويم مدى تحقيق المجلة لأهدافها، من أجل الوصول بها إلى أن تكون أكثر عطاءً، وأن تكون آراؤها بناءة؛ حيث إنها وسيلة دعوية مهمة، تعالج القضايا الدعوية التي تمه المجتمع المسلم وغيره في إطار المسلمات والقيم النابعة من الشرع الحكيم وقيمه المثلى والمصالح المعبرة.

ويمكن للباحث في ضوء ذلك أن يثير سؤالين مهمين للغاية :

السؤال الأول: هل حققت مجلة الدعوة السعودية أهدافها أم لا ؟

وللبحث عن إجابة علمية على هذا السؤال نجد أن أهداف المجلات تتمتع بالثبات والتشابه عبر مراحلها التاريخية؛ حيث كشفت المتابعة التاريخية لنشأة المجلات وتطورها عن ارتباطها بمجموعة من الأهداف، وهذا المعنى هو الذي جعل المجلات في العالم الإسلامي تحرص على ربط مادتها التحريرية بأهداف المجتمع الإسلامي الذي تصدر فيه وقيمه ومثله العليا حسب مقتضيات سياستها التحريرية(١).

وفي ضوء ذلك فإن الباحث يطرح الفرض البحثي التالي للإجابة على السؤال الأول: فرض البحث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق أهدافها الدعوية:

السؤال الثاني: هل هناك أوجه ضعف في أداء المجلة في جوانب معينة أم لا؟ إن وظائف المجلة تنمو وتزداد بتعدد المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع، حيث

(١) انظر: وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط١، (مصر، دار الاتحاد العربي، ١٤٠٤هـ). ص٩٨. وانظر: الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مذكور، ط١، (القاهرة، مكتبة النهضة الشرق، ١٩٨٧م)، ص١٢. بتصرف

تضيف كل مرحلة جديدة وظائف جديدة للمجلة لتلبي احتياجات التطور، كذلك تختلف هذه الوظائف من مجتمع لآخر، وذلك باختلاف أنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأيضا تختلف باختلاف التقدم الحضاري(١). وسيتم الإجابة على السؤال الثاني من خلال الدراسة التقييمية لأهداف مجلة الدعوة السعودية.

### ثامنا: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات الميدانية التقييمية الوصفية، وذلك باعتبار أن موضوع الدراسة يركز على وصف المنهج الدعوي المستمد من خلال تطبيق المجلة لأهدافها.

كما أن الباحث سيستخدم منهج الدراسات المسحية، الذي يعتبر جهدا علميا منظما للحصول على بيانات ومعلومات وأوصاف عن الظاهرة موضوع الدراسة(٢).

وقد شمل المسح الوثائقي والنظري والميداني والتحليلي، الجوانب الآتية:

أ. مسح الوثائق الرسمية عن المجلة، تاريخ نشأتها وأهدافها، ووظائفها.  
ب. مسح التنظيمات الرسمية عن الصحف للتعرف على الضوابط والمحددات وغيرها.

ج. استطلاع عينة من القراء للتعرف على آرائهم تجاه أهداف المجلة.

فإن المنهج الأنسب هو منهج وصف الأهداف المرسومة للمجلة؛ حيث إنه أحد أساليب البحث العلمي التي تهدف إلى الوصف الموضوعي والمنظم والكمي لمجلة الدعوة السعودية في مدى تحقيق أهدافها.

(١) انظر: مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد، ط٢ (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٨هـ) ص٥٥ بتصرف.

(٢) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، ط١ (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩هـ) ص٢٠٦.

تاسعاً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة المنهجية.

أولاً: مدخل الدراسة.

ثانياً: أهمية الدراسة.

ثالثاً: أسباب اختيار الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة.

خامساً: تساؤلات الدراسة.

سادساً: الدراسات السابقة:

سابعاً: تحديد المشكلة البحثية.

ثامناً: نوع الدراسة ومنهج البحث وأدواته:

تاسعاً: تقسيمات الدراسة.

الفصل الأول: الدراسة النظرية :

المبحث الأول: مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به:

المطلب الأول: مفهوم المنهج.

المطلب الثاني: أهمية المنهج وعناية الإسلام به.

المبحث الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها.

المطلب الأول: أهداف الصحافة الإسلامية.

المطلب الثاني: وظائف الصحافة الإسلامية.

المبحث الثالث: تاريخ نشأة مجلة الدعوة السعودية وأهدافها:

المطلب الأول: التعريف بالمجلة

المطلب الثاني: نشأتها وتطورها

المطلب الثالث: أهداف مجلة الدعوة السعودية.

المطلب الرابع: جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

الفصل الثاني: الدراسة الميدانية :

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية.

أهداف الدراسة الميدانية.

أهداف الاستبيان.

فروض الدراسة الميدانية

الأساليب الإحصائية المستخدمة

خصائص عينة الدراسة.

تحليل أسئلة الدراسة.

المبحث الأول: نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

المطلب الأول: العناية بالقضايا الدعوية.

المطلب الثاني: العناية بالبحوث الفقهية.

المطلب الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية.

المطلب الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

المطلب الخامس: الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

المطلب السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

المطلب السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية.

المطلب الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

المبحث الثاني: تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

المبحث الثالث: تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.



## الفصل الأول

### الدراسة النظرية

#### المبحث الأول

#### مفهوم المنهج وأهميته وعناية الإسلام به

الكتابة عن المناهج العلمية يستدعي تحديد المفاهيم والمصطلحات التي يحتويها عنوان الدراسة، لأنَّ الحُكْمَ عَلَى الشَّيْءِ فَرَعٌ عَنْ تَصَوُّرِهِ (١).

#### المطلب الأول

#### مفهوم المنهج

أولاً: المنهج: لغة: مأخوذ من مادة: هَج، يَنْهَج، هَجًا، وَهَجًا. والنهج: الطريق البين الواضح.

وهج لي الأمر أوضحه. وفلان هَج سبيل فلان سلك مسلكه، والجمع هُجج و مناهج (٢). وعلى هذا فالمنهج في اللغة يعني الطريق الواضح أو الخطة المرسومة للسير عليها.

المنهج في الاستعمال القرآني: وردت الإشارة إليه في موضوع واحد عند حديث القرآن عن الكتب السابقة وموقف القرآن منها، وموقف النبي صلى الله عليه وسلم- من أهل الكتاب حيث يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(١) شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزحيلي ، د. نزيه حماد، ط٢، ٥٠/١، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ) .

(٢) انظر: لسان العرب، ٣٨٣/٢، والمصباح، المنير، ص٢٤٠، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص٥٦٢، وانظر: التوقيف على مهمات التعريف، ص٦٨١.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَاةٌ<sup>(١)</sup>.

يقول ابن عباس -رضي الله عنه-: "شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة"<sup>(٢)</sup> فالمنهاج السبيل أي الطريق الواضح والشرعة والشرعية بمعنى واحد<sup>(٣)</sup> وشرع: سن. المنهاج في بعض استعمالات السنة النبوية: جاء بمعنى الطريق الواضح الذي ينبغي السير عليه، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تبارك وتعالى إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة"<sup>(٤)</sup> أي يسلك الخلفاء مسالك النبي -صلى الله عليه وسلم- وينهجون نهجه ويسرون على طريقته.

### في الاصطلاح: المنهج والمنهاج:

الطريق الواضح في تحصيل علم وتعليمه، وهو علم قائم بذاته يهتم بالتفكير بالدرجة الأولى، وبناء على ذلك كثرت تعاريفه عند المختصين من العلماء، ويمكن الوقوف على أبرز تلك التعاريف، على النحو الآتي: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

(٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، ط٢ (الرياض، دار السلام، ١٤١٩هـ)، باب الإيمان، وقول النبي ﷺ: "بني الإسلام على خمسٍ وهو قولٌ وفعلٌ ويزيدٌ وينقصٌ". حديث: ١.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢، ١/٦٤، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ).

(٤) مسند الإمام أحمد، حديث رقم: ١٨٥٩٦. ص ١٣٤١.

عملياته الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة<sup>(١)</sup>.

وعرفه البعض بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما مسن أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني أن المناهج تختلف باختلاف العلوم التي تبحث فيها، فلكل علم منهج يناسبه، مع الإيمان بوجود قاسم مشترك بين تلك المناهج المختلفة، وفي غالب الأمر، تتعاون مجموعة من المناهج لخدمة فن واحد معين<sup>(٣)</sup>.

#### مفهوم المنهج:

من خلال التعاريف السابقة يتضح أن المنهج في هذه الدراسة، هو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصوراته، ويدل علىها، ليقنع بها الآخرين.

#### منهج الدعوة:

اصطلح الدعوة في العصور المتأخرة على أن يطلقوا مناهج الدعوة على: الخطط العملية، والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية<sup>(٤)</sup>.

#### المفهوم الاصطلاحي لمناهج الدعوة:

هي العمليات التي يسلكها الداعية لكي يصل إلى ما يهدف إليه تجاه المدعو على أساس علمي بعيد عن الارتجال.

(١) مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧م). ص٤.

(٢) المرجع السابق، ص٤.

(٣) منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى، (بيروت، دار الكتب اللبناني، ١٩٨٢م) ص٢٧١ بتصرف.

(٤) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط١ (الرياض، دار اشبيليا، ١٤١٧هـ) ٥٠/١.

## العمليات التي يسلكها الداعية:

يراد بها جميع المناهج الدعوية التي تستدعي من الداعية دقة في انتقائها لتتفق مع ما يراد معالجته لدى المدعو، ومن هنا تكتسب خصوصياتها لكون كل منها يعالج وضعا خاصا، وحرصا على المدعو وانطلاقا من الإشفاق عليه ومحبة الخير له.

### ثانيا: مكونات المنهج:

١- هي الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمناهج الدعوة، خططها وطرائقها.

وتدرج تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها. إن معنى منهج الدعوة تلك الطرق والأساليب والوسائل والأسس والغايات التي تتخبط في سلك الدعوة وموضوعها، ومنها المتصل بكتاب الله عز وجل، وقد عرف البعض مناهج الدعوة:

٢- نظم الدعوة وخططها المرسومة لها فيقال: نظام العقيدة في الإسلام، ونظام العبادة، ونظام الاقتصاد ونظام السياسة. كما يقال تبليغ الإسلام ونظام تعليمه، ونظام تطبيقه.

### ثالثا: استعمالات السلف:

لقد استعمل السلف-رضى الله عنهم- مصطلح السنة والسيرة، كما استعملوا مصطلح الشمائل وذلك فيما يتعلق بأقوال وأفعال وتقريرات وصفات رسول الله - صلى الله عليه وسلم-.

أما كلمة منهج فلم ترد في استعمالاتهم، وإن رويت عن ابن عباس-رضى الله عنه- في تفسير منهج في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ (١) حيث فسر المنهج بالسنة النبوية.

إن المنهج يستعمل أكثر في جملة من الطرق والمحددات المنهجية التي تستعمل

(١) سورة المائدة، الآية: (٤٨).

لإنتاج معرفي موحد لا يتغير ذلك الناتج مهما تغير الزمان أو المكان أو الإنسان الذي يستخدم ذلك المنهج.

وقد شاع مصطلح منهج ليعبر عن السنن والسير والشمائل، أو ليكون مفهوما عاما لها، مثل منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة أو في الحكم أو في القيادة أو في المعاملات.

## المطلب الثاني

### أهمية المنهج وعناية الإسلام به

ترجع أهمية المنهج إلى كونه الطريق المأمون في الوصول إلى العلم الصحيح، والإسلام له عناية الخاصة لطلب العلم، فقد أمر الإسلام بالعلم وأثنى على العلماء، وذم الجهل والجاهلين كما طالب بالثبوت والتحقق في طلب العلم، وطالب بإقامة الدليل والبرهان على أية دعوى يدعيها الإنسان، وكما يقول علماء البحث والمناظرة: "إذا كنت ناقلاً فالصحة، وإذا كنت مدعياً فالدليل..". ولما ادعى المشركون أن الملائكة بنات الله وحكموا عليهم بالأنوثة طالبهم الله عز وجل بالبرهان والدليل على ما يدعونه. وبين أن هذا الأمر دليله المشاهدة والمعينة، وهم لم يشاهدوا خلق الملائكة فكيف يحكمون عليهم بالأنوثة.

إنه حكم خاطئ وبنوا قولهم على التخمين والظن، وهذا أمر طريق إثباته يعتمد على المشاهدة والمعينة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَنَ شَهِدَتْهُمْ وَوَيْسُؤُونَ﴾ (١).

ولذلك كانت عناية الإسلام بالمنهج كبيرة لأنها وسيلة الثبوت والتحقق في طلب العلم، وبدون المنهج السليم في البحث يشرد الذهن وتتحكم فيه الأهواء ويضل الطريق. ولا يعد الإنسان عالماً ما لم يسلك منهجاً علمياً يحقق به معلوماته وموضوعاته. وقد طالب القرآن اليهود بتوثيق دعواهم حينما قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم- تدعي أنك على ملة إبراهيم ولكنك تخالف شريعته فأنت تأكل من لحوم الأبل وتشرب من ألبانها وإبراهيم قد حرمها على نفسه، فتر القرآن بتأنيب اليهود وبين أن دعواهم ينقصها التوثيق، فهي دعوى كاذبة لأنها قائمة على منهج خاطئ؛ لأنهم لم يشاهدوا إبراهيم ولم يعاصروه ولم يأثم نص في التوراة يدل على

(١) سورة الزخرف، الآية: (١٩).

ذلك، فمن أين إذا استقوا دعواهم..؟. إن دعواهم تفقد المنهجية الصحيحة، قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لَّيْنِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١)

ومن هنا كانت عناية الإسلام بمنهج التوثيق للأخبار وعنايته بمنهج القياس والاعتبار في تفريع الأحكام ومنهج التحريب والمشاهدة في علوم الكون والحياة، وكانت فعلاً مسألة المناهج من الدين لأنها بمثابة الطريق الصحيح الموصل إلى العلم الصحيح (٢).

يقول عبد الله بن المبارك -رضي الله عنه-: "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء" (٣) إذا لا بد من معرفة المناهج وضوابطها الشرعية حتى نسبي الفكر السليم والقويم، ولا بد من دراسة المنهجية العلمية في الفكر الإسلامي لأنها هي الكاشفة عن الطريق التي يسلكها العقل في بحثه عن الحقيقة (٤).

إن الداعية لا يباشر عملاً عادياً يستمر فيه على وتيرة واحدة وإنما يتعامل مع مدعو له أحوال متعددة وصفات مختلفة تستلزم منه جهداً، يتمثل في انتقائه للمناهج الدعوية ليأخذ بيد المدعويين ويسعى لخلاصه من هواه، والداعية متأسي في ذلك

(١) سورة آل عمران، الآيتان: (٩٣-٩٤).

(٢) منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر، العدد ١٨٣ (من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ) ص ١٨.

(٣) صحيح مسلم، للإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ط ٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ)، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

بالنبي صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

إن تعدد أحوال المدعو واختلافها وتأثرها بالطبيعة النفسية والجسدية وبما فطر وجبل عليه، وتتأثر هذه الأحوال بالبيئة وبما فيها من عادات وتقاليد وبطبيعة الزمان والمكان، وبما لدى المدعو من رصيد ثقافي ومعرفي يقتضي أن يكون لكل من هذه الأحوال منهجاً دعوياً خاصاً يستطيع الداعية به التأثير في المدعو وتغيير حاله من سيئ إلى حسن، ومن حسن إلى أحسن.

(١) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).



## المبحث الثاني

### أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها

#### المطلب الأول

##### أهداف الصحافة الإسلامية

قبل الحديث عن أهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها يحسن بالباحث الوقوف على تعريف الصحافة وبيان مفهومها، وأهدافها، وأهميتها، ويمكن بيان ذلك في فرعين:

##### الفرع الأول: مفهوم الصحافة الإسلامية وأهميتها:

##### التعريف بالصحافة: لغة:

مشتقة من مادة صحف، وقد اشتق منها لفظ صحيفة. وقد استعملت الصحيفة في معنى كل ما فيه خبر أو إعلان أو معلومات وغيرها (١).  
والصحيفة:

إضمامة من الصفحات تصدر يومياً أو في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وما يتصل بذلك، وجمعها صحف وصحائف (٢).  
الصحافة اصطلاحاً: هي رواية الأخبار وعرضها بطريقة ما على القراء (٣).

##### أهمية الصحافة:

تعتبر الصحافة من أهم وسائل الاتصال والدعوة والتبليغ والتعارف والتعاون البشري، كما أنها من أقوى الوسائل تأثيراً في المجتمع، لاسيما في عصرنا الحديث، حيث إنها ضرورة نفسية إنسانية، فهي بذات الوقت ضرورة اجتماعية، وبهذا فلا

---

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١، (بيروت، الرسالة، ١٤١٤هـ) ص ٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٠.

مفر للإنسان المسلم من استخدام هذه الوسيلة، بل واستخدامها في الميدان الدعوي، لتكون وسيلة ناجحة لتوصيل تعاليم هذا الدين إلى الناس في كل مكان. وبما أن الصحافة وسيلة توجيه وإرشاد تعمل على تكامل الشخصية الإنسانية بواسطة الخير والمقال والتعليق والتحقيق، وغير ذلك من الثمرات التي تحملها الصحافة اليوم، فهذا أحد أهداف الرسالة الإسلامية(١).

### الفرع الثاني: أهداف الصحافة الإسلامية:

تسعى الصحافة الدينية إلى تحقيق أهدافها وتسعى إلى إيصال رسالتها السامية إلى قرائها من خلال ما تقدمه من مواد نافعة، ومما لا شك إن من أهداف الصحافة بوجه عام - إعلام الناس بما يهمهم ويتصل بحياتهم العامة والخاصة. أو بعبارة أخرى تلبية رغبات الناس في الإجابة على تساؤلاتهم بشأن ما يجري من أحداث داخلية أو خارجية تتصل بشؤون حياتهم المختلفة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويمكن الإشارة سريعاً إلى أهم أهداف الصحافة الدينية في النقاط الآتية:

١. تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط، وخلق مجتمع متعارف، بما تقدمه من قضايا اجتماعية، ومن أنشطة إنسانية وخبرات فكرية أو سلوكية شريفة لأبطال الأحداث، والتقييم الصحيح للعلاقات والأعمال والعاملين بتكريم ما كرم الله ورسوله، ونبذ ما نبذ الله ورسوله وتولى من تولى الله ورسوله ومن أمرنا بتوليتهم، ومحادة من حاد الله ورسوله ومن أمرنا بمعاداتهم، فإن بهذا تؤثر في السلوك الاجتماعي لجماهير الصحافة والممارسة العملية التريهة في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

٢. محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.

٣. التصدي لأعداء الإسلام.

(١) انظر: المرجع السابق، ص ٢٠٥. بتصرف يسير.

٤. تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.  
 ٥. الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلوياً.  
 ٦. تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً وتوضيحاً وإرشاد الجمهور وتوجيهه وفق القيم والمبادئ الإسلامية.  
 ٧. ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة (١).

٨. غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء (٢).  
 ٩. نقد كل تصرف أو سلوك اجتماعي نقداً علمياً، دون أن يتعرض صاحب النقد للعقوبة أو للأذى أو للحرمان من حق هو له بمقتضى الشرع الإسلامي (٣).  
 ١٠. التثقيف والتعليم: لقد وصلت الثقافة الفكرية في حدتها وريقها حدا جعل من الابتكار العلمي والأدبي شيئاً رائعا جداً، ولو بحثنا عن الصور التي تنطبع عليها بجلاء ظاهر.

١١. نشر وتأسيس الثقافة الإسلامية فكراً وسلوكاً، ونشر المبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، ومحاربة الثقافات المنافية لقيم وتعاليم ونظم الإسلام داخلياً وخارجياً، فإنها الجامعة العملية التي تلقن طلابها من الرأي العام مختلف العلوم والمعارف.

١٢. هدف عقائدي: وهو هدف هام ووظيفة هامة تقوم بها الصحافة خاصة في وقتنا الحاضر، حيث انتشرت عقائد مذهبية وأيديولوجيات متباينة وما يلاحظ على تقصير وسائل الإعلام أو عدم اهتمامها بمهمة التفسير والتحليل والتوضيح

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م) ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف: الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٥٧.

على أسس موضوعية علمية سليمة لما ينشر من أخبار ومما يذاع من أفكار وأراء لأصحاب السلطة في الداخل وفي العالم الخارجي، مما ساعد على إشاعة الغموض وبلبلة الأفكار وخاصة بين الشباب ومحدودي الثقافة والخبرات.

١٣. الإسهام في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع المستويات المحلية والخارجية الفردية والأسرية والاجتماعية (١).

١٤. الإسهام في تحريك الطاقات وإشراكها مع بعضها ومع ولاة الأمر في تحقيق هدف الأمة الإسلامية، وإقامة جيل التواصل عن طريق متابعة الأخبار لخطط التنمية وللمساهمين فيها.

١٥. الإسهام في تحقيق عوامل الاستقرار والأمن والرخاء للمجتمع واستنفار الأفراد لإعداد العدة والجهاد في سبيل الله وإرهاب أعداء الله وأعدائهم وآخرين من دونهم لا نعلمهم، الله يعلمهم.

١٦. الإسهام في إرساء قواعد تقييم المخلصين والمنتجين على أساس تكريمهم ونذ الكسالى والمفسدين وقبول الأعمال الصالحة والمفيدة، واحتقار الأعمال الفاسدة والضارة، وإرساء قيم الحب والمودة والتعاون والبذل وخلع وإهمال قيم الصراع والأنانية .

١٧. التعرف على مشكلات الناس ومعرفة احتياجاتهم وميولهم ومحاولة صبغتها صبغة إسلامية لجذبهم إليها بدل أن تعذبهم الصحف القومية أو العلمانية والماركسية الأخرى إلى صفها بدعوى الدفاع عنهم وتبني مشكلاتهم وكل هذا يتم بالتزول إلى الناس صحافيا .

١٨. الاهتمام بالنشء في هذه الصحافة وإبراز دورهم الهام صحافيا وفي مختلف مناحي الحياة - اجتماعية تعليمية ثقافية - فكرية، وفي إطار القيم والمبادئ الإسلامية.

(١) محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، ص ٥١.

## المطلب الثاني

### وظائف الصحافة الإسلامية

للصحافة وظائف كثيرة، يمكن الإشارة إلى جزء منها على النحو الآتي:

١- ثقافية.

٢- دفاعية.

٣- هجومية.

الثقافية: هي التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزوين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

وأما الدفاعية: فتتم بالرد على ما يثيره العدو من الشبهات وأباطيل وما يردده من الشائعات أو يطلقه من محاولات للتشويش.

وأما الهجومية: فتتم بتبني سياسة الحق والإعلان عنها، وبيان وجهها الصحيح ومنهجها الواضح، مع العناية ببيان أن ما يناقضها أو يخالفها باطل وزيف، وعليه يتحدد مفهوم وظائف الصحافة الإسلامية في هجومها ودفاعها بكشفها لحق الإسلام ودين التوحيد، وإعلانها عن صحة هذا الدين وحده دون سواه، وإذاعته ونشر ما يؤكد هذه الحقيقة ويصلها بالوحي الإلهي.

وقد يقتضي هذا الشكل من الوظائف استعمال أسلحة الهجوم المباشر، لبيان كل ما يخالف عقيدتنا وشريعتنا، وأخلاقنا وسلوكياتنا الإسلامية، أما الدفاع فيتطلب من الصحافة الإسلامية أن ترد جميع الشبهات التي يثيرها الأعداء ضد العقيدة الإسلامية وشريعتها الغراء، كشبهة التعدد وادعاء تدني المرأة في الإسلام، أو ادعاء عدم ملائمة الشرع الإسلامي للتطور، إلى غير ذلك من الدعاوى الظالمة (١).

(١) الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، مرجع سابق، ص ٤٢٦-٤٢٧.

## المبحث الثالث

### التعريف بمجلة الدعوة السعودية وتاريخ نشأتها وأهدافها

التعريف بالمجلة ونشأتها، وأهدافها:

#### المطلب الأول

#### التعريف بالمجلة

في اللغة: المجلة معنى من معاني الرسالة، وأصل المجلة الصحيفة المشتملة على القليل من المسائل التي تكون من نوع واحد(١) وقال أصحاب المعجم الوسيط: "المجلة: الكتاب والصحيفة تجمع طرائف المعرفة (٢).

في الاصطلاح: كل صحيفة عامة متخصصة في فن من الفنون تظهر في أوقات معينة، بخلاف الصحف اليومية"(٣) ومجلة الدعوة السعودية (٤) هي ذلك الجهد المتمثل في إصدار إضمامة من الصفحات تصدر أسبوعياً في مواعيد منتظمة بأخبار السياسة، وما يتعلق بالأمور الدينية على شكل تحقيقات ومقالات، وخطب وندوات ومحاضرات مفرغة، لتحقيق أهداف كثيرة من الناحية الدعوية، وغيرها.

(١) التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص ١٧٧. وانظر: التعريفات، علسي بسن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق، د. عبدالرحمن عميرة، ط١، (بيروت عالم الكتب، ١٤٠٧هـ) ص ١٤٧.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، (تركيا، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٢هـ) ص ١٣١. مادة "جَلَّ"

(٣) المرجع السابق، ص ١٣١.

(٤) قيد الباحث اسم المجلة بالسعودية لتمييزها عن مجلة الدعوة المصرية. فلو أطلقها لنشأ سؤال أي مجلات الدعوة؟؟ ولكون مجلة الدعوة المصرية معروفة لدى الأوساط العلمية جرى تقييدها والتنويه إليها.

## المطلب الثاني

### نشأتها وتطورها

#### النشأة:

مجلة الدعوة مجلة أسبوعية إسلامية اجتماعية شاملة، بدأ صدورها في شكل جريدة أسبوعية، ثم تحولت إلى مجلة بعد عدة سنوات (١) وقد أسسها سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضااتها ورئيس الشؤون الإسلامية السابق -رحمه الله- وقد أولاهما جل اهتمامه الشخصي وتعاهدهما حتى تحقق لها كل هذا النجاح المشهود اليوم. وقد ساهم معه ثلثة من أصحاب الفكر والثقافة فأصبحوا من أعضاء مؤسسين حسب النظام المعمول به في المؤسسة (٢).

ويرأس مجلس إدارتها منذ إنشائها وحتى اليوم صاحب المعالي الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وزير العدل ورئيس مجلس القضاء الأعلى الأسبق. أما المدير العام ورئيس التحرير فهو الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالكريم العيسى (٣).

#### التطور:

#### المولد وبدء المرحلة الأولى:

صدر العدد الأول من "الدعوة" صباح الاثنين ١٠ محرم ١٣٨٥، الموافق ١٠ مايو ١٩٦٥م، وسرعان ما تلقفتها الأيدي واستقبلتها القلوب المؤمنة بالترحاب والإشفاق، فالتجربة جديدة وفريدة والساحة خالية من مجلة تعبر عن هموم الأمة الإسلامية وطموحاتها إبان تلك المرحلة.

(١) حسب صورة القرار.

(٢) أسماء الأعضاء المؤسسين، ونظام المؤسسة .

(٣) حسب التشكيل الجديد لهيكل الإدارة والتحرير في مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية .

## المطلب الثالث

### أهداف مجلة الدعوة السعودية

تسعى المجلة منذ إنشائها إلى تحقيق عدة أهداف سامية، يمكن عرضها على النحو الآتي:

١. إصدار صحيفة يومية باسم (الدعوة).
- إصدار مجلة شهرية باسم (منار الإسلام).
- تعنى الجريدة بالجوانب الآتي بيانها:
  - الشؤون الإسلامية دعوة ودراسة وتعليقاً وخبراً.
  - الإشادة بالتاريخ الإسلامي وجوانبه المشرقة، وبرجاله البارزين واستخلاص العبر والعظات من كفاحهم وطرق معاشهم.
  - البحوث الفقهية والفتاوى الشرعية.
  - الشؤون الأدبية واللغوية.
  - المشاكل الاجتماعية وأحوال الأسرة والمجتمع.
- العناية والاهتمام بما يشوق القارئ بتنوع المواد وإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، ونشر الابتكارات المفيدة بما لا يتعارض مع أهداف هذه المؤسسة.
- محاربة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة وإظهارها على حقيقتها.
- تلتزم المؤسسة في نشاطها الصحفي بالاعتدال في الدعوة والتوجيه والنقد مترسمة مدلول قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (١).

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٥).



## المطلب الرابع

### جهود مجلة الدعوة السعودية الدعوية

تعد مجلة الدعوة من المجلات الرائدة في نشر الدعوة ممثلة في كوادرها وكتابها، ويتمثل ذلك في نشر العلم الشرعي، من خلال طرح العديد من الموضوعات العلمية والثقافية الهادفة ومعالجتها، مع العناية الفائقة بإعداد وتحضير تلك الموضوعات، فهي وسيلة نافعة مهمة في الدعوة إلى الله تعالى، حيث يتصل قسم التنسيق بالمجلة بأصحاب الفضيلة العلماء والمشايخ وأساتذة الجامعات وغيرهم من المهتمين، ويستقبل منهم مقترحاتهم وأفكارهم حول الموضوعات المراد طرحها. ويمكن تقسيم هذه الموضوعات إلى أقسام مهمة (١):

أولاً: القضايا الدينية ومنها زاوية خاصة للاستفتاء.

ثانياً: القضايا الدعوية:

ثالثاً القضايا السياسية:

رابعاً: القضايا الاجتماعية:

خامساً: المواد الإخبارية:

سادساً: المواد الإعلانية:

سابعاً: القضايا التربوية:

جهود سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله:- تعد "مجلة الدعوة" من بنات أفكار سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (ت ١٣٨٩هـ) شيخ العلماء ومفتي الديار السعودية في ذلك الحين؛ فقد ولدت فكرة إنشاء مؤسسة صحفية إسلامية في ذهن سماحته رحمه الله- وذلك لخدمة العقيدة الإسلامية والذود عن حياضها، والتصدي لأعداء الإسلام بالحجة والبرهان ودحض شبههم ورد أباطيلهم. وقد اتخذ سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله- تعالى عدة خطوات عند تأسيس هذه المجلة منها:

(١) أشار الباحث إلى تلك الموضوعات إشارة عابرة خوفاً من الإطالة.

عين لها مجلس إدارة يقوم بالإشراف على المؤسسة ماديا وأديبا.  
 عين سماعته للمؤسسة مديرا عاما هو الأستاذ عبد العزيز بن عبد المنعم منذ  
 شهر شوال ١٣٨٤هـ وحتى شهر ذي القعدة ١٣٨٦هـ حيث قدم استقالته من  
 العمل وعين محله الشيخ عبدالله بن إدريس مديرا عاما للمؤسسة إلى جانب عمله  
 رئيسا للتحرير، "يعد الشيخ عبد الله بن إدريس أول رئيس تحرير للدعوة"، وقد  
 أعد لإصدارها وظل رئيساً لتحريرها سبع سنوات من بداية ١٣٨٥هـ إلى نهاية  
 ١٣٩١هـ إلى جانب توليه أمر إدارة المؤسسة، ثم تولى رئاسة التحرير بالنيابة  
 سكرتير التحرير الأستاذ صالح المنيف منذ نهاية عام ١٣٩١هـ ريثما يتم انتخاب  
 رئيس للتحرير.

وشكلت لجنة من أعضاء مجلس الإدارة لوضع نظام للمؤسسة وتكونت من  
 المشايخ:

- عبدالله بن سليمان بن منيع.
- عبدالله بن إدريس.
- عبد العزيز بن عبد المنعم.
- ناصر بن عبدالله بن الشيخ.

وقد وضعت اللجنة النظام الأساسي للمؤسسة (١) ونوقش في المجلس ووافق  
 عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- باعتباره الرئيس الأعلى للمؤسسة.  
 هذا وقد صدرت صحيفة "الدعوة" في عددها الأول يوم الاثنين ١ محرم  
 ١٣٨٥هـ، ورغم الصعوبات التي يلقاها كل مشروع في طور تأسيسه فإن  
 الصحيفة بتوفيق الله شقت طريقها وسط الصعاب والمشكلات الفنية والإدارية من  
 طباعة وإخراج وتوزيع وتحصيل وإعلانات واشتراكات وغير ذلك. هذا إلى جانب  
 - كما جاء في نص التقرير المقدم إلى الجمعية العمومية العادية في اجتماعها الأول  
 بتاريخ ١/١/١٣٩٣هـ - أن رئيس التحرير والمحررين معه يمارسون العمل  
 الصحفي المباشر أول مرة ولكن معونة الله فوق كل شيء.

(١) نص النظام الأساسي للمؤسسة.

## الفصل الثاني

### الدراسة الميدانية

التمهيد: المنهج المعتمد في الدراسة الميدانية:

تم تصميم استبانة (١) استطلاع رأي قراء مجلة الدعوة السعودية لأخذ رأيهم حول تطبيق المجلة لأهدافها، وعلى ضوء إجابات القراء تم استخلاص نتائج الدراسة، وقد عرضت على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس لأخذ رأيهم حول مناسبتها لتحقيق أهداف الدراسة من واقع خبرتهم تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، و أ. د. راشد سلامة. الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، و أ. د. عبدالمنعم محمد سعديي الأستاذ بقسم إدارة الأعمال بجامعة شقراء، و د. طلال الشريف، الأستاذ المشارك بجامعة الملك عبدالعزيز بقسم إدارة الأعمال، و د. عبدالعال أبو الفضل، الأستاذ المساعد بقسم الاقتصاد بجامعة شقراء. و د. محمود عبالمعطي مسلم، أستاذ الإعلام المشارك بجامعة الأزهر، و د. محمد بن عبدالعزيز السلیمان، الأستاذ المشارك بكلية المجتمع بمحافظة حريملاء، و د. محمد بن سليمان الصبيحي، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، و د.

(١) المحكمون: لقد قام الباحث بعرض الاستبانة على عدد من الخبراء المحكمين من أعضاء هيئة التدريس للحكم عليها من حيث مدى تحقيقها لأهداف الدراسة، حيث تم إعادة تصميمها على ضوء ملاحظاتهم وتوجيهاتهم، حيث أفاد الباحث منها في صياغة الاستبانة صياغة نهائية قابلة للتطبيق، وهم على النحو الآتي: أ. د. سعيد ابن علي ثابت، و د. طلال الشريف، و د. عبدالعال أبو الفضل، و أ. د. راشد سلامة. و أ. د. عبدالمنعم محمد سعديي. د. محمود عبالمعطي مسلم. و د. محمد بن عبدالعزيز السلیمان، و د. محمد بن سليمان الصبيحي، و د. ياسر الشهري، و د. محمد الموسى، د. محمد رضا.

ياسر الشهري، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، ود. محمد الموسى، الأستاذ المشارك بكلية الإعلام والاتصال بجامعة الإمام، د. محمد رضا. الأستاذ المشارك بجامعة شقراء قسم المحاسبة، ووزع الباحث عدد ٣٠٠ استبانة ورقية، كما وضع الاستبانة على رابط وأدرج الاستبانة عليه وأرسلها لأكثر من ٥٠٠ قارئ، وسأوضح التفصيل عند الحديث عن العينة.

٢-١ أهداف الدراسة الميدانية: تهدف الدراسة الميدانية إلى التحقق من مدى قيام مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها الدعوية، من خلال استقصاء الفئات المستهدفة في الاستبيان.

٢-٢ أهداف الاستبيان: يهدف الاستبيان إلى التحقق من مدى صحة فروض الدراسة.

٢-٣ عينة الدراسة: اختار الباحث عينة عمدية من القراء لهذه المجلة لأنها ستحقق أغراض الدراسة-إن شاء الله تعالى- وتتكون عينة الدراسة من طلاب قسم الدعوة بالجامعات الإسلامية السعودية والمشايخ والدعاة باعتبارهم من المهتمين بقراءة مجلة الدعوة ومن المتخصصين في موضوعات المجلة، والقادرين على تقويم مدى قدرة المجلة على تحقيق أهدافها.

وقد صمم الباحث استبانة للإجابة عن تساؤلات الدراسة الميدانية جعلها على أهداف المجلة التي رسمتها لنفسها، وهي أهداف المجلة التي تسعى الدراسة إلى تحقيق نتائجها، وهي على النحو الآتي:

الأول: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

الثاني: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

الثالث: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

الرابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة .

الخامس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي .

السادس: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية .

السابع: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية .

الثامن: عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

وقد أعد الباحث أسئلة فرعية تبنى من كل هدف، وتم تحديد حجم عينة الدراسة بعدد ٥٠٠ استبيان موزعة على أفراد العينة، تم الحصول على ٣٤٥ استبانة وبحثها وجد أن ٢٠٩ استبانة منها تصلح لإجراء التحليل الإحصائي.

٢-٤ الأساليب الإحصائية المستخدمة: خصص هذا الجزء لمعالجة موضوع الدراسة من الناحية التطبيقية، حيث تم عرض وتحليل بيانات الدراسة، وذلك من خلال الأساليب الإحصائية المستخدمة، وعرض أداة الدراسة وصدق الأداة وثباتها، ثم تحليل البيانات واختبار فرضيات الدراسة، وأخيراً عرض النتائج والتوصيات وتم اختبار فرضيات الدراسة واستخلاص النتائج من البيانات التي تم جمعها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS)، ومن خلاله استخدمت أساليب الإحصاء المناسبة لاختبار الفرضيات واستخلاص النتائج، وفيما يلي أهم الأساليب الإحصائية التي تم استخدامها:

١- الإحصاء الوصفي: يهدف الإحصاء الوصفي إلى تزويد مقاييس تلخيصية للبيانات المتوافرة عن عناصر العينة، حيث تم استخدام التكرارات والنسب المئوية

لوصف عينة الدراسة، بالإضافة إلى الوسط الحسابي والانحراف المعياري.

٢- اختبار T لعينة واحدة (One Sample T-test):

يستخدم هذا الاختبار لمقارنة المتوسطات الحسابية الفعلية لكل متغير من المتغيرات المستقلة مع المتوسط الحسابي الفرضي؛ وذلك لمعرفة فيما إذا كان الفرق بين المتوسط الحسابي الفعلي والمتوسط الحسابي الفرضي ذا دلالة إحصائية عند مستوى ثقة إحصائية (٥٠%) ويتم استخدام هذا الاختبار؛ وذلك لمقارنة درجة التأثير المحسوبة مع الوسط الحسابي الافتراضي لدرجة التأثير المقبولة والبالغة (٣) وهذا الرقم عبارة عن مجموع بدائل إجابات أفراد عينة الدراسة في الاستبانة  $(١+٢+٣+٤+٥)/٥$ .

اختبار كرونباخ ألفا للمصدقية (Cronbach Alpha): لقد تم استخدام اختبار الموثوقية كرونباخ ألفا لتبيان تناسق الأسئلة ولقياس مدى صدق وثبات أداة القياس، واختبار درجة مصداقية البيانات وثباتها، وتعد القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل كرونباخ ألفا (٠,٦٠) أو (٦٠%) بلغت قيمة معامل ألفا لإجابات أسئلة الاستبانة على جميع الأسئلة (٠,٩٦١) وهي نسبة ممتازة كونها أعلى من النسبة المقبولة (٥٦٠%) وهذا يعني توافر درجة كبيرة من المصدقية في إجابات الأسئلة.

٢-٥ خصائص عينة الدراسة: يلاحظ أن النسبة الأكبر من أفراد العينة يحملون الدرجة الجامعية البكالوريوس فما فوق (بكالوريوس - دبلوم عالي - ماجستير - دكتوراه) حيث بلغت نسبتهم (٩٢%) ممن شملهم الاستطلاع وهذا مؤشر جيد على أن أفراد عينة الدراسة على قدر كبير من التأهيل العلمي يؤهلهم على الإجابة على أسئلة الاستبيان، خصوصاً وأنه يتناول مدى تحقيق أهداف مجلة الدعوة السعودية لأهدافها، ومن ناحية التخصص العلمي نجد أنهم جميعاً مهتمون في مجال الدعوة، وهذا يدل على تناسب تخصصات العينة مع أهداف الدراسة.

### جدول رقم (١) المتغيرات الديموغرافية:

النسبة المتوية	التكرار	الفئات	البيان
١٠	٢٠	أقل من ٣٢	العمر
٦٨	١٤٢	من ٣٢ إلى أقل من ٥٠	
٢٢	٤٧	من ٥٠ فأكثر	
١٠٠	٢٠٩	المجموع	
			الجنس
٨٦	١٧٩	ذكر	
١٤	٣٠	أنثى	
١٠٠	٢٠٩	المجموع	
			المستوى التعليمي
٥٧	١١٩	دبلوم عالي	
٣٥	٧٤	بكالوريوس	
٨	١٦	اخرى	
١٠٠	٢٠٩	المجموع	
			الجنسية
٩٥	١٩٩	سعودي	
٥	١٠	غير ذلك	
١٠٠	٢٠٩	المجموع	

من تحليل المتغيرات الديموغرافية لعينة الدراسة نجد أن الفئة العمرية: ( من ٣٢ الى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%) من إجمالي عينة الدراسة ، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية: (من ٥٠ سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة، وهذا مؤشر جيد على مدى إدراك المهيئين للمهام المكلفين بها ويدل على أن أغلب قراء مجلة الدعوة من الفئة العمرية الأكثر وعياً وإدراكاً بأمر الدعوة

إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة. ومن ناحية المستوى التعليمي نجد إن (٥٧%) من حاملي درجات الماجستير والدكتوراه و(٣٥%) من حاملي درجة البكالوريوس وبما يعني أن (٩٢%) من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر، وهذا يؤكد خصائص الفئة العمرية السابقة أنهم الأكثر وعياً وإدراكاً بأمر الدعوة إلى الله وبفهم أهداف مجلة الدعوة.

ومن ناحية جنس القراء نجد أن (٨٦%) من عينة الدراسة رجالاً و(١٤%) نساء، وهذا يدل على حرص الرجال على القراءة، وأن النساء لهن اهتمام بالمجلة، مما يدل على أن موضوعات المجلة تناسب النساء أيضاً.

كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغت نسبة العينة من السعوديين (٩٥%) وغير السعوديين (٥%) ممن وصلت إليهم الاستبانة حيث بلغ عدد من قام بتعبئة الاستبانة كاملة عشرة غير سعودي، مقابل مائة وتسعة وتسعون سعودياً، أي كل عشرون سعودياً يقابلهم واحداً غير سعودياً، وهذا يثبت أن مجلة الدعوة السعودية مرغوبة من غير أبناء بلدها، مما يدل على شعبيتها (١).

(١) ومما يؤكد علو شعبيتها أن كمية ما يوزع من أعداد مجلة الدعوة أسبوعياً المطبوعة ١٨٠٠٠ ثمانية عشر ألفاً منها ما يتم إرساله خارجياً عن طريق البريد ٨٩٠٣ منها ٥٢٨٠ باللغة الإنجليزية، وبالفرنسية ٣٦٢٣ ومما يتم إرساله داخلياً عن طريق البريد ٧٨٠ منها ٥١٠ باللغة الإنجليزية و ٢٧٠ باللغة الفرنسية. ما يتم طرحه للبيع في منافذ التوزيع محلياً ٣٥٠٠ منها ٢٠٠٠ باللغة الإنجليزية و ١٥٠٠ باللغة الفرنسية، وما يوزع على السفارات في الداخل والخارج والجامعات وبعض الهيئات والقطاعات الأهلية والحكومية بالداخل ٤٠٠٠ منها ٢٠٠٠ باللغة الإنجليزية و ٢٠٠٠ باللغة الفرنسية، وما يسلم وزارة الشؤون الإسلامية ٤٠٠ منها ٢٠٠ باللغة الإنجليزية و ٢٠٠ باللغة الفرنسية.

إجمالي الموزع ٩٩٩٠ إنجليزي + ٧٥٩٣ فرنسي. وذلك حسب إفادة المجلة بخطأها رقم بدون وتاريخ بدون ولدى الباحث صورة منه.



٦-٢ تحليل أسئلة الدراسة: للإجابة على أسئلة الدراسة قام الباحث باحتساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين على النحو الآتي:  
السؤال البحثي: هل مجلة الدعوة السعودية تحقق أهدافها المرتبطة بالقضايا الدعوية؟

تم اختيار مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها المرتبطة بالقضايا الدعوية، حيث تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المستجوبين والذي يقيس مدى تحقيق كل هدف من أهداف المجلة الثمانية (الجداول من رقم ٨-١) حيث تم حساب المتوسط العام للإجابات المتعلقة بكل هدف، ثم حساب متوسط الوزن لجميع المتوسطات باستخدام اختبار T لعينة واحدة. One Sample T-Test

- معايير تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية: من خلال نتائج الفصل الأول الإطار النظري للدراسة، والدراسة الميدانية في الفصل الثاني؛ توصل الباحث إلى بعض المحددات التي يمكن أن تشكل معايير أساسية، يمكن للباحث معها تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية، ويمكن الوقوف عليها من خلال الآتي:  
مفهوم المنهج الذي تم الوقوف عليه في الإطار النظري للدراسة، وهو: الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصورات، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين.

رعاية أهداف الصحافة الإسلامية التي تلخص في الأمور الآتية:  
تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.  
محاربة البدع والخرافات والفرق الضالة.  
التصدي لأعداء الإسلام.  
تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.  
الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.

تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.  
ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة  
واحدة(١).

غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء(٢).

٣. رعاية وظائف الصحافة التي تلخص في الأمور الآتية:

ثقافية.

دفاعية.

هجومية.

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م )

ص٢٦.

(٢) انظر في جميع الأهداف: ا لصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب

أيوب، رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث، ١٣٢-١٣٣.

## المبحث الأول

### نتائج الدراسة الميدانية لأهداف مجلة الدعوة السعودية

وقف الباحث في الفصل الأول على الأطر العامة لهذه الدراسة، وسيتم في هذا الفصل تقييم مدى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لأهدافها في إطار المعيار الذي أشار إليه الباحث سابقاً، ويمكن بيان ذلك من خلال المطالب الآتية:

#### المطلب الأول

##### العناية بالقضايا الدعوية

يبين الجدول رقم (١) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الأول: العناية بالقضايا الدعوية يساوي (٣,٧٩) وهي أعلى من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٨٤) و قيمة  $\text{sig} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الدعوية.

جدول رقم (١) اختبار T لعينة واحدة (One Sample T- Test)

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بموضوعات الدعوة.	٤,٣١	٠,٦٢٢	٠,٠٠
٢	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالدعوى.	٣,٩٤	٠,٧١٢	٠,٠٠
٣	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالداعي.	٣,٨٥	٠,٧٢٤	٠,٠٠
٤	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأساليب الدعوية.	٣,٨٧	٠,٧٥٢	٠,٠٠
٥	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالأنشطة والبرامج الدعوية.	٤	٠,٧٦٩	٠,٠٠
٦	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالمبشرين الدعوية.	٣,٨٦	٠,٧٣٣	٠,٠٠
٧	توفر مجلة الدعوة للدعوة حاجته الدعوية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٧٨	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٨	تتم مجلة الدعوة بالقضايا الدعوية المتعلقة بالوسائل الدعوية.	٣,٧٨	٠,٧٣٥	٠,٠٠
٩	تكتسب مجلة الدعوة قراء جددًا كل عام بسبب أسلوبها الممتع في معالجة القضايا الدعوية.	٣,٢٨	١,٠٧	٠,٠٠
١٠	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين قراء المجلة.	٣,٣٤	١,٠٧٢	٠,٠٠
١١	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلة من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤	١,١٠٨	٠,٠٠
١٢	مجلة الدعوة السعودية مفيدة دعويًا.	٣,٩٩	٠,٨٨٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٧٩	٠,٨٤	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الدعوية من قبل مجلة الدعوة السعودية ليس مستغرباً منها؛ حيث جعلت جلَّ عنايتها في معالجة ما يطرح من قضايا الساعة، وهي المهمة المنوطة بالدعاة سواء بجهودهم الذاتية مع المدعوين أو بجهدهم المنظم مع المؤسسات الدعوية وعلى رأسها مجلة الدعوة، حيث تسهم في معالجة قضايا المجتمع المسلم وغير المسلم في إطار المسلمات والقيم النابعة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- ومن خلال القيم الرفيعة النابعة من تلك المصدرين الرئيسيين والمصالح المعترية.

وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣،٧٩) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث اثني عشر سؤالاً فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة للهدف الأول: (العناية بالقضايا الدعوية) وهو من أهداف المجلة المعترية، وهذا انجاز كبير يجمد للمجلة.

## المطلب الثاني

### العناية بالبحوث الفقهية

يبين الجدول رقم (٢) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثاني: العناية بالبحوث الفقهية يساوي (٣,٦٣) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٩٢) و قيمة  $\text{sig} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالبحوث الفقهية.

#### جدول رقم (٢) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	مجلة الدعوة مفيدة في القضايا الفقهية.	٣,٧٦	٠,٨٥٦	٠,٠٠
٢	تناول مجلة الدعوة قضايا فقهية معاصرة	٣,٨٦	٠,٧٩٤	٠,٠٠
٣	القراءة في مجلة الدعوة مهمة.	٣,٨٧	٠,٩٤٦	٠,٠٠
٤	تؤثر مجلة الدعوة في القراءة عند تناول القضايا الفقهية.	٣,٦٤	٠,٨٣٩	٠,٠٠
٥	تطرح مجلة الدعوة بحوث فقهية مفيدة ومعاصرة.	٣,٧٢	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	تؤثر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تأثيراً سلبياً على قراءة المجالات الفقهية.	٤,٠٦	١,٠٣٦	٠,٠٠
٧	تكتسب مجلة الدعوة قراءً جددًا كل عام بسبب أسلوبها المتع في معالجة القضايا الفقهية.	٣,٢٧	٠,٩٦٣	٠,٠٠
٨	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلل من ذبوعها بين عامة القراء.	٣,٠٧	٠,٩٣٥	٠,٠٠
٩	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلي حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢	٠,٩٩٣	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٣	٠,٩٢	٠,٠٠

إن العناية بالبحوث الفقهية وهو أحد أهداف مجلة الدعوة السعودية، يدل دلالة واضحة على العناية بكل ما يخدم المسلم في حياته؛ حيث لم تغفل المجلة عن البحوث الفقهية وإخراجها للمجتمع في قالب صحفي مغري يجذب القراء؛ حيث

يجد القارئ ما يشبع فهمه الشرعي في تلك الوسيلة المهمة التي ستحقق هذه الغاية النبيلة، والتي تعتبر من أكثر الوسائل تأثيراً إذا أحسن استخدامها واشتملت على معالجة ناجعة لتلك الأدواء التي اجتاحت مجتمعاتنا البشرية، واستمدت علاجها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم- وهذا الدواء النافع - بإذن الله تعالى - يتطلب استخدام هذه المجلة واجتماع المخلصين من الدعاة الفاهمين للنصوص الوحيين وفق ما أراده الله تعالى منها لإصلاح المدعوين في معاشهم ومعادهم، وقد بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٦٣، ٣) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف تحت الهدف الثاني من أهداف المجلة المعتمدة، وهو العناية بالبحوث الفقهية وهذا أنجاز مبارك يحمده للمجلة.

## المطلب الثالث

### العناية بالفتاوى الشرعية

يبين الجدول رقم (٣) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثالث: العناية بالفتاوى الشرعية يساوي (٣,٥٥) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٩٤) وقيمة  $\text{sig.} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض البحث وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالفتاوى الشرعية.

جدول رقم (٣) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تتم مجلة الدعوة بالطرح الجيد للفتاوى الشرعية.	٤,٠٦	٠,٧٣٢	٠,٠٠
٢	تتم مجلة الدعوة بالتنوع في الفتاوى الشرعية في كافة القضايا الدينية.	٣,٩١	٠,٨٢٤	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في مجال الفتاوى الشرعية.	٣,٩٤	٠,٨٣٦	٠,٠٠
٤	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر.	٣,٠٧	١	٠,٠٠
٥	أواظب على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
٦	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلي حاجته في مسائل الفتوى بما توفره من مادة علمية ثرية وعلماء موثوق بهم.	٣,٤٩	١,٠٦٦	٠,٠٠
٧	تميز مجلة الدعوة بأسلوبها المتمتع في معالجة مسائل الفتوى الشرعية.	٣,٥٦	٠,٩٣٩	٠,٠٠
٨	أثرت الفضائيات الإسلامية على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٣	٠,٩٥١	٠,٠٠
٩	أثر الانترنت على القراء من قراءة مجلة الدعوة لضعف طرحها للفتاوى الشرعية.	٣,٥٤	١,٠١٩	٠,٠٠
١٠	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قتل من ذبوعها بين عامة القراء.	٣,١	١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٥	٠,٩٤	٠,٠٠

العناية بالفتاوى الشرعية واجب تمليه أمانة العلماء والمؤسسات الدينية، وقد وفق الله جل وعلا علماء هذه الأمة وكتابها المتخصصين، حيث سخرهم الله تعالى لخدمة عباده، ليبينوا لهم ما هم في حاجة إليه من الفتوى وشرح أحكام الدين، وبيان معانيه.

وعلى العلماء بالتحديد مسؤولية كبيرة أمام الله في تبصير الناس وإرشادهم وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، من خلال الوسائل الدعوية المتاحة، وقد حرصت مجلة الدعوة السعودية على إعطاء هذا الجزء المهم أولوية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣،٥٥) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالفتاوى الشرعية وهذا من وظائف المجلة.



## المطلب الرابع

### العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة

يبين الجدول رقم (٤) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الرابع: العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة يساوي (٣,٥١) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) ، وبانحراف معياري قدره (١,١٠) و قيمة  $\text{Sig.} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.

### جدول رقم (٤) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تناقش مجلة الدعوة المذاهب والأفكار الهدامة بفكر متطور ومقنع.	٣,٦٨	١,٠١٢	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة المبادئ المخالفة بفكر متطور ومقنع.	٣,٥٧	٠,٩٩٣	٠,٠٠
٣	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المذاهب الهدامة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٣	٠,٩٤٧	٠,٠٠
٤	تعمل مجلة الدعوة على إظهار المبادئ المخالفة على حقيقتها الزائفة.	٣,٦٧	٠,٩٠٦	٠,٠٠
٥	تحارب مجلة الدعوة المذاهب الهدامة والمبادئ المخالفة بموضوعية.	٣,٧١	٠,٩١٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة قلة من ذبوعها بين عامة القراء.	٣	١,٠٦٧	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٦١	٠,٩٤٥	٠,٠٠
٨	لا أستغني عن قراءة مجلة الدعوة فهي تلي حاجتي في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة.	٣,٣١	٠,٩٩١	٠,٠٠
٩	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٢٨	١,٠٢٩	٠,٠٠
١٠	سحب الانترنت القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام.	٣,٦٢	٢,٢٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥١	١,١٠	٠,٠٠

العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من القضايا المهمة التي تقع على عاتق أهل العلم، وهم أهل الذكر، كما قال تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١) ويقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (٢). فلابد من مقاومة الأفكار الهدامة والمخالفة بالأساليب والوسائل المباحة، فالمقاومة الأولى والمهمة تكون بتحسين المدعويين بالعقيدة الصحيحة، وأخذ العلم الصحيح عن أهله، ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣،٥١) من أصل (٥) درجات؛ حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعياً لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة وهذا من وظائف المجلة.

(١) سورة النحل، الآية: (٤٣).

(٢) سورة النساء، الآية: (٨٣).

## المطلب الخامس

### الإشادة بالتاريخ الإسلامي

يبين الجدول رقم (٥) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الخامس الإشادة بالتاريخ الإسلامي يساوي (٣,٦٠) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٨٣) و قيمة  $\text{Sig.} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول البحث و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق الإشادة بالتاريخ الإسلامي.

### جدول رقم (٥) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تتم مجلة الدعوة بالإشادة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٧٣	٠,٨٢٥	٠,٠٠
٢	تناول مجلة الدعوة العديد من الجوانب المشرقة من التاريخ الإسلامي.	٣,٧٧	٠,٨٢٣	٠,٠٠
٣	تتم مجلة الدعوة برجال التاريخ الإسلامي البارزين.	٣,٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٤	تتم مجلة الدعوة باستخلاص العبر والعظات من كفاح وطرق معايشة رجال التاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٧٩٦	٠,٠٠
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي قلل من ذبوعها بين عامة القراء.	٣,١١	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٦	قامت مجلة الدعوة بطرح العديد من الموضوعات المرتبطة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٦٥	٠,٨٠٢	٠,٠٠
٧	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا المتعلقة بالتاريخ الإسلامي.	٣,٥٩	٠,٨٠٤	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٦٠	٠,٨٣	٠,٠٠

الإشادة بالتاريخ الإسلامي من القضايا المهمة التي تقع على عاتق المؤسسات التعليمية والدعوية؛ حيث إن التاريخ الإسلامي ذا حركة دائمة، وأفكار ومعتقدات الناس هي التي تمد التاريخ بالحركة والاندفاع، فكلما علم بها واحد يتفاعل معها بقية المجتمعات، حتى إذا أصبحت رأياً عاماً لدى الناس عامة انجرفت بسرعة عالية لتصنع تاريخاً له صدهاء، فلا بد من أفكار جديدة تشيد بالتاريخ الإسلامي، وقد أثبتت الدراسات أن رجال الأمة المخلصين قادرين على الإشادة بتاريخها وتحريك

هم رجال الدين والثقافة نحوه.

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم والسنة المطهرة هما عماد تاريخ الأمة وحضارتها، ولم يبق بناؤها إلا بعد توفيق الله أولاً ثم الاعتماد على المصدرين الأساسيين اللذين ظلا المصدر الشامل لهذا التاريخ، والقاعدة التي ارتكز عليها. ولهذا اعتنت مجلة الدعوة السعودية بتحقيق أهدافها وخاصة في الإشادة بالتاريخ الإسلامي، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣٠٠،٣) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث سبعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو الإشادة بالتاريخ الإسلامي، وهذا من وظائف المجلة. التي تقوم على خدمة الحق والواجب والفضيلة بتزيين ذلك للناشئة وشدهم إليه وتشويقهم إلى قبوله، والعمل به، بالإضافة إلى تثبيت الكبار عليه.

## المطلب السادس

### العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

يبين الجدول رقم (٦) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السادس: العناية بالقضايا الأدبية واللغوية يساوي (٣,٣٣) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٩٣) و قيمة  $\text{sig.} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.

### جدول رقم (٦) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.	٣,٠٧	١,٠٤٥	٠,٠٠
٢	تناقش مجلة الدعوة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي .	٣,٣٣	٠,٩١١	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة لها حضور مميز لدى القارئ بسبب اهتمامها وطرحها العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية .	٣,٢٩	١,٠٣	٠,٠٠
٤	تناقش مجلة الدعوة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر .	٣,٣٨	٠,٩٧٤	٠,٠٠
٥	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الأدبية من منظور إسلامي.	٣,٥٦	٠,٨٥٩	٠,٠٠
٦	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا اللغوية.	٣,٣١	٠,٨٨٥	٠,٠٠
٧	لا يستغني المجتمع عن مجلة الدعوة فهي تلي حاجته في تناول لقضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٢٥	٠,٩٢٩	٠,٠٠
٨	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها .	٣,٣٦	٠,٨٥٥	٠,٠٠
٩	ساهمت مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها .	٣,٣٨	٠,٩٠٧	٠,٠٠
١٠	تعالج مجلة الدعوة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم .	٣,٣٧	٠,٩١٧	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٣٣	٠,٩٣	٠,٠٠

إن العناية بالقضايا الأدبية واللغوية تعتبر من الأمور المهمة، وتأتي أهميتها بعد الاهتمام بالقضايا الدعوية، وقضايا التشريع، ومجلة الدعوة السعودية مجلة قوية

ووسيلة مهمة في إيصال دعوة الحق للخلق، ويقع عليها مسؤولية حث المتخصصين بالناية بالقضايا الأدبية واللغوية، كونها لسان الأمة العربية والإسلامية، ولها الأثر العميق في تكوين صف الأمة الإسلامية والعربية على عقيدتها وشريعتها، وارتباطها الوثيق بها. ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣٣،٣) من أصل (٥) درجات؛ حيث أعد الباحث عشرة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو النناية بالقضايا الأدبية واللغوية. ولقد أثبت الواقع التاريخي مدى الترابط والتلازم بين الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية وأدبها وانتشار كل منهما وازدهاره، وكل منهما لا يستغني عن الآخر لما يوجد فيهما من القوة والاستعداد للانتصار على من أراد محاربتهم، فكتاب الله تعالى أكد هدف الاهتمام بقضايا الأدب واللغة العربية، والاعتزاز بهما، فقد بين تعالى ذلك في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (١).

(١) سورة يوسف، الآية: (٢).

## المطلب السابع

### العناية بالقضايا الاجتماعية

يبين الجدول رقم (٧) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف السابع: العناية بالقضايا الاجتماعية يساوي (٣,٥٠) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٨٩) و قيمة  $\text{sig.} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل و هو أن مجلة الدعوة السعودية تحققت هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.

جدول رقم (٧) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	ساهمت مجلة الدعوة في إيجاد حلول ناجعة لبعض القضايا الاجتماعية	٣,٧٣	٠,٨١٧	٠,٠٠
٢	مجلة الدعوة تناقش القضايا الاجتماعية المتنوعة بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٦٧	٠,٨٢٦	٠,٠٠
٣	مجلة الدعوة مفيدة في تناول القضايا الاجتماعية.	٣,٦٨	٠,٨٦٥	٠,٠٠
٤	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الأسرة.	٣,٦٨	٠,٧٩٥	٠,٠٠
٥	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الشباب	٣,٥٨	٠,٨٧٩	٠,٠٠
٦	تهتم مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤	٠,٨٩٣	٠,٠٠
٧	تهتم مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩	١,٠٠٢	٠,٠٠
٨	تعالج مجلة الدعوة القضايا الاجتماعية بأساليب علمية ومنهجية رصينة.	٣,٥٣	٠,٩٠٤	٠,٠٠
٩	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلل من ذبوعها بين عامة القراء.	٣,٢٢	٠,٩٩١	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٥٠	٠,٨٩	٠,٠٠

والعناية بالقضايا الاجتماعية مطلب مشترك بين فئات المجتمع، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية. لتسهم بدورها في معالجة ما تجده من القضايا الاجتماعية، حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣,٥٠) من أصل (٥) درجات، حيث أعد الباحث تسعة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا الاجتماعية.

## المطلب الثامن

### العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية

يبين الجدول رقم (٨) أن متوسط الأسئلة التي تقيس تحقيق الهدف الثامن: العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية يساوي (٣,٢٦) وهي أكبر من المعدل العادي (٣) وبانحراف معياري قدره (٠,٩١) وقيمة  $\text{sig} = ٠,٠٠$  وهذا يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل وهو أن مجلة الدعوة السعودية تحقق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.

### جدول رقم (٨) One Sample T- Test

م	الأسئلة التي تقيس تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة المعنوية
١	تتم مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣	٠,٩١٢	٠,٠٠
٢	تتم مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦	٠,٩١٥	٠,٠٠
٣	تتم مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١	٠,٩٢	٠,٠٠
٤	تتم مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣	٠,٨٧	٠,٠٠
٥	تتم مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦	٠,٨٧٣	٠,٠٠
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات العلمية والأدبية والرياضية قلل من ذيووعها بين عامة القراء.	٣,٢٧	٠,٩٧٢	٠,٠٠
	المتوسط	٣,٢٦	٠,٩١	٠,٠٠

العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية نوع من الأنشطة التي تبعث على النشاط الذهني وتحبي الحماس لدى قراء المجلة، ولهذا اهتمت مجلة الدعوة بتلك القضية حيث بلغت النسبة المتوسطة لإجابات القراء (٣,٢٦) من أصل (٥) درجات؛ حيث أعد الباحث ستة أسئلة فرعية لقياس مدى تحقيق المجلة لهذا الهدف، وهو العناية بالقضايا العلمية والأدبية، وهو جهد إضافي يحسب للمجلة.



## المبحث الثاني

### تقويم أهداف مجلة الدعوة السعودية

من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى وجود بعض أوجه القوة وكذلك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة حيث يتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بأوجه الضعف وقد ركز الباحث على أوجه الضعف بغرض توجيه المسؤولين عن إدارة مجلة الدعوة لتحسن وتطوير أدائها، وتمثل هذه المجالات بالنسبة للهدف الأول وهو العناية بالقضايا الدعوية في أن هناك جوانب ضعف يوضحها الجدول رقم (٩).

جدول رقم (٩): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددًا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية .	٣,٢٨
٢	ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين قراء المجلة	٣,٣٤
٣	عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلة من إقبال القراء عليها.	٣,٤٤

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددًا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الدعوية ذلك أن اختيار الأسلوب عنصر مهم في جذب القراء.

وكذلك ضعف الجانب الدعوي في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين قراء المجلة حيث طغت الموضوعات الأخرى على موضوعات الدعوة؛ ولذلك تدنى اهتمام المجلة بالجانب الدعوي، كذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لمجلة الدعوة لروح العصر قلة من إقبال القراء عليها، فالقارئ يتجه مع التوجه العام، والتوجه العام مع السائد في العصر، فعدم مواكبة العصر قد يؤخر أي عملية سواء كانت صحفية أو غيرها بما لا يخالف تعاليم الدين الحنيف.

ويخلص الباحث في الدراسة التقييمية للهدف الثاني (العناية بالبحوث الفقهية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٠).

جدول رقم (١٠): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية	الوسط الحسابي
١	ضعف اكتساب مجلة الدعوة قراءً جددًا كل عام بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية .	٣,٢٧
٢	ضعف الجانب الفقهي في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين عامة القراء.	٣,٠٧
٣	ضعف مجلة الدعوة في تلبية حاجته في القضايا الفقهية بما توفره من مادة علمية ثرية.	٣,٤٢

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالبحوث الفقهية فيضعف العناية في الجانب الفقهي؛ بمعنى أن معالجتها للجانب الفقهي محدودة في موضوعات يسيرة لأساليب المجلة من خلال رئيس تحريرها ومحرريها.

بمعنى أن أساليب المعالجة لم تكن وفق ما يتمناه القارئ، كذلك يتضح أن نسبة من القراء يرون أن المجلة لم تحظ بقراء جدد بسبب أسلوبها في معالجة القضايا الفقهية، ويعتبر هذا الضعف مثير للانتباه، ولهذا فإن الأسلوب له كبير الأثر في شد انتباه المدعويين وبخاصة قراء المجلات العلمية والصحف، كذلك عدم تغطية الجوانب الفقهية التي تلامس حياة الناس؛ قلة من ذيوها بين عامة القراء، وهذا الضعف التي وصلت إليه نتائج التحليل يحتاج إعادة نظر في سياسة المجلة.

وفي الدراسة التقويمية للهدف الثالث (العناية بالفتاوى الشرعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوي تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١١).

جدول رقم (١١): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية	الوسط الحسابي
١	عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر .	٣,٠٧
٢	عدم المواظبة على قراءة مجلة الدعوة في الفتاوى الشرعية .	٣,٢٨
٣	ضعف جانب الفتوى في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين عامة القراء.	٣,١

وتتمثل جوانب الضعف في العناية بالفتاوى الشرعية من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في عدم مواكبة الفتاوى الشرعية لمجلة الدعوة لروح العصر؛ بمعنى أن المجلة طرقت هذا الموضوع المهم لدى القراء ولكن بطريقة تقليدية ولم تواكب المجلة عند استحضارها هذا الموضوع لروح العصر لا من حيث الأسلوب ولا اختيار الموضوعات ذات الاهتمام بشكل يشبع رغباتهم، وهذا قلة من قرائها، وكذلك مواظبتهم على قراءة المجلة بسبب عدم وجود الفتاوى الشرعية بشكل كاف.

وفي الدراسة التقييمية للهدف الرابع (العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٢).

جدول رقم (١٢): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية

الوسط الحسابي	م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة
٣	١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة.
٣,٣١	٢	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة.
٣,٢٨	٣	سحبت الفضائيات الإسلامية القراء من قراءة مجلة الدعوة لعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام .

وتتمثل جوانب الضعف في تحقيق هدف محاربة المذاهب الهدامة والمخالفة من خلال الأسئلة الفرعية المتمثلة في ضعف اهتمام مجلة الدعوة بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة ، وضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات في الرد على المذاهب الهدامة والمخالفة، وعدم الرد الجيد على المذاهب والأفكار الهدامة والمخالفة للإسلام ، بمعنى أن معالجتها لجانب مواجهة المذاهب الهدامة والمخالفة كان ضعيفاً وأن الجمهور يرغبون في أن تكون المواجهة أقوى من الواقع الفعلي للمجلة وأن المجلة لم تكن عند المأمول منها.

وفي الدراسة التقييمية للهدف الخامس (الإشادة بالتاريخ الإسلامي) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٣).

جدول رقم (١٣): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف الاشادة بالتاريخ الإسلامي.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي .	٣,١١

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا التاريخ الإسلامي، ومما لا شك فيه أن التاريخ الإسلامي يحتاج إلى طرح أفكار ورؤى جديدة من أجل مواجهة القضايا والتحديات المعاصرة، كما يرمي ذلك الهدف إلى تعزيز العلاقات والتبادل العلمي بين العلماء، والباحثين في مجال التاريخ الإسلامي، وهذه دعوة للباحثين في كل أنحاء العالم للمشاركة بالخبرات والأبحاث العلمية القيمة، ومشاركة المجلة في تحقيق أهدافها، ووصول النسبة إلى (٣,١١) من (٥) هي في الحقيقة نسبة معقولة والقارئ يرغب في المزيد من ذكر التاريخ والإشادة به، حيث بعض القراء يستهويه التاريخ ويجد فيه المتعة، وفي اعتقاد الباحث أن اهتمام المجلة بالقضايا الأساسية يشفع لها كثيرا في علو نسبتها على بقية الموضوعات.

وفي الدراسة التقييمية للهدف السادس (العناية بالقضايا الأدبية واللغوية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٤).

جدول رقم (١٤): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

الوسط الحسابي	م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية.
٣,٠٧	١	تخاطب مجلة الدعوة نخبة المثقفين المتدينين فقط ولا يشعر بها القارئ البسيط.
٣,٣٣	٢	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي .
٣,٢٩	٣	ضعف مجلة الدعوة في الحضور المميز لدى القارئ بسبب عدم اهتمامها وطرحها غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية.
٣,٣٨	٤	ضعف مجلة الدعوة في مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر .
٣,٣١	٥	مجلة الدعوة غير مفيدة الى حد ما في تناول القضايا اللغوية.
٣,٢٥	٦	ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية.
٣,٣٦	٧	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها .
٣,٣٨	٨	ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها .
٣,٣٧	٩	ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم .

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: اهتمام مجلة الدعوة بعامة القراء، بينما تخاطب المجلة نخبة المثقفين المتدينين فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٠٧) من الذين يرون ذلك، ذلك أن التّروّل بقدر كبير إلى الأساليب التي يفهما القارئ البسيط في ثقافته قد يفقد المجلة قوتها، والمجلة لم تهمل تلك الفئة بل أعطتها حقها، إذ إن قرائها يختلفون على مستويات علمية متفاوتة وأكثرهم ممن يحملون الشهادات العالية، وكذلك مناقشة القضايا الأدبية لكافة شرائح المجتمع السعودي فقط. حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٣٣) من الذين يرون ذلك، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في معالجة القضايا الأدبية واللغوية بأسلوب جيد ومفهوم، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٣٧) ممن يرون ذلك وقد يعزى ذلك لكثرة موضوعات الساعة التي ترى المجلة عدم فوائدها، والمجلة لمن يتابع إصدارها تنوع في الطرح بما يتوافق مع ميول ورغبات أكثر القراء، كذلك عدم اهتمامها وطرحها

غير العميق لقضايا الأمة الأدبية واللغوية، حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣،٢٩) وقضايا الأمة الأدبية اللغوية ليست يسيرة الحكم فلا بد من اتفاق الجامع اللغوية على كونها قضية تطرح لرأي العام وتحتاج علاج، وكذلك مناقشة القضايا اللغوية لكافة شرائح المجتمع السعودي بأسلوب مبسط وميسر، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣٨) وما قامت به المجلة يحقق الأهداف المرسومة لها، وذلك بتقديم رؤية علمية جادة توائم بين النظرة العلمية التراثية والمعاصرة لعلوم العربية وآدابها، والإفادة مما لدى أصحاب الاختصاص من تصورات ومقترحات تفيده في هذا المجال.

وكذلك مجلة الدعوة غير مفيدة إلى حد ما في تناول القضايا اللغوية، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣١) فتناول القضايا اللغوية يحتاج متخصص في اللغة إضافة إلى رغبته في الطرح الصحفي ومع هذا المجلة لم تغفله فثائياً، وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات اللغوية لدى قرائها، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣٦) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تنمية المهارات الأدبية لدى قرائها. حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٣٨) وكذلك ضعف مجلة الدعوة في تلبية الحاجات التي تناول القضايا الأدب الإسلامي واللغة بما توفره من مادة علمية ثرية، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٢٥) فإن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم وهي لغة العلم وهذان أمران لا ينفصلان في مسيرة أية أمة ترغب التقدم والرقى، فالعلم عرفته العربية عبر الحضارة العظيمة التي صدرتها إلى العالم في عصورها الزاهرة، وأما اللغة العربية فغذت به أرواح الشعراء والأدباء منذ عصر قبل الإسلام إلى الآن.

وبعد هذا، فإن العربية هي لغة الحياة لا غناء لواحد منا مهما تعددت لغاته عن التفكير بلغته الأم والتعبير بها، والمجلة لم تألوا جهداً في تحقيق هذا الهدف وذلك من خلال ما طرحته وما سوف تطرحه.

ومما لاشك فيه أن الاهتمام باللغة العربية وأدبها، من الضروريات وخدمتها من



العبادات التي أرجو أن تكون من القُرب، ومهما وجد من قصور فإن هذا لا يعد عيباً ولا ينقص من جهدها المبذول مقابل ما يبذل بشكل كبير وفاعل في القضايا الأساسية كالقضايا العقدية والفقهية وغيرها.

وفي الدراسة التقويمية للهدف السابع: (العناية بالقضايا الاجتماعية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى أنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوى تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٥).

جدول رقم (١٥): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة.	٣,٤
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة	٢,٩٩
٣	ضعف الجانب الاجتماعي في مجلة الدعوة قلة من ذيوها بين عامة القراء.	٣,٢٢

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بقضايا الطفل والمرأة حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٤) وفي اعتقادي أن قضايا الطفل والمرأة رغم أهميتها إلا إنها تدخل ضمننا في الموضوعات العامة، فما يخص العموم يدخل الخاصة فيه، إلا الموضوعات ذات الخصوصية والموجهة للطفل والمرأة بالتحديد فإن النسبة التي وصلت إليها من الاهتمام جيدة.

كذلك اهتمام المجلة بقضايا ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث بلغ الوسط الحسابي (٢,٩٩) تؤكد هذه النسبة وجود اهتمام محدود بموضوع ذوي الاحتياجات الخاصة وأن هذا الاهتمام منوط بالمناسبات فقط. كما تؤكد هذه النتيجة افتقار محرري المجلة للمعرفة الواضحة بمصطلحات ومصطلحات الإعاقة الصحيحة مما قد يؤثر سلباً في اتجاهات القراء نحو الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، خاصة في ظلّ

وجود فجوة بين الإعلاميين والدعاة المتخصصين في مجال التربية الخاصة من حيث تبادل الآراء.

والاهتمام بقضاياهم ليس ترفاً إعلامياً، ويجب ألا يُنظر إليهم على أنهم شريحة صغيرة من المجتمع، بل هو واجب ديني ووطني وإنساني تمليه مصالح الوطن وحاجات ذوي الاحتياجات الخاصة وحقوقهم، وتأتي رياضة ذوي الاحتياجات الخاصة على رأس الأولويات التي ينبغي الاهتمام بها، عن طريق تغطية فعاليتهم عامة، وتخصيص برامج حوارية حولها، لتوضيح دورها في تأهيلهم وتحسين أوضاعهم النفسية، فضلاً عن إقامة الندوات والمحاضرات والأنشطة التثقيفية والإرشادية، لتوعية الناس بأهمية دورهم. كذلك اهتمام المجلة بقضايا الجانب الاجتماعي، حيث بلغ الوسط الحسابي (٣،٢٢) ومما لاشك فيه أن الجوانب الاجتماعية مهمة. والاهتمام الذي حصل رغم عدم كثرته جيد ويلائم أهمية الجوانب الاجتماعية وتنوعها وأثرها على القراء المهتمين بهذا الجانب.

وفي الدراسة التقييمية للهدف الثامن: (العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية) من خلال تحليل الدراسة الميدانية يخلص الباحث إلى إنه رغم تحقيق مجلة الدعوة السعودية لهذا الهدف إلا أن هناك بعض أوجه الضعف في بعض مجالات أداء المجلة في هذا النشاط الدعوي تتطلب من المسؤولين عن المجلة زيادة الاهتمام بها، وتمثل هذه المجالات كما هي موضحة في الجدول رقم (١٦).

جدول رقم (١٦): مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية

م	مجالات الضعف في مدى تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية.	الوسط الحسابي
١	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية.	٣,٢٣
٢	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة العلمية.	٣,٣٦
٣	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الأدبية.	٣,١
٤	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الأدبية.	٣,٢٣
٥	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالأنشطة الاجتماعية.	٣,٣٦
٦	ضعف اهتمام مجلة الدعوة بإجراء المسابقات الرياضية.	٣,٢٧

وقد تم حصر أهم المجالات التي رأى الجمهور أنها ضعيفة، وهي: ضعف اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية، حيث بلغ الوسط الحسابي: (٢٣,٣) وكذلك إجراء المسابقات الأدبية، حيث بلغ الوسط الحسابي (١,٣) وكذلك المسابقات الرياضية، حيث بلغ الوسط الحساب (٣,٢٧) وإذا ما قورن بما تم تحقيقه في الجوانب الثلاثة يأتي اهتمام مجلة الدعوة بالمسابقات العلمية والأدبية والرياضية، بعد إعطاء القضايا الدعوية أولوية قصوى، حيث إن الهدف الأسمى لكل عمل دعوي هو الاهتمام بقضايا الدعوة، وخاصة الجانب الاعتقادي منه.

وفي اعتقادي أن المسابقات العلمية والأدبية والرياضية، رغم أهميتها إلا أنها لم تكن مهملة بشكل نهائي، ولربما لظروف الأمة وما تمر بها من عواصف، وكثرة الفتن التي تموج موج السحاب خلال هذه الفترة جعلت المجلة جل تركيزها على معالجة قضايا العقيدة وقضايا التشريع، ومشاركة الناس همومهم وتسكين أنفسهم جراء ما يدور في الآفاق من قضايا تحير العقول، والأنشطة العلمية هي تعمل جنباً إلى جنب مع المسابقات العلمية فهي لم تهمل حيث بلغ الوسط الحسابي (٣٦,٣) والأنشطة الأدبية حيث بلغ الوسط الحسابي (٣,٢٣) والأنشطة الاجتماعية، حيث بلغ المتوسط الحسابي: (٣,٣٦) وهو معدل لا بأس به، مع ما يشغل هم المجلة من الاهتمام بالقضايا الأخرى. ويرى الباحث أن ضعف الاهتمام بتلك القضايا أمر

منطقي لكون هذه المجلة ذات توجه إسلامي بحت، وهذا التوجه يتوافق مع سياسة المجلة، ومع أهداف الصحافة الدينية، كما جاء في الدراسة النظرية في المطلب الثاني من المبحث الثاني من الفصل الأول، ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة(١) وعلى ذلك فإن الجهد الذي تقوم به المجلة رغم ما لديها من مسؤوليات أمر في غاية الأهمية، حيث إن تحقيق هذا الهدف يؤدي دوراً فاعلاً في مشاركة المجتمع وإيجاد حلول لما يعتره من ضغوط وهموم.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥ م) ص ٢٦.

## المبحث الثالث

### تقويم دلالات نتائج الدراسة الميدانية

#### تقويم نتائج الدراسة النظرية:

أوضحت الدراسة النظرية أن المنهج هو الكيفية التي ينظم بها الباحث أفكاره عن حقيقة ما، تعكس قيمه وتصورات، ويدلل عليها، ليقنع بها الآخرين. وأن منهج الدعوة: يطلق على: الخطط العملية، والأصول والقواعد النظرية، الشرعية والعقلية، والمسالك الخلقية، المستعملة في نشر الدعوة الإسلامية، وأن المنهج يتكون من الخطط والنظم والأهداف والغايات، وبناء على ذلك فمنهاج الدعوة خططها وطرائقها، تنطوي تحت مفهوم المناهج أساليب الدعوة ووسائلها وأهدافها.

كما اتضح من خلال نتائج القراء أن مفهوم مجلة الدعوة السعودية: هي التي تقدم مادة صحفية للقراء عموماً تفيدهم في أنفسهم وفي علاقتهم بالآخرين، وتبين لهم حقوقهم وواجباتهم، وتعالج قضاياهم ومشكلاتهم وتحذرهم مما يضرهم مع كشف وجوه الباطل وتقيحجه، وتهتم بشئونهم واهتماماتهم المختلفة سواء الاهتمامات الفكرية والثقافية والروحية والتربوية، وتعني بتعليمهم المهارات التي تفيدهم وتملأ أوقات فراغهم، مستخدمة في كل ذلك الوسائل والأساليب العلمية والعملية التي لا تتنافى مع مصالح المجتمع وقيمه.

كما استخلصت الدراسة أهم الأهداف التي يمكن أن تضاف إلى أهدافها المرسومة بأن تهدف هذه المجلة إلى تكوين وإعداد القارئ الصالح الواعي المستقل بشخصيته باعتداده وتمسكه بقيم مجتمعه ومثله، وذلك بتزويده بكل ما يساعده على الاعتدال بما عنده والمحافظة على حقوقه، وإرشاده لأفضل الطرق التي تعينه على اختيار ما يلزمه من المستجدات العلمية والفنية للقيام بواجباته ومهامه على أفضل وجه، وخاصة فيما يتعلق برعايته لدينه الخفيف وقيمه ومجتمعه ومثله في ذاته

وفي أسرتة، والهدف من ذلك كله بناء المجتمع الصالح الإيجابي والمستقل والبعيد عن التبعية.

كما انتهت الدراسة النظرية إلى أهم أهداف الصحافة الدينية التي تتمثل في النقاط الآتية:

تبصير الناس بأصول وأحكام الدين الإسلامي بأسلوب سهل مبسط.  
محرابة البدع والخرافات والفرق الضالة.  
التصدي لأعداء الإسلام.

تدعيم القيم الدينية في المجتمعات الإسلامية.

الرد على التساؤلات والاستفسارات التي لا يجد لها القراء حلولاً.  
تفسير الظواهر الطبيعية والعلمية تفسيراً دينياً صحيحاً.

ربط مشاعر القراء وخلق وجدان عام بالإحساس بالانتماء إلى ثقافة واحدة.  
غرس العقيدة الصحيحة في أذهان القراء.

وأكدت الدراسة النظرية أن وظائف الصحافة كثيرة، وبما أن المجلة هي إحدى أهم وسائل الاتصال المطبوع، والمجلة المتخصصة فرع منها، ومجلة الدعوة السعودية جزء من المتخصصة، فإن وظائفها تنبثق أغلبها من مهام الاتصال، وذلك على النحو الآتي:

### وظيفة الإخبار والإعلام:

وظيفة الإخبار والإعلام مرتبطة بالإسلام في كافة شؤونونه لارتباطه التام بالإسلام والتصاقه به في كل نواحيه، ذلك أن الإعلام يعني بناء الإنسان وبناء الحياة في كل جوانبها، وقد جاء الإسلام مخبراً عن شرع الله تعالى فيه الهدى والموعظة، قال تعالى: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} (١).

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٣٨).

قال شيخ الإسلام -رضى الله عنه- والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين (١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)،

ويعتبر البيان إخبار وإعلام للناس، وهذه الوظيفة من أهم وظائف الدعوة بل ومن أول أهدافها، ولأن مجلة الدعوة السعودية عليها واجبات ووظائف إعلامية فإن من أول مهامها توفير المعلومات للقارئ عن الظروف المحيطة بها، وبما أن المجلة موجهة للمدعو على اختلاف ثقافته وجنسه وجنسيته فعليه أن يرفع من مستوى اهتماماته فتحيطه علماً بأحر أخبار العالم الإسلامي ومآسيه (٣).

#### وظيفة الشرح والتفسير:

أخذ الله جل وعلا على أهل العلم الميثاق بأن يبينوا العلم ولا يكتسوه، وذم كاتبه ليقوموا بتحقيق ذلك الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِه ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٤).

قال أبو السعود -رضى الله عنه-: "وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين، وإظهار ما منحوه من العلم للناس أجمعين، وحرمة كتمانهم لغرض من الأغراض الفاسدة، أو لطمع في عرض من الأعراض الفانية الكاسدة مالا يخفى" (٥)

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٦٤/٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: (٤).

(٣) أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة، (مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، د، ت) ص ٥٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: (١٨٧).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المسمى تفسير أبي السعود، لأبي السعود محمد بن

محمد العمادي، ١٢٥/٢.

وتعني هذه الوظيفة شرح المعلومات الموجهة إلى القارئ وتفصيلها كي يسهل عليه استيعابها وتمثلها والتمسك بها وعدم التخلي عنها، حتى تصبح وكأنها جزء من شخصيته، ويكون ذلك في "تحويل المصطلحات العلمية والفنية إلى مصطلحات الخبرة العادية، مع وجود براعة صحفية في المزج بين المعالجة الصحفية والمعالجة الأكاديمية لكي يفهم العمل الأصلي بعبارة سهلة"<sup>(١)</sup> باستخدام أشكال تحريرية متنوعة، وأساليب متنوعة، وحرفية عالية في الإخراج. فالشرح والتفسير يوسع الإخبار والإعلام، كأن تقوم المجلة بتفسير ظاهرة شائعة ما في المجتمع.

وتبرز أهمية هذه الوظيفة "بعد أن انتشرت خلال عصرنا هذا عقائد مذهبية ومبادئ سياسية واجتماعية متباينة صاحبها عدم اهتمام كثير من وسائل الإعلام بمهمة التفسير والشرح على أسس موضوعية علمية سليمة، فمهمة الصحافة هنا أن تفسر وأن توضح للقراء ما يجب أن تكون عليه حياته السياسية والأخلاقية واعتقاداته في شئونه الأخرى<sup>(٢)</sup> وهذا مما يتعين على وسائل الإعلام في الدول النامية أن تشرح وتحلل التيارات الفكرية والاجتماعية المعاصرة، وتبين مدى تعارضها أو انسجامها مع تقاليد وقيم مجتمعاتها بدون اللجوء إلى أسلوب التنفير الممل؛ بمعنى أن يكون العرض والتحليل موضوعين ومتوازيين وأن مرحلة النهوض ومسيرة ركب الحضارة قد يجبر معه مشاكل ومعتقدات غريبة يجب أن تتصدى لها وسائل الإعلام وتميز الغث من السمين فيها حتى لا ينساق شبابنا وراء التقليد الأعمى الذي قد يفسد من قيمه وتقاليد الطيبة، وقد أثبتت التجارب أن الرقابة والتشويش وغيرهما لا يمكن أن تحل المشكلة وإنما المعالجة الموضوعية والمناقشة الفعالة أجدى بكثير من

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م) ص ٦٤. بتصرف.

(٢) الصحافة لإجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦ م) ص ٩.



## الأساليب القديمة (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن توضح على وجه الخصوص أن الأخلاق هي أساس بقاء أمتنا الحضاري وغايتها يعني غيابنا عن العالم عقدياً وسلوكياً وحضارياً، فإن انحطاط الأخلاق هو أول الانحطاط ومنتهاه، ولذلك وجه أعداء الدين كل وسائلهم التدميرية إلى الإسلام والمسلمين عن طريق الأخلاق، واستغلوا كل وسائل كيدهم وأساليب مكرهم وباطلهم لأجل أن يجيبوا شباب الأمة المسلمة حياة الموضات وليخرجوا من قالب الأخلاق إلى قالب الرذيلة؛ لأنهم بذلك أمنوا عودة الإسلام من جديد بالقضاء على أخلاق المتمين له.

### وظيفة التوجيه والإرشاد:

التوجيه والإرشاد وظيفة للرسول -عليهم السلام- وهي وظيفة الدعوة إلى الله تعالى قال جل وعلا: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَسْرَجًا مِّنِيرًا ﴿١٦﴾ (٢) فأخبر سبحانه أنه بعث هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم- شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله، فعلم بذلك أن وظيفة الدعوة إلى الله هي تبليغ الناس الحق، وتوجيههم وإرشادهم إليه، وتحذيرهم مما يخالفه ويضاده، وانطلاقاً من رسالة الصحافة السامية المبنية على وظيفة الرسول عليهم السلام؛ فإن وظيفة التوجيه والإرشاد من أبرز وظائفها بوجه عام، إذ إنسه لا بد للصحافة بعد أن تفسر وتوضح وأن ترشد وتوجه حتى تكون مهمتها إيجابية (٣) وتلك هي الرسالة الاجتماعية للصحافة، فرسالة الصحافة توجيه الرأي

(١) انظر: الإعلام ودوره في الوفاء بحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، (أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨ هـ) ص ٩٦ - ٩٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: (٤٥ - ٤٦).

(٣) الصحافة، إجلال خليفة، مرجع سابق، ص ٧. بتصرف.

العام وإرشاده نحو الأفضل(١) وعليها أن تقف دوماً في جانب الحق والعدل والخير والفضيلة (٢).

وقد أوجبت المادة الأولى من ميثاق الشرف الإعلامي الذي أقره مجلس جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٨م على الإعلام أن يعمل على تأكيد القيم الدينية والأخلاقية الثابتة، والمثل العليا المتراكمة في التراث البشري، وأن ينشد الحقيقة المجردة في خدمة الحق والخير(٣) وذلك لأن الاتصال الجماهيري هو في أساسه تجسيد لثقافة الأمة وحضارتها، إذ لا يمكن أن يكتب له أي نجاح يذكر ما لم يكن انعكاساً صادقاً لهذه الثقافة أو الحضارة، ومن خلال ذلك تقوم وسائل الاتصال بتعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه، وتثبيت العلاقات القائمة بين شتى المؤسسات والجماهير فوسائل الاتصال لا تقدم إعلاماً فحسب، بل تقدم مواقف جادة، وتعكس من خلالها اتجاهات نحو الحياة، إنها تقدم للجماهير فلسفة حياة زاخرة بالقيم والمعايير من خلال الإعلام، أو من خلال الواقع والخيال، وعندها تتصافر العناصر الواقعية مع العناصر الخيالية، ويعمق كل منهما الآخر(٤) وذلك لأن جماهير القراء تستجيب عادة للمواد الإعلامية التي تتماشى مع اتجاهاتها ومعتقداتها وميولها وقيمها المثلى(٥) بوسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد، أو تدعم تلك القيم بالحجج والبراهين المرتبطة بمرجعية فكرية يثق بها القارئ، وتحصنه بتفنيده

(١) الصحافة الجامعية، أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١١/١٢/١٩٨٨م، محمود كامل الناقة، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.

(٢) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم امام، ص ٦٨.

(٣) مجلة الدراسات الإعلامية: العدد ٣٨، ١٩٨٧م، ص ٥٤.

(٤) الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم امام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٨٤) ص ٩٩-١٠٠. بتصرف.

(٥) الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير حسين، مرجع سابق، ص ٦٢. بتصرف.

حجج المعارضين والمهاجمين لتلك القيم، وتحذره بإثارة خوفه وقلقه من أن هناك خطراً محيطاً محققاً إن هو تنازل عن تلك القيم ولم يعد يتمسك بها، وهذا مما يجعل أساليب الدفاع سواء كان بالتأييد أو التفنيد أكثر فاعلية، بل وقد يدرب نفسه على تقوية الحجج المضادة الجيدة، أو يذهب إلى أبعد من ذلك على ابتكار بعض الحجج الإضافية (١).

وعلى مجلة الدعوة السعودية أن تعري الساعين لإزالة القيم والمثل وتحذر القراء من الاستجابة لهم، وتنتقد سلوك وتصرفات من استجاب لهم " لأن محاربة الفساد وتعريته وكشف أوكاره واجبات إعلامية لا ينبغي التهاون بها، وأن السكوت عليه تقصير في هذه الواجبات يرقى إلى مرتبة الجريمة" (٢) وذلك "لوجوب التصدي للواقع الفاسد إعلامياً باعتبار ذلك من المهام الأساسية للإعلام الراشد تحقيقاً وأداءً للوظيفة الاجتماعية (٣).

وبذلك تكون مجلة الدعوة السعودية من خلال وظيفة التوجيه والإرشاد عين ساهرة ومراقبة وناقدة ومحصنة ومحدرة لما يدور حول القارئ من أخطار ومؤامرات محيطة به.

### وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية:

إن الثقافة هي البناء العلوي للمجتمع الذي يتألف من الدين والفلسفة والفسن والأدب والتشريع والقيم العامة السائدة (٤).

(١) انظر: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان رشدي، مرجع سابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٤، وليرشام: أجهزة الإعلام والتنمية، ترجمة محمد فتحي (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠م) ص ٥٩.

(٢) وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد سادق الشنقيطي، ط ٣، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١٠هـ) ص ١٩٩ - ٤٥١.

(٣) المرجع السابق ص ١٩٩ - ٤٥١.

(٤) معجم المصطلحات الإعلامية: انجليزي/عربي، كرم شلبي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ) ص ١٤٩.

وأما التنشئة الاجتماعية فهي عملية اكتساب الإنسان للمعارف والنماذج والقيم والرموز السائدة في محيطه ويدخلها في بناء شخصيته، أو الطرق في السلوك والتفكير والشعور التي تخص الجماعات والمجتمع والحضارة حيث إن الشخص مدعو أن يعيش فيها وتبتدئ عملية الاكتساب هذه منذ الولادة وتستمر طوال الحياة ولا تعرف حداً لنهايتها إلا مع الموت (١).

فيجب أن تكون وظيفة التثقيف والتنشئة الاجتماعية وإيضاح الأساليب وتحليل مضامين العملية التربوية المنوطة بها أساساً، لاسيما أن هذه الوظيفة من أهم وظائف الصحافة إذ إنه يجب على الصحافة أن تقوم ببحث الأفكار والمعلومات والتعريف بتاريخ وفلسفة القيم التاريخية والإسلامية التي يقوم عليها مجتمعنا للمحافظة على ثقافته، وتساعد على تطبيع أفرادها وتنشئتهم على المبادئ القويمة (٢).

### وظيفة الترويح والترفيه والتسلية:

الإعلام الترويحي هو الذي يعطي تنفيساً عن الانفعال بإلهاء القارئ عن مشكلاته وهمومه الخاصة (٣).

والمضمون الترويحي هو الذي يهدف إلى التسرية أو التخفيف من التوتر والهجوم عن طريق إعطاء المتلقي برهة يشعر فيها بالراحة من مشكلاته

(١) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع العام: الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلي، غي روشيه،

(بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٨٣م) ص ١٦٥.

(٢) انظر: دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص ٨٢، ٨٥. "الإعلام ودوره في

الوفاء بمحاجات الشباب في مجتمع متغير محمد عز الدين بطروخة، " مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة،

١٩٧١م) ص ٣١٥.

## الشخصية (١).

ولقد أصبح الترفيه من الضروريات الحيوية التي تساعد على بناء شخصية وتقدم الإنسان المعاصر، ولقد أباحه الإسلام لما فيه من التخفيف على الفرد من مشاق الحياة، شريطة ألا يتعارض مع مبادئ الإسلام وقيمه وشرائعه، فقد ثبت في الصحيح عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم- فوعظنا فذكر التار قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة قال: فخرجت فقلت أبا بكر فذكرت ذلك له فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة فقال: مه فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال: يا حنظلة ساعة وساعة ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق" (٢).

فقد أثبتت الدراسات الاجتماعية والنفسية أن الإنسان بحاجة إلى الانتعاش والتسلية والترفيه من خلال برامج ترفيهية تجدد نشاطه وتبعث فيه المرح والاسترخاء وتبعد ذهنه عن ضغوط المجتمع الحديث ومشاكل الحياة اليومية والمنافسة في العمل والمشاكل العائلية (٣).

وبما أن مجلة الدعوة السعودية واحدة من وسائل الاتصال المتخصصة " فينبغي أن تتصف بالتوازن أو الاتزان فلا تسرف في الجدل إلى حد العبوس، ولا تتطرف في الترفيه إلى حد العبث، وإنما ينبغي أن تسد الحاجات الإنسانية بما فيها من جوانب

(١) التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، ( المنصورة، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ ) ص ١٨٥.

(٢) الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب " دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: التوبة، باب: فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمرآبة وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، حديث رقم: ٢٧٥٠ ص ١١٩١.

جادة وأخرى ضاحكة (١).

### وظيفة الإعلان:

تعد هذه الوظيفة من الوظائف الرئيسية للصحافة عامة، وينبغي أن تهتم بها مجلة الدعوة السعودية أكثر لأن للقارئ الدور الأكبر في اختيار ما يلزمه، والإعلان وسيلة غير شخصية لتقديم الأفكار والسلع أو الخدمات بواسطة جهة معلومة ومقابل أجر مدفوع (٢). وبناءً على ذلك يجب أن تختار مجلة الدعوة السعودية الإعلانات التي تفيد القراء أنفسهم وعلاقتهم مع غيرهم، وما يلزمهم ويحتاجون إليه في شؤونهم الخاصة والعامة.

### تقديم نتائج الدراسة الميدانية:

استهدفت دراسة قراء مجلة الدعوة السعودية التعرف على آرائهم حول مدى تحقيق المجلة لأهدافها، ومدى حرص جمهورها على قراءتها، والموضوعات التي يفضل قراءتها فيها، ومدى قبول القراء للأساليب التي تعالج بها القضايا المطروحة. وعلى ضوء ما انتهت إليه هذه الدراسة برز للباحث النتائج التالية:

تشير نتائج الدراسة الميدانية إلى تحقيق مجلة الدعوة السعودية لكافة أهدافها مع وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجتها من قبل القائمين على المجلة وتمثل في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتمثلة تحت كل هدف من أهداف المجلة والتي تتمثل متوسطاتها الحسائية في أقل من (٥،٣) وذلك على النحو الآتي:

حتى تحافظ مجلة الدعوة على قرائها وتكتسب قراء جديداً عليها معالجة نقاط الضعف المذكورة سابقاً، وأن تنوع في أساليبها الدعوية، وأن تبحث عن الأساليب

(١) دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، ٧٤.

(٢) الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم،

١٤١٣هـ) ص ١٨ بتصرف.

الجديدة من حيث الشكل والمضمون، وهذا واضح على سبيل المثال في الهدف الأول فالجانب الدعوي الصرف لم يأخذ حقه بدليل عدم استقطاب المتخصص في مجالات الدعوة.

وتبين أن قراء مجلة الدعوة على مستوى عال من الوعي والثقافة له خصائصه التي تميزه عن غيره من قراء الصحف العامة، وأن أهداف المجلة ووظائفها تؤكد أن مجلة الدعوة مجلة نوعية متخصصة لها أهداف ثابتة تعمل على تحقيقها.

تمثلت أهم نتائج الدراسة في قبول كافة الفروض المتمثلة في الآتي :

- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الدعوية .
- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالبحوث الفقهية .
- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالفتاوى الشرعية .
- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة .

- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي .
- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الأدبية واللغوية .

- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بالقضايا الاجتماعية .
- عملت مجلة الدعوة السعودية على تحقيق هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية .

توصلت الدراسة التقييمية إلى وجود بعض نقاط الضعف التي تحتاج إلى معالجة من قبل القائمين على المجلة.

وتتمثل نقاط الضعف في تدني أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقييمية.

## الجمهور المستهدف

تؤكد كثير من الدراسات الإعلامية الحديثة على أن فاعلية الإقناع ترتبط بمراعاة طبيعة وخصائص الجمهور المستهدف (١) وقبل هذه الدراسات بينت السنة النبوية أهمية مراعاة أحوال المخاطبين، يدرك ذلك من ينظر في مضمون رسائل النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الملوك المجاورين، وكيف خاطب كل أمة بما يتفق مع خصائصها العقدية الفكرية والثقافية (٢).

- 
- (١) انظر: البرامج الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ) ص ١٩ - ٢٠.
- (٢) انظر: إعلام الساتلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق محمود الأرنؤوط، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ) ص ٥٥ - ١٠٨.



## الختام

وتشتمل النتائج والتوصيات:

### النتائج:

لقد استعرضت هذه الدراسة آراء قراء مجلة الدعوة السعودية حول مدى منهجها التي سارت عليه ومدى تحقيقها لأهدافها التي رسمتها لنفسها، والمنهج الإسلامي والتعريف به، والمستند الشرعي له، وأهداف الصحافة الإسلامية ووظائفها، وقضايا الدعوة التي يحتاجها المدعو، ونشأة وأهداف المجلة وتاريخ نشأتها وأهدافها، ثم درس الباحث آراء القراء في المجلة، ثم ناقشت أهم نتائج الدراسة الميدانية، وقدمت نموذجاً أمثل لأهداف مجلة الدعوة من خلال تقويم نتائج دلالات الدراسة الميدانية، وقومت واقعها في ضوء تلك الدراسة، ولقد ظهر للباحث أثناء دراسته عدة نتائج، ومن أهمها وجد الباحث مجلة الدعوة مجلة رصينة في مجالها متوازنة في رؤاها المختلفة، إضافة إلا كونها زاخرة بالمسائل العلمية والنصائح الدعوية والفوائد الدقيقة المتنوعة، ولذا فالحاجة إليها ومثيلاتها قائمة في كل زمان ومكان وخاصة في ميدان الدعوة والاحتساب، حيث يجد فيها الدعوة، بفضل الله تعالى، ذخيرة هائلة تعينه بعد الله في القيام بدوره وواجهه الدعوى مع أصناف شتى من المدعويين، وسيقف الباحث على أبرزها على النحو الآتي:

١. كشفت الدراسة أن هناك أساساً لاختيار المحرر، ومنها أن يكون ذا خبرة إعلامية وشرعية، ومن المهتمين بالقضايا الإسلامية.
  ٢. بينت الدراسة تنوع أهداف مجلة الدعوة السعودية.
  ٣. كشفت الدراسة اهتمام ٦٨% من قراء المجلة ممن تراوحت أعمارهم ما بين ٣٢ إلى أقل من خمسين عاماً.
- ثم يليهم من تجاوز الخمسين عاماً بنسبة ٢٢% وفي الدرجة الأخيرة القراء الذين تقل أعمارهم عن ٣٢ عام بنسبة ١٠%.

٤. وأظهرت الدراسة الميدانية أن جنس القراء (٨٦%) من عينة الدراسة رجال، و(١٤%) نساء، كذلك اقتضت الدراسة الوقوف على جنسية القراء حيث بلغ نسبة العينة من السعوديين(٩٥%) وغير السعوديين(٥%).
٥. أظهرت الدراسة الميدانية أن الفئة العمرية ( من ٣٢ إلى أقل من ٥٠) تشكل النسبة الأكبر إذ تمثل (٦٨%) من إجمالي عينة الدراسة، وتشكل بالإضافة إلى الفئة العمرية: ( من ٥٠ سنة فأكثر) نسبة (٩٠%) من إجمالي عينة الدراسة.
٦. كما أظهرت الدراسة الميدانية علو المستوى التعليمي والثقافي لجمهور مجلة الدعوة السعودية؛ حيث تبين أن معظم الذين تم تجاوبهم مع الاستبانة من عينة الدراسة يحملون شهادة جامعية مختلفة، وذلك على النحو الآتي: نجد أن(٥٧%) من أفراد العينة يحملون درجات الماجستير والدكتوراه، و(٣٥%) من أفراد العينة يحملون درجة البكالوريوس، وبما يعني أن (٩٢%) من أفراد العينة يحملون مؤهلات بكالوريوس فأكثر.
٧. أظهرت نتائج الدراسة أن هدف الاهتمام بموضوعات الدعوة من أكثر الأهداف عناية حيث بلغ المتوسط الحسابي (٣،٧٩).
٨. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن أسلوبها في معالجة موضوعات الدعوة وكذلك عدم مواكبة الخطاب الدعوي لروح العصر لم يكسبها قراء جدد.
٩. أوضحت الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالبحوث الفقهية أخذ حقه في أغلب فروعه حيث بلغ المتوسط الحسابي (٦٣،٣). مع ملاحظة أن أساليب المعالجة كانت محدودة.
١٠. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالفتاوى الشرعية من أهم أهداف المجلة حيث بلغ المتوسط الحسابي(٥٥،٣) ولكن لم تسجل نتائج الدراسة إشادة عالية به.

١١. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بمحاربة المذاهب الهدامة والمخالفة بلغ المتوسط الحسابي (٥١،٣) حيث وجد ضعف محدود جد حسب رأي قرائها.

١٢. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف الإشادة بالتاريخ الإسلامي قد بلغ المتوسط الحسابي (٦٠،٣) وقد رأى جمهور القراء أن المجلة لم تحقق قدراً كبيراً من تلك العناية.

١٣. أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الأدبية والمغوية قد بلغ المتوسط الحسابي (٣٣،٣) وقد اعتبر أغلب القراء أن العناية بهذا الهدف لم يكن كبيراً.

١٤. بينت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بالقضايا الاجتماعية قد بلغ المتوسط (٣،٥٠) فقد وجد قراء المجلة الذين لهم اهتمامات بقضايا المرأة والطفل وذوي الاحتياجات الخاصة أن ما وصلت إليه نتائج ذلك الهدف لم يكن مرضياً.

١٥. كشفت نتائج الدراسة الميدانية أن هدف العناية بإجراء المسابقات العلمية والأدبية بلغ المتوسط الحسابي (٢٦،٣) وقد اعتبره الباحث أمراً منطقياً؛ لكون المجلة ذات توجه إسلامي دعوي.

#### التوصيات:

بناء على مناقشة أهم نتائج الدراسة الميدانية وتقويم دلالاتها وما وجده الباحث خلال رحلته العلمية في أرجاء أهداف مجلة الدعوة السعودية، بدأ للباحث توصيات من أهمها:

١. أهمية عناية المحلات الإسلامية وخاصة مجلة الدعوة السعودية بالتفسيرات والتحليلات لما يحدث في العالم، فلا ينبغي لصوت الإسلام أن يخرج على استحياء بل لا بد من الجهر بالدعوة الإسلامية في الآفاق.

٢. على القائمين على إدارة مجلة الدعوة السعودية العمل على تحسين وتطوير أداء المجلة في بعض مجالات النشاط المتعلقة بكل هدف من أهداف المجلة والتي سبق ذكرها في الدراسة التقييمية، وبما يحقق أهداف المجلة بفعالية.
٣. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد إلى إيجاد لجنة متخصصة من أصحاب العلم والخبرة الإعلامية لتحقيق رغبات القراء لتزويدهم بالأفكار الساعية لتطوير المجلة.
٤. يوصي الباحث المسؤولين عن مجلة الدعوة السعودية باختيار المحررين أصحاب المؤهلات العليا والتخصصات الشرعية والإعلامية.
٥. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد لتعرف على القراء وخاصة من المداومين على قراءتها ومن يسعى للوصول إليها بمقترح من شأنه تطويرها.
٦. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد على الموازنة في طرح الموضوعات وعدم طغيان موضوعات على موضوعات الدعوة وقضاياها.
٧. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد والاعتماد على التفسير والتحليل والتعليق والتوجيه وحلول المشكلات الموجودة.
٨. يوصي الباحث القائمين بالاتصال في مجلة الدعوة السعودية بالسعي الجاد بدراسة تطوير المجلة وأساليب معالجتها.
٩. يوصي الباحث بمواصلة البحث والدراسة القائمة على تحليل مضامين أعدادها، وبخاصة أيام الفتن.
١٠. يوصي الباحث المجلة أن تهتم بمخاطبة جميع فئات المجتمع وتعاملهم بالأسلوب الذي يناسبهم، بل ويتلاءم مع مستوياتهم وتحدد لهم دورهم الاجتماعي، وتحل لهم مشاكلهم الخاصة بها.

## المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. السنة المطهرة.
٣. أجهزة الإعلام والتنمية، ولبرشرام، ترجمة محمد فتحي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠م).
٤. الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان أحمد رشدي، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨م).
٥. أصول الإعلام الحديث وتطبيقاته، إبراهيم محمد سرسيق، بدون ذكر رقم الطبعة، (مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي الأدبي، بدون تاريخ نشر).
٦. إعلام السائلين سيد المرسلين، محمد بن طولون، تحقيق: محمود الأرنؤوط، بدون ذكر رقم الطبعة، (بيروت، الرسالة، ١٤٠٣هـ).
٧. الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، سمير محمد حسين، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٤م).
٨. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٨٤م).
٩. الإعلام ودوره في الوفاء بمحاجات الشباب في مجتمع متغير" دور الإعلام في توجيه الشباب، محمد عز الدين بطروخة، أبحاث الندوة العلمية الخامسة المنعقدة في المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض في عام ١٤٠٨هـ).
١٠. الرامح الإعلامية بين الواقع والأمل، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١١هـ).
١١. التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، ( المنصورة ، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ).

١٢. الترفيه في وسائل الإعلام ودوره في شغل أوقات الفراغ لدى الشباب " دور الإعلام في توجيه الشباب، منير ناصر.
١٣. دراسات في الفن الصحفي، إبراهيم إمام، بدون ذكر رقم الطبعة، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢ م).
١٤. الدعاية والإعلان قحطان بدر العبدلي وسمير عبد الرزاق العبدلي، (بيروت، دار العلوم، ١٤١٣ هـ).
١٥. الصحافة إجلال خليفة، (القاهرة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٧٦ م).
١٦. الصحافة الجامعية "أهميتها، أدوارها، وظائفها، وخصائصها" محاضرات دورة آفاق الصحيفة الثالثة في الفترة ما بين ١٢/١١/١٩٨٨م، محمود كامل الناقه، جامعة الكويت، إصدار خاص بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس آفاق.
١٧. مجلة الدراسات الإعلامية، العدد ٣٨، ١٩٨٧ م.
١٨. مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تعريب مصطفى دن شلي، غي روشيه، (بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٨٣ م).
١٩. معجم المصطلحات الإعلامية، انجليزي/عربي، كرم شلي، (القاهرة، دار الشروق، ١٤٠٩ هـ).
٢٠. وسائل والمجتمع الحديث، وليام ريفرز وآخرون، ترجمة إبراهيم إمام (القاهرة، دار المعرفة، ١٩٧١ م).
٢١. وظيفة الإخبار في سورة الأنعام، سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ط٣، (الرياض، عالم الكتب، ١٤١٠ هـ).
٢٢. الإعلام الإسلامي وخطر التدفق الإعلامي الدولي، مرعي مذكور، ط١، (القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٧ م).
٢٣. الإعلام والاتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، ط١، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥ م).

٢٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق وتعليق، د. عبدالرحمن عميرة، ط١، (بيروت عالم الكتب، ١٤٠٧هـ).
٢٥. التوقيف على مهمات التعريف، الشيخ عبد الرؤوف المناوي، ط١، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٠هـ).
٢٦. خطبة الحاجة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، (دمشق، المكتب الإسلامي، ١٤٠٠هـ).
٢٧. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختصر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح الحنبلي المعروف بابن النجار، تحقيق: د. محمد الزجيلي، د. نزيه حماد، ط٢، (مكة المكرمة جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية، ١٤١٣هـ).
٢٨. الصحافة الإسلامية ودورها في الدعوة، فؤاد توفيق العاني، ط١، (بيروت، الرسالة، ١٤١٤هـ).
٢٩. الصحافة النسائية في مصر من سنة ١٩١٩م إلى ١٩٣٠م، خليفة إجلال، رسالة ماجستير لم تطبع بعد حسب علم الباحث.
٣٠. صحيح البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤١٩هـ).
٣١. صحيح مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، ط٢، (الرياض، دار السلام، ١٤٢١هـ).
٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، ط٢، (القاهرة، السلفية، ١٤٠٠هـ).
٣٣. لسان العرب، العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، ط١، (بيروت، لبنان، دار صادر، ١٤١٠هـ).
٣٤. الصفحات الدينية المتخصصة في الصحف العربية، د. جواد راغب أيوب،

- رسالة دكتوراه لم تطبع بعد حسب علم الباحث.
٣٥. محاضرات في الإعلام ووظائفه، د. عمارة نجيب، بدون ذكر رقم الطبعة، (بدون معلومات النشر).
٣٦. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح بن حمد العساف، ط١، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٠٩ هـ).
٣٧. مدخل إلى علم الصحافة، د. فاروق أبو زيد، ط٢، (القاهرة، عالم الكتب، ١٤١٨ هـ).
٣٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بدون ذكر رقم الطبعة، (الرياض، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع ١٤١٩ هـ).
٣٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ط١، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ).
٤٠. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٢، (تركيا، المكتبة الإسلامية، ١٣٩٢ هـ).
٤١. معلم الصحافة والإنشاء، محمد خير الدرع، بدون ذكر رقم الطبعة، (دمشق، المكتبة الأموية، ١٩٧٣ م).
٤٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، بدون ذكر رقم الطبعة، (دار القلم، ط١، ١٤١٢ هـ).
٤٣. منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية، د. جلال محمد موسى، (بيروت، دار الكتب اللبناني، ١٩٨٢ م).
٤٤. مناهج البحث العلمي، د. عبد الرحمن بدوي، ط٣، (الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٧ م).
٤٥. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة، د. عبدالله بن رشيد الحوشاني، ط١، (الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧ هـ).
٤٦. نهج البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، د. حلمي عبد المنعم صابر،



العدد ١٨٣ (من إصدارات رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٨هـ -).  
٤٧. وظائف التبليغ القرآني، أعلام الإنسان بالشرائع والمنهج لثلا يكون للناس  
على الله حجة بعد الرسل، د. إحسان عسكر ط ١، (مصر، دار الاتحاد  
العربي، ١٤٠٤هـ).



البحث رقم (٧)

## المجاورون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية

إعداد

د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مكة المكرمة حرسها الله كانت ولا زالت مقصداً للعلماء والدعاة وطلبة العلم من شتى أنحاء العمورة، وكان المسجد الحرام من أوائل منارات العلم والمعرفة، ليس لأهل مكة فحسب، بل للمسلمين عامة. وكان الجوار بمكة منذ القرون الأولى<sup>(١)</sup> أمنية كثير من العلماء والدعاة والعباد، فمنهم من تحقق مقصده، ومنهم من لم يتيسر له ذلك.

وإن الناظر في تراجم المجاورين بمكة يجد الشوق الكبير لسكنى مكة، والمجاورة بحرمها الشريف، والفرح حين دخول الحرم المكي. يقول المقرئ صاحب كتاب "نفح الطيب": ((ولمّا وقع بصري على البيت الشريف كدتُ أُغيب عن الوجود))<sup>(٢)</sup>.

وفي وصف أدقّ يقول محمد العبدري: ((وفي يوم التروية دخلنا البلد الأمين مقر المجد الصميم، والشرف المكين، فخرُّ بقاع الأرض كلها على مرّ السنين، فأقسم بالله أعظم يمين قسماً لا يكذب: ما حُرّم سكناه إلا ذو حظّ غيبين))<sup>(٣)</sup>.

(١) جاور بمكة عدد كبير من الصحابة رضي الله عنه وقد رتبهم بحسب الدين الطبري على حروف المعجم، انظر: القرئ لقاصد أم القرى، بحسب الدين الحافظ أبي العباس الطبري، مكتبة الباني، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٠هـ، ص ٦٦٢.

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٨٨هـ، (٣٩/١).

(٣) رحلة الرحلات. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة. د. عبد الهادي النازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٢٦هـ (٨١/١) وغيبين: أي ضعيف، انظر: القاموس المحيط، بحسب الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ١٤٢٦هـ، مادة "غيب" ص ١٢١٩.

وقال محمد الناصري: ((دخلت بفرحة كادت تطير منها القلوب، وانجلي ما كان خيّم عليّ من الأحزان والكروب، كيف ونحن بحرم جعله الله تعالى مكفراً لما سلف من الذنوب.... يجب على كل قادر السعي إليها، والطواف بالبيت الذي فيها، موضع شرع الله تقيله واستلامه، وقبلة كل نساك وإمامه، فسبحان من جعل أفئدة من الناس تهوي إليه))<sup>(١)</sup>.

وبعضهم رأى مجاورته لمكة في المنام، فسارع بتحقيق ذلك في اليقظة كصنيع عثمان ابن حسن الدميّاطي<sup>(٢)</sup>، وبعضهم أكثر من دعاء الله تعالى أن يجاور بمكة فاستجاب الله له مثل محمد بن حمد الزبيري<sup>(٣)</sup>، وهذا أمر يطول ذكر نماذجه نشرّاً وشعراً، وفيها يتضح مدى الشوق والحنين، والحب والتعظيم لبيت الله الحرام، بل لقد لفت انتباهي في بعض تراجم المجاورين في القرن الثالث عشر أن غاية نهمه، وأكبر همه هو الوصول إلى مكة، ومن ثم المجاورة ببيته.

لقد مارس المجاورون نشاطهم الدعوي في عدد من الأماكن في مكة المكرمة وفي خارجها، ففي مكة أقاموا الدروس والحلقات العلمية في شتى الفنون الشرعية، وفي غير الحرم كانت المدارس والأربطة، وفي خارج مكة كان لهم الدور الإيجابي الفاعل في نشر الدعوة الصحيحة في مختلف الأمصار، بل إن هذا الجوار - كما سيأتي - أسهم في نشر الدعوة السلفية التي أعلنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وانتشرت من نجد إلى بلاد العالم الإسلامي. من جانب آخر كان للمجاورين نشاط علمي تمثل في تصنيف عدد من المؤلفات، وفي مختلف الفنون والمعارف.

(١) رحلة الرحلات (٢/٤٥٨).

(٢) انظر: أعلام المكين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ - ص ٨٩.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ - (٥/٥٠٨).

لَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ؛ عَزَمْتُ عَلَى جَمْعِ شَتَاتِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي تَدْوِينِ تِلْكَ الْجُهُودِ الدَّعْوِيَّةِ، زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ مَا يَلَاحِظُ مِنْ قِلَّةِ تَخْصِيصِ الْكُتَابَاتِ عَنِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ عَمُومًا، وَالْمَجَاوِرِينَ خُصُوصًا<sup>(١)</sup>، وَرَغْبَةً مِنِّي فِي مَزِيدِ تَحْدِيدِ فَقْدِ جَعَلْتَهُ عَنِ الْمَجَاوِرِينَ بِمَكَّةَ لَا الْمَدِينَةَ، وَاخْتَرْتُ الْمَجَاوِرِينَ فِي "الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ الْمَهْجَرِي"؛ بِنَاءً عَلَى وَصْفِ الْمُتَرْجِمِينَ الصَّرِيحِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِمَّنْ جَاوَرُوا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقَدْ عُنُونَتْهُ: "الْمَجَاوِرُونَ بِمَكَّةَ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ الْمَهْجَرِي وَجُهُودُهُمُ الدَّعْوِيَّة".

وَقَسَمْتُ الْبَحْثَ إِلَى مَقْدَمَةٍ، وَتَمْهِيدٍ، وَثَلَاثَةِ مَبَاحِثَ وَخَاتَمَةٍ

التَمْهِيدُ: وَفِيهِ التَّعْرِيفُ بِالْمَجَاوِرَةِ، وَمُدَّةُ الْجَوَارِ، وَمَشْرُوعِيَّتُهُ.

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: سَمَاتُ الْمَجَاوِرِينَ بِمَكَّةَ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ. وَفِيهِ مَطْلَبَانُ:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ وَدَعَاةٌ وَطَلَبَةُ عِلْمٍ

المَطْلَبُ الثَّانِي: اِشْتِهَارُهُمْ بِالْعِبَادَةِ، وَحَسَنِ الْخُلُقِ

المَبْحَثُ الثَّانِي: الْجُهُودُ الدَّعْوِيَّةُ لِلْمَجَاوِرِينَ بِمَكَّةَ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ، وَفِيهِ

أَرْبَعَةُ مَطَالِبَ:

المَطْلَبُ الْأَوَّلُ: إِقَامَةُ الدَّرُوسِ الْعِلْمِيَّةِ

المَطْلَبُ الثَّانِي: تَصْنِيفُ الْمَوْئَلَفَاتِ النَّافِعَةِ

المَطْلَبُ الثَّلَاثُ: إِنْشَاءُ الْمَكْتَبَاتِ، وَنَسْخُ مَوْئَلَفَاتِ السَّلْفِ

المَطْلَبُ الرَّابِعُ: نَشْرُ الدَّعْوَةِ الصَّحِيحَةِ بَعْدَ الْمَجَاوِرَةِ

المَبْحَثُ الثَّلَاثُ: الْعَوَامِلُ الْمُسَاعِدَةُ لِلْمَجَاوِرِينَ لِنَشْرِ دَعْوَتِهِمْ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ مَطَالِبَ:

(١) مِمَّا كُتِبَ عَنِ الْمَجَاوِرِينَ: "الْمَجَاوِرُونَ وَدَوْرُهُمُ الْعِلْمِيُّ مِنْ خِلَالِ الْعَقْدِ الثَّمِينِ" د.فوزي سَاعَاتِي، وَهُوَ بَحْثٌ مَقْدَمٌ إِلَى النَّدْوَةِ السَّادِسَةِ لِتَارِيخِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِجَامِعَةِ الْمَلِكِ سَعُودٍ، عَامَ ١٤٢٨هـ. وَأَيْضًا بَحْثٌ بِعُنْوَانِ "الْمَجَاوِرُونَ بِمَكَّةَ وَأَثْرُهُمُ الْعِلْمِيُّ خِلَالِ فِتْرَةِ ٥٧٠ - ٦٦٠ د.عبدالعزیز السندي، وَهُوَ بَحْثٌ مَقْدَمٌ إِلَى نَّدْوَةِ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ عَاصِمَةِ الثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، عَامَ ١٤٢٦هـ .

المطلب الأول: العوامل الدينية

المطلب الثاني: العوامل الاجتماعية

المطلب الثالث: العوامل الاقتصادية

الخاتمة.

وهي كتابة موجزة، وإلماحة سريعة، جازماً بأن موضوع "الجوار" لا يزال غضاً طرياً بحاجة إلى العديد من البحوث والدراسات حتى تصل به إلى مرحلة النضج، والموفق من وفقه الله. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



## التمهيد: وفيه التعريف بالمجاورة، ومدة الجوار، ومشروعيتها.

### التعريف بالمجاورة:

المجاورة لغة: من "الجوار" بالكسر والضم، والكسر أفصح، كما قال الجوهري<sup>(١)</sup>. وقال الزبيدي - رحمه الله -: ((والمجاورة: المساكنة والمقاربة... والجوار هو السذي يجاورك بيتاً ببيت))<sup>(٢)</sup>.

والمجاورة في الاصطلاح هي: النزول بجوار أحد الحرمين الشريفين رغبة في العبادة ونحوها، غير ملتزم بشروط الاعتكاف<sup>(٣)</sup>.

وهذا المصطلح وما قاربه هو الدارج في مصنفات أهل العلم، لاسيما تواريخ البلدان وتراجم الرجال؛ من ذلك: "جاور بالحرم الشريف"، "قدم مكة وجاور بها"، "قدم للحج وجاور"، "نزىل البلد الحرام"، "اختار الجوار بمكة"، "جاور بحرم الله"<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الصحاح، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٤٠٤هـ، مادة "جور" (٦١٧/٢).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية، مادة "جور" (٤٧٨/١٠).

(٣) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، مادة "جور" (١٥٣/٤).

(٤) انظر: تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت (٣/١٦٤) (٤١٦/١٤) تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (٤٤/١)، ٢١٣ سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون (٣/١٩١) (٣٩٦/٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق محمد عبدالمعدي ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ (٣٣/١) شذرات الذهب في

وإذا أُطلق مصطلح "الجوار" فيُراد به غالباً: جوار الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة النبوية، وتنتهي المجاورة بخروجه من هاتين المدينتين أو وفاته. وأدخل بعضهم في هذا المصطلح مساجد أخرى، من ذلك: ما جاء في ترجمة عبدالفتاح مغيزل أنه جاور بيت المقدس<sup>(١)</sup>، وأبو بكر الهروي بجوار المسجد الأقصى<sup>(٢)</sup> وجاء في ترجمة محمد الأسناوي أنه جاور بالجامع الأزهر<sup>(٣)</sup>، وكذلك لاجين الأزهر<sup>(٤)</sup> بل وُصف بعضهم بأنه جاور بالنحف<sup>(٥)</sup>.

مدة الجوار: ليس للجوار مدة محددة يلتزم بها المجاور؛ وإنما ذلك عائد إلى الهدف الذي يسعى صاحبه لتحقيقه فترة المجاورة، إذ منهم من يجاور لفترة قصيرة لا

- 
- أخبار من ذهب، شهاب الدين بن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ — (٣٩٦/٥).
- (١) انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمان، ط ٣، ١٤٠٨هـ (٤٠١/١) وانظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت (٢٧٨/٥).
- (٢) انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (٤٦٣/٢).
- (٣) انظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميسداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ — (٤٠/٢) وانظر: (٣٤/١) و(١٠٦/٢) وانظر كذلك: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر (٢٠٦/٤).
- (٤) انظر: الدرر الكامنة (٤١٦/٤) وقد وقفت على أكثر من عشرين ترجمة لأعلام وُصفوا بأنهم جاؤوا بالجامع الأزهر. انظر مثلاً كتاب: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٦، ٢٠٠٥م (٩٤/١) (٣٩/٤) (١٨٢/٦) (٦٢/٧) (٧٨/٧).
- (٥) انظر: معجم المؤلفين (١٨/٥) (٩٧/٩)، (١٨٠).

تتجاوز السنة<sup>(١)</sup>، ومنهم من جاور ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup>، وسبع سنوات<sup>(٣)</sup>، وعشر سنوات<sup>(٤)</sup>، وعشرين سنة<sup>(٥)</sup>، ومنهم من جاور خمسين سنة<sup>(٦)</sup>، ومنهم من كان يكرر المجاورة فيجاور سنوات، ثم يرجع إلى بلده سنوات، ثم يعود للمجاورة مرة أخرى<sup>(٧)</sup>. ومنهم من يجاور في آخر عمره حتى وفاته وربما ذلك رغبة من بعضهم أن يدفن في مكة أو المدينة<sup>(٨)</sup>، وترتب على هذه المجاورة أن استقر كثير منهم بمكة، وأصبح بالحجاز العديد من العوائل التي ينحدر نسبها إلى أصول مصرية أو شامية أو هندية.

### مشروعية الجوار

وردت العديد من النصوص والآثار في فضل الجوار بمكة المكرمة والمدينة النبوية، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت))<sup>(٩)</sup>، وفي رواية: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك))<sup>(١٠)</sup>.

(١) انظر: شذرات الذهب (١٨٣/٦).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٩٢) (١٨/٥٣٧).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥).

(٤) انظر: تاريخ بغداد (٨/٣٨٧).

(٥) انظر: تذكرة الحفاظ (١٤/١٣٨٢).

(٦) انظر: شذرات الذهب (٦/١٥٤).

(٧) انظر: شذرات الذهب (٦/١٥٤) حلية البشر (١/١٧) معجم المؤلفين (١/٨٦).

(٨) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، مؤسسة الباسي الحلبي، القاهرة، ط ١،

١٤٠٢هـ — (٢/١٠٤٠) الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط ٢،

١٤٢٠هـ —، (٨/١٨٤).

(٩) رواه أحمد (١٤/١٨٤) ورواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل مكة، (٦/٢٠٧).

رقم ٣٩٢٥ وحسنه .

(١٠) رواه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب فضل مكة، (٦/٢٠٧) رقم ٣٩٢٦ وحسنه .

كما ورد جملة من النصوص في فضل مكة، وما فيها من بركة وتكثير للأجر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَتِيسَ الْمَاصِدِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾<sup>(٢)</sup> وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على فضل مكة وكذلك المدينة في أهما لا يدخلهما المسيح الدجال<sup>(٤)</sup>، ولا يقربهما الطاعون<sup>(٥)</sup>، وتحرسهما الملائكة<sup>(٦)</sup>، وأن الصاع مبارك فيهما<sup>(٧)</sup>، ومضاعفة الصلاة بمسجديهما<sup>(٨)</sup>، وجواز شد الرحال إليهما<sup>(٩)</sup>، وهي نصوص دالة على عظم الحرمين الشريفين.

(١) سورة البقرة، آية (١٢٦)

(٢) سورة إبراهيم، آية (٣٥)

(٣) سورة آل عمران، آية (٩٦)

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أبواب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة (٦٦٥/٢) رقم ١٧٨٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة (٢٢٦٥/٤) رقم ٢٩٤٣.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (٢١٦٥/٥) رقم ٥٣٩٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال (١٠٠٤/٢) رقم ١٣٧٩

(٦) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب قصة الجساسة (٢٢٦٥/٤) رقم ٢٩٤٣

(٧) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيع، باب بركة صاع النبي صلى الله عليه وسلم (٧٤٩/٢) رقم ٢٠٢٢

(٨) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٣٩٨/١) رقم ١١٣٣، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجد مكة والمدينة (١٠١٢/٢) رقم ١٣٩٤

(٩) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٣٩٨/١) رقم ١١٣٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب لا تُشد الرحال إلا لثلاثة مساجد (١٠١٤/٢) رقم ١٣٩٧

ورغم هذا فلاهل العلم كلام حول مشروعية الجوار، وما يلحق به من أحكام، من ذلك ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية، يقول-رحمه الله-: ((وأما المجاورة فليست واجبة باتفاق المسلمين، بل العلماء متنازعون هل هي مستحبة أم مكروهة؟ فاستجها طائفة من العلماء من أصحاب مالك<sup>(١)</sup> والشافعي<sup>(٢)</sup>، وكرهها آخرون كأبي حنيفة<sup>(٣)</sup> وغيره، قالوا:..... وأنه لا يأمن من موقعة المحذور؛ فيتضاعف عليه العذاب. ولأنه يضيق على أهل البلد.

قالوا: وكان عمر يقول عَقِبِ المَواصِمِ: يا أهل الشام شامكم، يا أهل اليمن بمنكم، يا أهل العراق عراقكم، ولأن المقيم بها يفوته الحج التام والعمرة التامة؛ فإن العلماء متفقون على أنه إن أنشأ سَفَرَ العمرة من دُويرة أهله كان هذا أفضل أنواع الحج والعمرة.... والمقصود هنا أن من العلماء من كَرِهَ المجاورة بمكة لِمَا ذكر من الأسباب وغيرها، ولكن الجمهور يستحبونها في الجملة إذا وَقَعَت على الوجه المشروع الخالي عن المفسدة المكافئة للمصلحة أو الرَّاجِحَة عليها.

قال الإمام أحمد، وقد سُئِلَ عن الجوار بمكة، فقال: وكيف لنا به، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّكَ لِأَحَبِّ البِقَاعِ إِلَى اللَّهِ، وَإِنَّكَ لِأَحَبِّ إِلَيَّ)). وجابر جاورَ مكة، وابن عمر كان يُقيم بمكة..... فإذا كانت أَحَبَّ البلادِ إِلَى اللَّهِ ورسوله، ولولا ما وَجَبَ عليه من الهجرة لما كان يسكن إلا إِيَّاهَا، عَلِمَ أَنَّ المَقَامَ بِهَا أَفْضَلُ إِذَا لَمْ يُعَارِضْ ذَلِكَ مَصْلِحَةٌ رَاجِحَةٌ))<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: المدخل، محمد بن محمد المسالكي الشهير بابن الحاج، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ- (٢٤٠/٤) وبلغت السالك، أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ- (١٧٥/٢).

(٢) انظر: المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م (٢٠٧/٨).

(٣) انظر: المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ- (١١٤/٣).

(٤) جامع المسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ-

إذن المجاورة مستحبة عند أغلب العلماء، ومن كرهها فلأحد أمور ثلاثة:  
 أولاً: خوفاً من التقصير في حرمتها، واعتياد المكان، والأنس به؛ مما قد يقلل من  
 مهابتها وتعظيمها؛ ولذا أمر عمر رضي الله عنه من حج أو اعتمر بالرجوع لبلده.  
 ثانياً: الخوف من ارتكاب ذنب فيها، لأن المعصية فيها ليست كغيرها.  
 ثالثاً: أنه عند الإقامة فيها قد ينشغل البال بغيرها، وقال بعضهم: "تكون في بلد  
 وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت  
 متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر"<sup>(١)</sup>

(٥/٣٤٤)، ولشيخ الإسلام مصنف مستل من مجموع الفتاوى بعنوان "مسألة: المرابطة بالثغور  
 أفضل من المجاورة بمكة" تحقيق أشرف عبدالمقصود، دار أضواء السلف، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ،  
 وانظر القرى لقاصد أم القرى، وفضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري، تحقيق سامي  
 العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط ١، ١٤٠٠هـ .

(١) انظر: إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، (١/٢٤٣) .

## المبحث الأول

### سمات المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

إن المتتبع لتراجم المجاورين في هذه الحقبة الزمنية سيلحظ تميزهم بسمات أهلتهم لنشر دعوتهم سواء أكان ذلك بمكة أم في بلادهم بعد رجوعهم من فترة الجوار، وسأجعل الحديث عنها عبر مطلبين:

#### المطلب الأول

##### أنهم علماء ودعاة وطلبة علم

ربما يظن المطلع لأول وهلة على صفات المجاورين بأنهم أصحاب عبادة فحسب، وأن جلهم من عامة الناس؛ والحق غير ذلك؛ فإن غالب من وقفت عليهم هم من طلاب العلم الأفاضل الذين كانت تمتلئ حلقاتهم العلمية بالمستفيدين، بل منهم العلماء الذين تولوا الإفتاء في بلادهم، وبلغت شهرتهم الآفاق، ووصلت دعوتهم مختلف البلدان قبل أن يقرروا الجوار بمكة.

مع الإشارة إلى تنوع بلادهم، واختلاف مذاهبهم، منهم: إبراهيم بن سعد المقرئ<sup>(١)</sup>، وأحمد الدمياطي<sup>(٢)</sup>، وعلي بن محمد المداح<sup>(٣)</sup>، ومحمد بن محمد شطا<sup>(٤)</sup>؛ كانوا من مشاهير علماء الشافعية بالجامع الأزهر بمصر، وكان يوسف السنبلوي من أبرز فقهاء الشافعية في مصر في وقته<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة، عبدالله مرداد أبو الخير، تحقيق محمد سعيد العامودي، دار عالم المعرفة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ، ص ٥٣.

(٢) انظر: أعلام المكين ص ٤٣٠.

(٣) انظر: الحركة العلمية بين نجد والجزيرة خلال ثلاثة قرون، سعود بن عبدالعزيز الربيعة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ، ص ٢٠٠.

(٤) انظر: معجم المؤلفين (٧٣/٣).

(٥) انظر: أعلام المكين ص ٥٢٦.

وإبراهيم بن محمد الصنعاني، مالكي، مفسر مشهور، وواعظ معروف<sup>(١)</sup>، ويوسف بن محمد البطاح الأهدل من مشاهير فقهاء الشافعية في اليمن وخاصة في الفرائض كما أن له اهتماماً بالحديث والتاريخ<sup>(٢)</sup>.

وإسحاق بن محمد أفضل الدهلوي الحنفي، فقيه محدث، قرأ على علماء عصره بالهند، ولازم الشيخ عبدالعزيز الدهلوي وأجازه إجازة عامة<sup>(٣)</sup>، ومن المجاورين الهنود ابنه يعقوب، وهو عالم محقق<sup>(٤)</sup>، وحسين بن علي العظيم آبادي الحنفي من علماء الهند المشاهير<sup>(٥)</sup>، وكذلك قطب الدين الدهلوي الحنفي، محدث معروف، نشأ بدهلي، وشرع في طلب العلم على علمائها<sup>(٦)</sup>.

ومن بنغلاديش مشيئة الله بن عصمة الله الذي كان يعمل بالنيابة الشرعية في وظيفة صدر الصدور لمدة عشرين سنة، ثم طلب الإعفاء لأجل المجاورة بمكة<sup>(٧)</sup> وحسن بن إبراهيم بن عامر المغربي المالكي، كان فقيهاً ماهراً، تولى الإفتاء في مكة منذ وصوله لها عام ١٢٦٢هـ للمجاورة<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: البدر الطالع، محاسن القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت (٤٢٢/١).

(٢) انظر: حلية البشر (١/١٦١٠).

(٣) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبدالحفي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط ٢، ١٣٩٨هـ (٧/٩١١).

(٤) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٥١٧.

(٥) انظر: الحياة العلمية في مكة المكرمة، د. أمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط ١، ١٤٣٢هـ (٢/٦٠٠) وهي في الأصل رسالة علمية، استفدت منها كثيراً.

(٦) انظر: أعلام المكين ص ٤٤٢.

(٧) منائح الكرام في أخبار مكة وولاية الحرم، علي بن تاج الدين السنجاري، تحقيق جميل المصري، ط ١، ١٤١٩هـ (١/٤٦).

(٨) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ١٨٠.



ومن مالكية المغاربة أيضاً محمد بن محمد الرباطي التهامي كان مسنداً للرجال، وأديباً لغوياً معروفاً<sup>(١)</sup>.

وعبدالخالق بن إبراهيم الحفظي كان مفتياً لعسير وقاضياً بها قبل أن يقرر الرحيل للمجاورة بمكة<sup>(٢)</sup>.

أما المجاورون من نجد فلا يقلون علماً وفقهاً عن غيرهم، فمحمد بن عبدالله بن حميد، من علماء الحنابلة، مؤرخ مشهور، درس على عدد من مشايخ عنيزة كالشيخ قرناس بن عبدالرحمن، وعلى مفتي نجد في حينه الشيخ عبدالله أبابطين، وعلى محمد السناني وغيرهم<sup>(٣)</sup>، وحين وصل مجاوراً أصبح مفتياً للحنابلة بمكة<sup>(٤)</sup>، على أن جملة من المجاورين النجديين كان غرضهم من الجوار ابتداء هو التواصل مع علماء الحديث لاسيما مع انتشارهم، وشهرة مكة آنذاك بهم، وخصوصاً مع اشتها نشاط حركة الإجازات الحديثية التي يحرص عليها طلاب العلم<sup>(٥)</sup>

وعبدالله بن سليمان بن عبيد الحنبلي، فبعد أن حفظ القرآن في صغره شرع في طلب العلم؛ فقرأ على علماء بلده كالشيخ عبدالعزيز الحصين وعثمان بن شبانة، ثم رحل إلى الدرعية وقرأ على علمائها كالشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وحمد بن معمر وغيرهما، كل ذلك قبل أن يقرر الرحيل لمكة للمجاورة<sup>(٦)</sup>.

ومن مشاهير من جاور من النجديين عبدالله بن محمد بن صقيه الحنبلي الذي درس في عدد من مدن القصيم، فقد قرأ على عالم الرسّ الشيخ قرناس بن

(١) انظر: معجم المؤلفين (٢٠٢/١١) الأعلام (٧٢/٧) .

(٢) انظر: شذا العبير في تراجم علماء عسير، هاشم بن سعيد النعمي، نشر نادي أجا الأدي، ط١، ١٤١٥هـ، ص ٣٣٨، والحياة العلمية بمكة (٥٩٩/٢) .

(٣) انظر: روضة الناظرين (٢١٣/٢) الأعلام (٢٤٣/٦) .

(٤) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٨٩/٦) .

(٥) انظر: الحياة العلمية في مكة (٦٣١/٢) .

(٦) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٦٦/٤) .

عبدالرحمن، كما تلقى العلم على يد قاضي بريدة الشيخ عبدالعزيز بن سويلم، ثم عين قاضياً بها وخطيباً في جامعها الكبير<sup>(١)</sup>.

ومنهم كذلك العالم الفقيه المدقق محمد بن سلطان الحنبلي، الذي نشأ في أسرة علمية، ثم قرأ على علماء مدينة الرياض كالشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ وابنه عبداللطيف، كما قرأ على قاضي الرياض عبدالرحمن بن عدوان<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً عثمان بن محمد بن سند الحنبلي الذي رحل طالباً للعلم إلى الزبير فأخذ من علمائها كالشيخ محمد بن سلوم وإبراهيم بن جديد، ثم رحل إلى بغداد فقرأ على العالم علي السويدي<sup>(٣)</sup>.

وقد كان الحرم المكي مشتهراً بتعدد المذاهب الفقهية، وانتشارها في ساحات المسجد الحرام، وهي ميزة قل أن توجد في مكان آخر.

(١) انظر: روضة الناظرين (١/٣٣٤) السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن حميد، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ — (٢/٦٢٤).

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/٥٤٤).

(٣) انظر: الحركة العلمية بين نجد والزبير ص ٢٥٧.

## المطلب الثاني

### عظم عبادتهم، وحسن أخلاقهم

إن من أبرز أهداف المجاورين في الحرم المكي هو العبادة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وطواف وذكر وغيرها من الأعمال الصالحة، لما في ذلك من مضاعفة الحسنات وبركة المكان.

ومن هنا سعت همة الزُهَّاد والعُباد والصالحين إلى الجوار؛ إذ يرون أن الحرم المكي هو أنسب الأماكن لمزيد من الطاعات والإقبال على الله تعالى، إضافة إلى ما تميزوا به من ورع وصلاح وحسن خلق، وأسوق نماذج مما اتسم به المجاورون في هذا الشأن.

فمنهم بشري بن هاشم الجبيري فقد كان كثير العبادة والطواف بالبيت مع ما اشتهر به من زهد وورع<sup>(١)</sup>، وصالح الحريري الأفندي كان من خيار الناس في صلاحه وانعكافه على العبادة، كما اشتهر بحسن أخلاقه، وجميل طباعه<sup>(٢)</sup>، وظاهر التكروري العباسي كان ذا صلاح وهيبة ووقار، ملازماً للعبادة حريصاً عليها<sup>(٣)</sup>، وعبدالله بن فايز أبا الخليل كان له أثناء مجاورته مدارس في القرآن الكريم مع جماعة من أصحابه غالب ليالي السنة؛ يقرؤون إلى منتصف الليل قرابة عشرة أجزاء، وأحياناً يراجعون ما صعب عليهم فهمه في تفسير البغوي أو البيضاوي<sup>(٤)</sup>، ومحسب

(١) انظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحّي بسن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الإدريسي، المعروف بعبد الحّي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م، (١/٢٣١) أعلام المكين ص ٣٣٤.

(٢) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٢١٣.

(٣) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٤.

(٤) انظر: روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٣هـ (١/٣٣١).

الدين السليماني كان ورعاً ناسكاً متزهداً مشتغلاً بالتدريس والعبادة<sup>(١)</sup>، ومحمد بن خضر البصري كان نجيباً صالحاً متواضعاً مواظباً على الاشتغال بالتدريس والعبادة<sup>(٢)</sup>، ومحمد بن محمود شطا كان عفيفاً، متواضعاً آية في الحفظ والضبط، متوقد الذهن، حادّ الذكاء<sup>(٣)</sup>.

لقد كانت هذه السمات وتلك الصفات من أسباب انتشار دعوتهم، وكثرة الحضور لدروسهم، والاستفادة من نصحتهم وعلمهم والاقتراء بهم؛ على أن من المجاورين في هذه الفترة من وقع في مزالق عقدية خطيرة حتمت النكير عليهم من أهالي مكة ولاسيما من وقع في لوثة التصوف كإبراهيم بن صالح الرشيد السذي اشتدّ النكير عليه إبّان جواره بمكة لما لديه من خرافات صوفية<sup>(٤)</sup> والمطلع على كتابه "عقد الدر النفيس" يتبين له مدى انحرافه<sup>(٥)</sup>، وهو من أبرز مشايخ الطريقة الإدريسية، وأحمد ابن إدريس الفاسي المغربي الذي يظهر في كتابه "السلوك" الكثير من المسالك الصوفية المنحرفة<sup>(٦)</sup>، بل هو صاحب الطريقة الأحمدية المعروفة في المغرب<sup>(٧)</sup>، وكذلك عبدالله بن حسين بن طاهر المالكي لديه تصوف يظهر في بعض مواضعه<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: مختصر نشر النور والزهرة ص ٤٠١ .

(٢) انظر: أعلام المكين ص ٢٩٧ .

(٣) انظر: معجم المؤلفين (٧٣/٣) أعلام المكين ص ٥٦٤ .

(٤) انظر: حلية البشر (٢٠/١) أعلام المكين ص ٤٥١ .

(٥) انظر: الأعلام (٤٣/١) .

(٦) انظر: حلية البشر (١٩٨/١) .

(٧) انظر: الأعلام (٩٥/١) نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعرى في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي، تحقيق محمد المصري، نشر وزارة الثقافة بسوريا، ط ١

١٩٩٦م، ص ١٨٥ .

(٨) انظر: أعلام المكين ص ٨٤ .

## المبحث الثاني

### الجهود الدعوية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر

الناظر في تراجم المجاورين في هذه الفترة الزمنية يلحظ تنوع الجهود الدعوية، وتعددتها خاصة فيما يتعلق بالجانب العلمي؛ إذ إنّ غالب المجاورين - كما مرّ - هم من العلماء وطلبة العلم فكان لهم مشاركة علمية فاعلة في مكة بعامّة، وفي الحرم المكي بخاصّة، وسأحاول استقصاء جوانب الموضوع عبر المطالب التالية:

#### المطلب الأول

##### إقامة الدروس العلمية

إنّ من أسمى غايات المجاورة نشر العلم الشرعي، فليس الغرض الاستفادة العلمية فحسب، وإنما إفادة غيره منه، فيعلّم من يلقاهاهم بمكة، ويدرس العلم الذي تخصص فيه.

وإنّ القادم لمكة المكرمة يجد الفرصة سانحة ومناسبة لنشر ما لديه من علوم شرعية، وتبليغها للناس، ولاسيما مع كثرة الأعداد الوافدة للحرم المكي، وتنوع أجناسهم ومذاهبهم، ولقد تبين من خلال هذا البحث بأنّ جلّ من جاور في هذه الفترة قاموا بالتدريس والإفادة في المسجد الحرام، فكانت هناك مجالس ثابتة، وحلق متعددة، مع تنوع في فنون الدروس، وكثرة في حضورها من أهل مكة والوافدين إليها لحج أو عمرة، فمنهم: إبراهيم بن سعد المقرئ فقد جلس بالمسجد الحرام لتدريس القرآن الكريم، والتجويد، والقراءات حتى كثر طلابه، وعمّ نفعه<sup>(١)</sup>، وكذلك عيسى ابن محمد بن عيسى الزبيرى الذي درّس في الحرم المكي علم الفقه، وانتفع به خلق كثير، مع ملازمته للوعظ والتذكير<sup>(٢)</sup>، وأحمد الدمياطي

(١) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٥٣، أعلام المكين ص ٨٨٩.

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣٤٥/٥) والحركة العلمية بين نجد والزبير ص ٦٨.

المصري كان يُسمّى بحمامة الحرم لكثرة دروسه، إذ كانت خمسة دروس في اليوم والليله<sup>(١)</sup>، ومحب الدين السليماني كان يحضر عنده خلق لأخذ علم الحديث<sup>(٢)</sup>، وكذلك محمد التهامي<sup>(٣)</sup>.

أمّا محمد نور الجبرتي فكان يجول بالبيت الحرام يحث صغار السن على حضور الحلق العلمية مبيناً منافعها وثمارها<sup>(٤)</sup>.

وخصص بعض المجاورين دروسه لنشر الدعوة بين أهل بلده الوافدين لمكة لحج أو عمرة لمعرفته بلغتهم وعاداتهم وطبائعهم؛ منهم علي بن عبدالقادر قُدُس الجاوي؛ فقد جعل حلقاته في الحرم المكي لأهل جاوه<sup>(٥)</sup>، ومثله أحمد بن غفار سميس الذي كان مع تدرسه لأهل جاوه كانوا يقدمون له الكثير من الهدايا التي أحضرها من بلادهم؛ فكان ينفقها في حينها، ولا يمسك منها بشيء<sup>(٦)</sup>، أمّا محمد مراد البنغسالي فقد كان غالب من يحضر دروسه هم من الهنود، وكان يدرس علم الحديث<sup>(٧)</sup>.

لقد كان التدريس في المسجد الحرام هو السائد لدى المجاورين من العلماء وطلبة العلم، بل إن بعض المجاورين جعل له مكاناً خاصاً في الحرم المكي عُرف به مثل طاهر التكروري الذي كان درسه عند باب الزيادة، وكان يحضر عنده خلق كثير<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص ١٥٠ .

(٢) انظر: أعلام المكين ص ٥٢١ .

(٣) انظر: انظر: الأعلام (٧٢/٧) .

(٤) انظر: انظر: أعلام المكين ص ٣٣٦ .

(٥) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٣٦٩ .

(٦) انظر: أعلام المكين ص ٥٢٦، سير وتراجم، عمر عبدالجبار، دار تهامة، الرياض، ط ٣،

١٤٠٣هـ، ص ٧١

(٧) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٤٨٠ .

(٨) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٤ .

كما أسهمت بيوت المجاورين في ازدهار الحركة العلمية، ((حيث فتح كثير من المجاورين بيوتهم لطلبة العلم، فكانت تقام فيها الدروس الخاصة التي كانت ذات الأثر البالغ في نفوس الطلاب بوجه اجتماعي مُميز، إذ الطالب الذي يتلقى عن شيخه في منزله يحدث له ذلك انطباع في نفسه بأبوة هذا الشيخ له وبقربه منه... فأدى ذلك إلى نوع من الترابط الاجتماعي العلمي بين الشيخ وطلبته، ولاسيما إذا كان هؤلاء من جالية غير عربية لم تندمج كلياً في المجتمع المكي))<sup>(١)</sup>، ومنهم مشيئة الله بن عصمة الله البنغالي الذي خصص بيته للتدريس<sup>(٢)</sup>، وكذلك الجنيد الجاوي فقد جعل من بيته مكاناً لتعليم الفقه واللغة العربية وتدريسها للطلاب القادمين من جاوه ولاسيما الذين يتحدثون باللغة الملاوية<sup>(٣)</sup>.

أمّا عبدرب الرسول المصري وهو من مشاهير القراء فقد فتح مكتباً وخصصه لتعليم القرآن والقراءات<sup>(٤)</sup>، وأحمد بن شهاب الداغستاني كان يُدرّس في المدرسة السليمانية بمكة<sup>(٥)</sup>.

(١) الحياة العلمية في مكة (٢/٦٢٣).

(٢) انظر: أعلام المكيين ص ٣٠٨.

(٣) صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د. علي بن عودة الشيوخ، نشر دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ — (٢/٥٩٦).

(٤) انظر: أعلام المكيين ص ٨٩.

(٥) انظر: معجم المؤلفين (٢/١٠١).

## المطلب الثاني

### تصنيف المؤلفات النافعة

رغب كثير من المجاورين التصنيف إبان وجودهم بمكة لأسباب متعددة منها: توفر المراجع العلمية المتنوعة في المكتبات ولدى الورّاقين حتى إنه مما اشتهر أن بعضهم إذا رام الحصول على كتاب فلم يستطع بعد جهد طويل فإنه يلجأ إلى الإعلان عنه في موسم الحج<sup>(١)</sup>، ومن الأسباب كذلك: شرف المكان وبركته، وهو مسلك مطروق عند علماء السلف؛ إذ منهم من صنف بعض كتبه وهو قبالة الكعبة يأتي من أشهرهم الإمام البخاري الذي قال: ((صنفتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام))<sup>(٢)</sup>.

والحق أن من صنف أثناء مجاورته كثير منهم: يوسف بن محمد الأهدل، فقد ألف في مكة كتابه "إفهام الأفهام بشرح بلوغ المرام"، وكذلك "شرح منظومة القواعد"<sup>(٣)</sup>، ويوسف السنبلوي عكف في المسجد الحرام على تأليف كتابه "العروس المحلية" وهي حاشية على متممة الآجرومية، كما أكمل شرح مسند الشافعي للسندي<sup>(٤)</sup>، ومحمد الصنعاني ألف "حاشية على ابن ماجه" وكذلك مصنف

(١) انظر: إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، وفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٦، ص ٨٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٧٩هـ (١/٤٨٩) وانظر للاستزادة: طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوغ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٩٩٣م (١/٢٦٦) والعقد السمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الحسيني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ (٧/٤٤٤).

(٣) انظر: حلية البشر (١/١٦١٠).

(٤) انظر: أعلام المكين ص ٥٢٦.



لطيف بعنوان "التعريف بما في التهذيب من قوي وضعيف"<sup>(١)</sup>، وأحمد المرزوقي صنع "منظومة في الصرف" ورسالة في "الفلك" وشرح لـ "الآجرومية"<sup>(٢)</sup>، ومحمد الكستي ألف في مكة حاشية على شرح العيني<sup>(٣)</sup>، أمّا محمد السنوسي فقد صنف في مكة جلّ مؤلفاته منها "إزاحة الأكنة في العمل بالكتاب والسنة" و"نزهة الجنات في أوصاف مفسر القراءات" و"بغية السؤل في الاجتهاد والعمل بأحاديث الرسول"<sup>(٤)</sup>، وعثمان بن سند النجدي ألف في مكة "الشذرات الفاخرة في نظم الورقات الناضرة" و"الفائض في علم الفرائض" و"النخبة في أصول الحديث" وله نظم في أصول الفقه<sup>(٥)</sup>، كما قام محمد بن حميد وهو في مكة بصنع حاشية فريدة على المنتهى وشرحه لمنصور البهوتي<sup>(٦)</sup>.

كما ألف بعضهم في المناسك مثل حسن بن إبراهيم بن عامر<sup>(٧)</sup>، وعبدالله بن حسين بن طاهر<sup>(٨)</sup>.

وقام بعض المجاورين بالتأليف عن جواره بمكة، ورحلته الحجازية متحدثاً فيه عن تفاصيل سفرته وما لقيه في الطريق، ثم وصوله ومدى فرحه بذلك، منهم محمد الرباطي وعنون كتابه بـ "الرحلة الحجازية"<sup>(٩)</sup>، وأحمد بن عمار الجزائري وعنون

(١) انظر: فهرس الفهارس (٨٣٠/٢) معجم المؤلفين (٣١٩/١).

(٢) انظر: الأعلام (١٢٩/٦) وأعلام المكين ص ٨٦٢.

(٣) انظر: سير وتراجم ص ٢٤٠.

(٤) انظر: معجم المؤلفين (١٤/١١) وفهرس الفهارس (١٠٤٠/٢) والحياة العلمية بمكة (٦٠٨/٢).

(٥) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٤٣/٥) والتحفة النبهاية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النهائي، ط ١، ١٤٠٦، ص ٢١٠.

(٦) انظر: الحياة العلمية في مكة (٧٣٠/٢).

(٧) انظر: أعلام المكين ص ٨٢٦.

(٨) انظر: الأعلام (٨١/٤).

(٩) انظر: فهرس الفهارس (٢٧٩/١) الأعلام (٧٢/٧).

كتابه بـ "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب"<sup>(١)</sup>، وفي هذا الكتاب وجه ابن عمّار عتابه ولومه إلى حكام مكة الذين يفضون الطرف عما يجري في الحرمين من بدع منكرة بمناسبة ذكرى المولد النبوي<sup>(٢)</sup>

كما قام بعض المجاورين بنوع مهم من التأليف وهو "الترجمة" من العربية إلى لغات أخرى؛ فقد عمد محمد بن نور الجبرتي بترجمة عدد من المؤلفات من العربية إلى الملاوية، منها ترجمة كتاب "الهدية السنية في العقيدة السلفية" للشيخ سليمان بن سحمان، كما ترجم كتاب "سلم المتبدئ" وهو في الفقه الشافعي<sup>(٣)</sup>، وكذا صنع مشيئة الله البنغالي الذي ترجم مصنفاً في العقيدة من العربية إلى الفارسية<sup>(٤)</sup>

لقد أسهم هؤلاء المجاورون بشكل كبير وبنصيب وافر من المصنفات العلمية التي كان لها التأثير العلمي على أهل مكة وغيرهم.

(١) انظر: أعلام المكين ص ١٥٠، وقد طُبع قسم من هذه الرحلة، ومخطوطته موجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر، انظر: رحلة الرحلات (١/٣٩٢).

(٢) انظر: رحلة الرحلات (١/٣٩٥).

(٣) انظر: مختصر نشر النور والزهرة ص ٤٧٤، وسير وتراجم ص ٣٠٢.

(٤) انظر: أعلام المكين ص ٣٠٨.

## المطلب الثالث

### إنشاء المكتبات، ونسخ مصنفات السلف

شارك المجاورون في هذه الفترة في دعم آخر للجانب الدعوي والحياة العلمية، إذ قاموا بجمع مصنفات أهل العلم، وتأسيس مكتبات خاصة لهم شاملة لشتى أنواع العلوم المطبوع منها والمخطوط، وكان هذا الصنيع لأجل الاستفادة منها أولاً، ثم لفتح المجال أمام طلاب العلم والمعرفة للستزود منها والاطلاع عليها.

من أبرزهم: عيسى الزبيري، فقد كان لديه بمكة مكتبة ضخمة تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب<sup>(١)</sup>، وكذلك محمد الهدي التميمي ترك في مكة مكتبة كبيرة فيها نفائس المصنفات، ونوادير المخطوطات على بعضها خطه<sup>(٢)</sup>، وصالح الأفيدي كان يملك في مكة مكتبة كبيرة، وكان قد أوقف جميع كتبه، وجعل مقرها "قبة خانة العثمانية" الكائنة بالمسجد الحرام<sup>(٣)</sup>.

ولمّا كانت "الوراقة" أحد أهم الروافد العلمية لنشر الكتاب ولاسيما قبل ظهور الطباعة الحديثة فقد اجتهد بعض المجاورين، وقاموا بنسخ مؤلفات السلف إما بمقابل مادي أو ابتغاء وجه الله تعالى والتقرب إليه بنشر العلم النافع، مؤدين بذلك عملاً فريداً يتمثل في تزويد مكتبات مكة بالمصنفات التي علت شهرتها، وزادت الحاجة إلى الاطلاع عليها، والانتفاع بها، وقد كان لبعض المجاورين مكتبة خاصة لبيع الكتب مثل محمد الكناني الذي كان من أكبر تجار الكتب، ولديه مخطوطات

(١) انظر: الحركة العلمية بين نجد والحجاز ص ٦٨ .

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥٠٨/٥) .

(٣) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٢١٣ .

نفيسة، وكان دكانه بباب السلام وهو مكان تجتمع فيه العديد من الدكاكين لبيع الكتب يعود بعضها لعقود بعيدة<sup>(١)</sup>

وقد انبرى لمهمة الوراقه من عُرف بحسن خطه، ودقة ضبطه، وعدالة دينه، منهم: حسن بن عامر الذي نسخ العديد من المصنفات بخطه، من أبرزها: صحيح البخاري<sup>(٢)</sup>، وكذلك عبدالله بن فايز أبا الخيل الذي اشتهر بخطه الجميل، نسخ بقلمه كتباً عديدة في الأصول والفروع والحديث والتفسير<sup>(٣)</sup>، ومحمد الكتيبي نسخ بخط يده الكثير من المؤلفات لاسيما كتب المكيين مع ضبط تام، وتدوين هوامش مفيدة<sup>(٤)</sup> وصالح الحريري كتب العديد من الرسائل مع شهرته بالضبط التام<sup>(٥)</sup>، كما قام محمد بن حميد بنسخ كتاب "البلبل في أصول الفقه" في المسجد الحرام مشاهدة للبيت الحرام<sup>(٦)</sup>.

لقد كان لنسخ الكتب من قبل المجاورين أثر في وفرتها من جهة ورخص ثمنها من جهة أخرى مما أدى إلى توافرها بين أيدي الناس، بل إن بعضها لازال موجوداً بخط هؤلاء في مكتبة الحرم المكي، واشتهر بأن من كان يريد نشر مؤلفاته، أو الاطلاع والبحث عن كتاب فعليه بالذهاب إلى مكة أو المدينة<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: قصتي مع المكتبات، عبدالعزيز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٢، عوامل الهجرة السكانية، د. مها البيدي، نشر مؤسسة السديري الخيرية، الرياض، ط ١،

١٤٣٣هـ، ص ٧٣

(٢) انظر: أعلام المكيين ص ٨٢٦ .

(٣) انظر: روضة الناظرين (١/٣٣١) .

(٤) انظر: أعلام المكيين ص ٧٩٣، سير وتراجم ص ٢٤٠ .

(٥) انظر: أعلام المكيين ص ٣٧٠ .

(٦) انظر: التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد، عبدالله بن زيد المسلم، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط ١، ١٤٣٧هـ — ص ١٨٩ .

(٧) انظر: الحياة العلمية في مكة (٢/٦٢٤) .

## المطلب الرابع

### نشر الدعوة الصحيحة بعد المجاورة

سعى جملة من المجاورين إلى نشر ما تحصلوا عليه من علم شرعي ودعوة صحيحة، فلما عادوا إلى أوطانهم كان أول ما بدؤوا به أن ينشروا تلك العلوم؛ قياماً بواجب تبليغ الدعوة إلى الله، فمن هؤلاء: نيتو مير نثار علي الحنفي الذي تأثر خلال مجاورته بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، فكان لذلك أثر بعد عودته لبلده "الهند" فقام بالدعوة إلى التوحيد الخالص بين مسلمي منطقته، ونبذ الشرك، والتحذير من البدع والخرافات والمحدثات. وقد أثمرت دعوته بين أبناء مجتمعه وجرى ثمار ذلك والحمد لله<sup>(١)</sup>، وكذلك شرعة الله البنغالي تأثر أثناء جواره بمكة بدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب والتي انتشرت حينها بمكة، فلمّا عاد إلى بلاده أخذ يطبق ما درسه داعياً للتوحيد، ومحذراً مما ينقضه، فعاد كثير من الناس إلى جادة الصواب، وكان هدف الشيخ شرعة الله هو تخليص المسلمين مما حل بهم، ودخل عليهم من العقائد الوثنية والهندوسية، والسعي لتوسيع رقعة الإسلام، واستمر على ذلك حتى وفاته رحمه الله<sup>(٢)</sup>. ومنهم أحمد بن عرفان الهندي السذي أعجب بالدعوة السلفية من خلال آثارها بمكة المكرمة، فعندما عاد بعد جواره إلى إقليم "بنجاب"، حارب البدع والخرافات، وتقديس الأولياء والصالحين، وكثيراً من البدع التي ضربت أطنابها في قلوب المسلمين، ثم سرعان ما ذاع صيته واعتنق مبادئه السلفية آلاف من المسلمين، ثم أسس دولة مستقلة في بنجاب وما حولها حتى وصل نفوذها إلى منطقتي السند وبلوخستان وجزء من أفغانستان<sup>(٣)</sup>، ويذكر

(١) انظر: أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية، سمير عبد الحميد، ندوة الحج ص ٤١٩ .

(٢) انظر: الحياة العلمية بمكة (٦٠٧/٢) .

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٦٣/١) .

بعض المعاصرين أن القرن الثالث عشر هو وقت دخول الدعوة السلفية إلى جزيرة "سومطرة" في إندونيسيا حين عاد عدد من الدعاة من مكة<sup>(١)</sup>. كما أن محمد السنوسي حين مجاورته التقى ببعض علماء الدعوة السلفية بمكة، وتأثر بأرائهم، وبني عليها أصول دعوته حين عاد إلى ليبيا من الحث على التوحيد الخالص، ونبذ الشرك وأنواع البدع والخرافات كالتوسل بالصالحين، وحرص على نبذ التقليد والحث على الاجتهاد، ومع ذلك فقد شاب دعوته شيء من التصوف والتشدد<sup>(٢)</sup>.

وعبدالله المالكي الذي عكف أثناء جواره على تلقي العلوم الشرعية من علماء مكة فلما عاد إلى بلاده "حضر موت" قام بنشر العلم وإقامة مجالس الوعظ<sup>(٣)</sup>. كما إن موسم الحج كان فرصة ينتهزها المجاورون للدعوة إلى الله بين الحاج القادمين من مشارق الأرض ومغاربها، يبينون أفكارهم، ويشرحون مبادئهم بأسلوب دعوي رفيع، فاقتنع بذلك أشخاص لهم مكاتهم في ديارهم، فلما رجعوا نشروا تلك المبادئ والعقائد الصحيحة. لقد كان تأثير الدعوة السلفية، وتحديدًا الدعوة الإصلاحية واضحاً وظاهراً على مجاوري البلد الحرام.

(١) انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د. محمد بن عبدالله السلمان،

ص ٨٠

(٢) انظر: مختصر نشر النور والزهرة ص ٤٤٣، معجم المؤلفين (١١/١٤).

(٣) انظر: معجم المؤلفين (٦/٤٦) (الأعلام) (٤/٨١).

## المبحث الثالث

### العوامل المساعدة للمجاورين لنشر دعوتهم

ثمة أمور متعددة كان لها الدور الفاعل، والعامل المؤثر لإعانة المجاورين لاتخاذ قرار المجاورة، ومن ثم العزم على نشر الدعوة، وسأكتفي بذكر أبرز هذه العوامل، وهي مبثوثة في المطالب التالية:

#### المطلب الأول: العوامل الدينية

وأعني بذلك فريضة الحج تحديداً، لقد كان أداء شعيرة الحج قدماً يحيط به الكثير من التعب والنصب والخوف، ويقضي الحاج لأجل وصوله لمكة الشهور المتعددة؛ فإذا وصل الحاج لمقصوده فإنه بذلك يكون قد أنجز أمراً عظيماً ربما لا يكرره مرة أخرى.

قال ابن الصباح: ((والله لقد دخلتُ مكة شرفها الله، فالحمد لله كثيراً كما هو أهله، والحمد لله الذي سلمنا من تلك المفاوز والقفار المهلكة، والجبال الموحشة. وكم من حاج ينتظره أهله وهو قد مات عطشاً، وكم من سلطان يتمنى النظر للكعبة الشريفة ولم يرها، وكم من أمير ووزير يريد المشي إليها ولا يُحمل، وكم من مذنب يريد أن يظهر ذنوبه بالوقوف بعرفة ولا يُعطى، وكم من واصل نصف الطريق ولم يبلغ... الحج))<sup>(١)</sup>، ولذا آثر العديد من الحجاج استثمار ذلك بالمجاورة بالبلد الحرام، ومن أبرز هؤلاء: حسين بن علي العظيم آبادي الذي سافر إلى مكة سنة ١٢٧٦هـ — لأداء فريضة الحج فقرر المجاورة<sup>(٢)</sup>.

(١) رحلة الرحلات (١٦٧/١) بتصرف يسير .

(٢) انظر: الحياة العلمية بمكة (٢/٦٠٠) .

ومن حج وجاور أيضاً أحمد النحراوي<sup>(١)</sup>، وصنع الله الهندي<sup>(٢)</sup>، وعبدالله بن طاهر<sup>(٣)</sup>، وعثمان بن سند<sup>(٤)</sup> وعيسى الزبيري<sup>(٥)</sup>، وفراج الزبيري<sup>(٦)</sup>، ومحب الدين السليمانى<sup>(٧)</sup>، ومحمد بن سلطان النجدي<sup>(٨)</sup> وغيرهم كثير.

(١) انظر: أعلام المكيين ص ٩٦٤ .

(٢) مختصر نشر النور والزهر ص ٢٢٤ .

(٣) انظر: الأعلام (٨١/٤) .

(٤) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٤٣/٥) .

(٥) انظر: الحركة العلمية بين نجد والزبير ص ٦٨ .

(٦) انظر: السحب الوابرة (٨١٣/٢) .

(٧) انظر: أعلام المكيين ص ٥٢١ .

(٨) انظر: روضة الناظرين (٥٤٤/٥) .



## المطلب الثاني

### العوامل الاجتماعية

كان للجانب الاجتماعي الدور الكبير عند بعض نزلاء الحرم المكي للمضي قُدماً في قرار الجوار، والثبات عليه، وأعني بذلك الزواج من امرأة مكية فإن لهذا الأمر أثراً في بقاء المجاور بمكة، وإتمام مجاورته، ومن هؤلاء: إبراهيم بن سعد المقرئ الذي قرر الجوار بمكة بعد أن تزوج بإحدى نساها<sup>(١)</sup>، وكذلك محمد مراد الدمياطي الذي قرر الجوار بعد أن تزوج من امرأة مكية، ورُزق منها بذرية<sup>(٢)</sup>.

كما أن ثمة أمراً اجتماعياً كان له دور في تمتع الجوار وهو موافقة أسرة المجاور البقاء في مكة، وعدم الرجوع إلى بلدهم، ومن هؤلاء محمد حسين الكتيبي الذي قدم من مصر إلى مكة بصحبة عائلته فقرروا جميعاً الجوار بمكة<sup>(٣)</sup>.

كما أن للمكانة الاجتماعية المرموقة لبعض المجاورين عند العامة والخاصة دوراً في تشجيع واستمرار أمر المجاورة، فمحمد الشعاب أصبح من أعيان مكة المشاهير<sup>(٤)</sup>، ومحمد مراد البنغالي صار مبعجلاً عند عامة الناس وخاصتهم<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: أعلام المكين ص ٨٨٩، نظم الدرر ص ٤١، دروس من ماضي التعليم وحاضره، عمر عبد الجبار ص ١٥٨.

(٢) انظر: الحياة العلمية بمكة (٦٠٣/٢).

(٣) انظر: سير وتراجم ص ٢٤٠.

(٤) انظر: أعلام المكين ص ٥٦٥.

(٥) انظر: أعلام المكين ص ٨٤٩.

## المطلب الثالث

### العوامل الاقتصادية

أسهم أهل مكة من أمراء وعلماء في تهيئة البيئة المناسبة للمجاورين، وتزليل العوائق، وإيجاد المناخ المناسب للاستفادة والإفادة، وتعهدوا لهم بالعناية والرعاية، وخصوصاً من الناحية الاقتصادية، إذ به يطمئن المجاور على معيشته ولاسيما من رافقه أهله إلى مكة.

فقد أسند إلى عدد من المجاورين جملة من الوظائف الدينية الملائمة لهم كالإفتاء والخطابة والإمامة والتدريس ونحو ذلك. فقد تولى محمد الكتيبي وظيفة الإفتاء بالمسجد الحرام<sup>(١)</sup>، ومحمد الفتياي عُيِّن مفتياً وإماماً وخطيباً في المقام الحنفية<sup>(٢)</sup>، كما تولى حسن بن عامر إفتاء المالكية بمكة<sup>(٣)</sup>، وبعده كان محمد المرزوقي<sup>(٤)</sup>، وأحمد الدمياطي عُيِّن مفتياً للشافعية في عصره<sup>(٥)</sup> من ناحية أخرى فقد توظف عدد من المجاورين في مدارس مكة مثل أحمد الداغستاني عيّن مدرساً بالمدرسة السليمانية بمكة<sup>(٦)</sup>، ومحمد حسين الكتيبي توظف بمدرسة الصولتية<sup>(٧)</sup> التي أنشأها رحمة الله الهندي لتعليم الطلبة التجويد والقراءات<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: أعلام المكين ص ٧٩٢ .

(٢) انظر: الأعلام (٢٩٧/٦).

(٣) انظر: أعلام المكين ص ٨٢٦ .

(٤) انظر: معجم المؤلفين (٣/١٠) الأعلام (١٢٩/٦) .

(٥) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٨٨ .

(٦) انظر: أعلام المكين ص ٤١٩، الأعلام (٢٤٧/١) .

(٧) أسسها رحمة الله الهندي على نفقته عام ١٢٨٥هـ، ثم انتقلت إلى دار أحد الأمراء الهنود، وفي

عام ١٢٩٠هـ تبرعت امرأة هندية اسمها صولت النساء بمال لإقامة بناية للمدرسة، فسميت

المدرسة الصولتية نسبة إلى هذه المرأة المحسنة. انظر: الحياة العلمية في مكة (٣٩٣/٢) .

(٨) انظر: أعلام المكين ص ٨٨٩ .

كما أسهم تجار مكة وغيرهم بالأمر ذاته بإقامة الأربطة، والأماكن المناسبة لسكنى المجاورين مع ما يتبعها من مصروفات وإعاشة ونحوها؛ فعبده الله بن سراج الحنفي سكن إبان مجاورته بإسكان المدرسة الداودية<sup>(١)</sup>، ومحمد بن حميد كان يسكن في أحد أربطة الحرم المكي<sup>(٢)</sup> وقامت امرأة من الهند بشراء دار وجعلتها لأحد المجاورين<sup>(٣)</sup> كما سكن محمد بن سلطان الحنبلي بأحد أربطة الحرم المكي<sup>(٤)</sup>. وسعى بعض المجاورين إلى اجتهادات شخصية لتعينه على أمور معيشته؛ فكان عبده الله أبا الخليل يتعيش من نسخ الكتب<sup>(٥)</sup>، وعمل محمد بن أحمد جاد الله المصري بالطواف أحياناً<sup>(٦)</sup>، ومحمد الهديسي عمل بالتجارة أول مجاورته<sup>(٧)</sup>.

لقد كان لهذه الأعمال التجارية، إضافة إلى ما تقدم من وظائف دينية وتعليمية في المسجد الحرام بل في مكة الأثر في إعانة المجاورين على صعوبة الحياة وتكاليفها، وكان لها الأثر في تشجيع غيرهم للقدوم للمجاورة والعيش في رحاب مكة.

(١) انظر: فهرس الفهارس (٧٥٢/٢).

(٢) انظر: روضة الناظرين (٢١٣/٢) وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (١٨٩/٦).

(٣) انظر: نزعة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر ص ٨٢.

(٤) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥٤٤/٥).

(٥) انظر: الوراقة في منطقة نجد، د. الوليد الفريان، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤٣٣هـ — ص ٩١.

(٦) انظر: مختصر نشر النور والزهر ص ٤١٥.

(٧) انظر: الحركة العلمية بين نجد والزيبر ص ٢٤٦.

## الخاتمة

أحمد الله تعالى أن يسر إتمام هذا البحث، والحق أني استفدت كثيراً من قراءتي لسير هؤلاء المجاورين إذ عشت معهم أياماً طويلة رحمهم الله تعالى، وهو محاولة للوقوف على الجهود الدعوية والعلمية للمجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري، وأضع أبرز النتائج على النحو التالي:

- ١- كثرة الممارسات الدعوية، وتنوعها، مما يدل على أن المجاورين قد شكلوا مظهراً دعويًا فريداً، وأسهموا في حراك علمي ودعوي.
  - ٢- أن المجاورين قد عمّ نفعهم وخيرهم على أوطانهم بعد عودتهم، إضافة إلى المكانة الرفيعة في بلدانهم.
  - ٣- تنوع المجاورين في فترة الدراسة من الناحية المكانية والمذهبية؛ إذ لم تكن المجاورة بمكة قاصرة على بلد أو مذهب معين.
  - ٤- الأثر الواضح لدعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، في نشر بعض المجاورين لعقيدة السلف.
  - ٥- عناية المجاورين بالتصنيف، وتلقي وإلقاء العلوم الشرعية إبان وجودهم بالحرَم المكي.
  - ٦- أن غالب المجاورين في هذه الفترة من العلماء وطلبة العلم، وهم أيضاً من العباد والزهاد.
  - ٧- أن العوامل الدينية والاجتماعية والاقتصادية كان لها أثر في زيادة أعداد المجاورين في مكة في القرن الثالث عشر الهجري.
- والحمد لله رب العالمين.

قائمة بأسماء المجاورين بمكة في القرن الثالث عشر الهجري مرتبين  
هجائياً، ومذاهبهم، وبلدانهم، وسنة الوفاة.

سنة الوفاة	المذهب	البلد	الاسم
١٢٩٠	شافعي	مصر	١- إبراهيم بن سعد المقرئ
١٢٩١	شافعي	السودان	٢- إبراهيم بن صالح الرشيد
١٢٩٠	مالكي	اليمن	٣- إبراهيم بن محمد الصنعاني
١٢٥٣	مالكي	المغرب	٤- أحمد بن إدريس الحسني
١٢٩١	شافعي	مصر	٥- أحمد بن عبدالرحمن النحراوي
١٢٨٩	شافعي	اليمن	٦- أحمد بن عبدالغفار سميس
١٢٠٥	مالكي	الجزائر	٧- أحمد بن عمار بن عبدالرحمن بن عمار
١٢٧٠	شافعي	مصر	٨- أحمد بن محمد الدمياطي
١٢٩٥	شافعي	داغستان	٩- أحمد بن محمد شهاب الدين
١٢٦٢	حنفي	الهند	١٠- إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي
١٢٦٧	شافعي	اليمن	١١- بشري بن هاشم الجبرتي
١٢٧٠	حنفي	جاوه	١٢- الجنيد الجاوي
١٢٦٧	حنفي	جاوه	١٣- جان السلیماني
١٢٩٢	مالكي	المغرب	١٤- حسن بن إبراهيم بن عامر
١٢٩٤	حنفي	الهند	١٥- حسين بن علي العظيم آبادي
١٢٥٦	حنفي	بنغلاديش	١٦- شرعة الله البنغالي
١٢٣٧	حنفي	الهند	١٧- صنع الله الهندي
١٢٩٢	شافعي	مصر	١٨- صالح الحريري الأفندي
١٢٧٠	شافعي	جاوه	١٩- صالح بن راوه

اسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٢٠- طاهر التكروري العباسي	اليمن	مالكي	١٢٧٠
٢١- عبدالله بن محمد بن صقيه	نجد	حنبلي	١٢٥٦
٢٢- عبدالله بن حسين بن طاهر	حضر موت	مالكي	١٢٧٢
٢٣- عبدالله بن محمد كوجك	بخارى	حنفي	١٢٩٧
٢٤- عبدالله بن فايز أبا الخيل	نجد	حنبلي	١٢٥١
٢٥- عبدالله بن سليمان بن عبيد	نجد	حنبلي	١٢٤١
٢٦- عبدالله بن سراج الرومي		حنفي	١٢٤٠
٢٧- عبد الخالق بن إبراهيم الحفطي	عسير	شافعي	١٢٨٣
٢٨- عبدالغني الجاوي	جاوه	حنفي	١٢٨٠
٢٩- عبدالرحمن بن محتشم المولوي	اليمن	مالكي	١٢٩٤
٣٠- عبد رب الرسول المصري	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣١- عثمان بن حسن الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٦٥
٣٢- عثمان بن محمد بن سند	نجد	حنبلي	١٢٤٢
٣٣- عيسى بن محمد الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٨
٣٤- علي بن أحمد البهكلي	عسير	شافعي	١٢٦١
٣٥- علي بن عبدالقادر قدس	جاوه	شافعي	١٢٧٢
٣٦- علي بن أحمد الرهيبني	مصر	شافعي	١٢٩٣
٣٧- علي بن حمد المداح	مصر	شافعي	١٢٧٧
٣٨- فراج بن سابق الزبيري	الزبير	حنبلي	١٢٤٦
٣٩- قطب الدين الدهلوي	الهند	حنفي	١٢٨٩
٤٠- مشيئة الله بن عصمة لله	بنغلاديش	حنفي	١٢٩٩

الاسم	البلد	المذهب	سنة الوفاة
٤١- محمد الدين السليماني	الهند	حنفي	١٢١١
٤٢- محمد بن أحمد جاد الحق	مصر	حنفي	١٢٨٩
٤٣- محمد بن محمد الرباطي التهامي	المغرب	مالكي	١٢٤٤
٤٤- محمد مراد الدمياطي	مصر	شافعي	١٢٩٦
٤٥- محمد بن علي السنوسي	الجزائر	مالكي	١٢٧٦
٤٦- محمد بن سلطان النجدي	نجد	حنبلي	١٢٩٨
٤٧- محمد بن عبدالله بن حميد	نجد	حنبلي	١٢٩٥
٤٨- محمد بن سعد الفاسي	المغرب	مالكي	١٢٨٨
٤٩- محمد بن حسين الكتيبي	مصر	حنفي	١٢٨١
٥٠- محمد نور الفطاني	جاوه	حنفي	١٢٧٣
٥١- محمد وقيل أحمد بن رمضان المرزوقي	مصر	مالكي	١٢٦١
٥٢- محمد نور الجبرتي	اليمن	مالكي	١٢٩١
٥٣- محمد بن خضر البصري	العراق	شافعي	١٢٦٠
٥٤- محمد بن محمود شطا	مصر	شافعي	١٢٦٦
٥٥- محمد بن صالح الشعاب	المدينة	حنفي	١٢٤٠
٥٦- محمد بن علي العمراني	اليمن	مالكي	١٢٦٤
٥٧- محمد بن حسين الفتياي	القدس	حنفي	١٢٨٠
٥٨- محمد بن صالح الكتيبي	مصر	حنفي	١٢٩٥
٥٩- محمد مراد البنغالي	بنغلاديش	حنفي	١٢٨٠
٦٠- محمد بن حمد الهدبي	نجد	حنبلي	١٢٦١
٦١- نيتو مير نثار	الهند	حنفي	١٢٩٣

سنة الوفاة	المذهب	البلد	الاسم
١٢٨٣	حنفي	الهند	٦٢- يعقوب بن محمد أفضل الدهلوي
١٢٨٥	شافعي	مصر	٦٣- يوسف بن عبدالرحمن السنبلوي
١٢٤٦	شافعي	اليمن	٦٤- يوسف محمد البطاح الأهدل

### مذاهب المجاورين

العدد	المذهب
٢٣	الحنفي
١٣	المالكي
١٩	الشافعي
٩	الحنبلي
المجموع ٦٤	



## أصناف المجاورين حسب البلد

العدد	البلد
١٤	مصر
١٠	الهند
٩	اليمن
٧	نجد
٦	جاوه
٣	بنغلاديش
٣	المغرب
٢	الجزائر
٢	الزبير
١	العراق
١	السودان
١	داغستان
١	المدينة
١	القدس
١	بخارى
١	عسير
المجموع ٦٣	

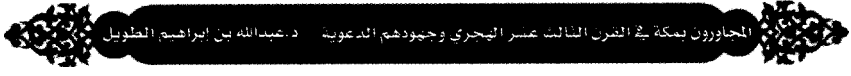
## المراجع

- ١- إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكة في القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، ووفاء المزروع، ضمن بحوث ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٦هـ.
- ٢- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ٢٠٠٥م.
- ٣- أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، عبدالله بن عبدالرحمن المعلمي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٤- البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، محمد بن علي الششوكاني، دار المعرفة، بيروت.
- ٥- بغية الطلب في تاريخ حلب، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.
- ٦- وبلغت السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- ٧- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية.
- ٨- تاريخ بغداد أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٩- التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، محمد خليفة النبهاني، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٠- تذكرة الحفاظ شمس الدين محمد الذهبي أبو عبدالله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
- ١١- التطبيقات الدعوية في الرحلات العلمية لعلماء نجد، عبدالله بن زيد المسلم، إصدار الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، الرياض، ط١، ١٤٣٧هـ.
- ١٢- جامع المسائل، أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني، تحقيق محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

- ١٣ - الحركة العلمية بين نجد والزيبر خلال ثلاثة قرون، سعود بن عبدالعزيز الربيعه،الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ١٤ - حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق بن حسن بن ابراهيم البيطار الميداني الدمشقي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
- ١٥ - الحياة العلمية في مكة المكرمة، د.آمال رمضان عبدالحميد، نشر مركز تاريخ مكة المكرمة، مكة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- ١٦ - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي، د.محمد بن عبدالله السلطان.
- ١٧ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق محمد عبدالمعيد ضان، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٢هـ.
- ١٨ - رحلة الرحلات. مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، د.عبدالهادي النازي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٩ - روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ٢٠ - علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
- ٢١ - السحب الوابلة على ضرائح الخنابلة، محمد بن حميد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٢٢ - سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل بن علي بن مراد الحسيني، دار البشائر الإسلامية، عمان، ط٣، ١٤٠٨هـ.
- ٢٣ - سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي أبو عبد الله، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ.
- ٢٤ - سير وتراجم، عمر عبدالجبار، دار تهامة، الرياض، ط٣، ١٤٠٣هـ.

- ٢٥- شذا العبير في تراجم علماء عسير، هاشم بن سعيد النعمي، نشر نادي أهما الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٣٨، والحياة العلمية بمكة.
- ٢٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين ابن العماد الحنبلي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٢٧- الصحاح، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.
- ٢٨- صفحات من تاريخ مكة، للمستشرق كرستيان ستوك، ترجمة د.علي بن عودة الشيوخ، نشر دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٢٩- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٤٠٢هـ.
- ٣٠- طبقات العلماء والملوك، محمد بن يوسف، تحقيق محمد الأكوغ، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٣م.
- ٣١- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، محمد بن أحمد الحسيني الفاسي، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- ٣٢- عوامل الهجرة السكانية، د.مها بنت سعيد اليزيدي، نشر مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.
- ٣٣- فضائل مكة والسكنى بها، للحسن البصري، تحقيق سامي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ٣٤- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، محمد عبد الحّي بن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الإدريسي، المعروف بعبد الحّي الكتاني، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.
- ٣٥- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.
- ٣٦- القرى لقاصد أم القرى، محب الدين الحافظ أبي العباس الطبري، مكتبة الباسي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٠هـ.

- ٣٧- قصتي مع المكتبات عبدالعزيز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ —
- ٣٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ —
- ٣٩- المبسوط، محمد بن أحمد السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٤هـ —
- ٤٠- المجموع شرح المهذب، شرف الدين النووي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م —
- ٤١- مختصر نشر النور والزهر في تراجم فضائل مكة، عبدالله مرداد أبو الخير، تحقيق محمد سعيد العامودي، دار عالم المعرفة، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ —
- ٤٢- المدخل، محمد بن محمد المالكي الشهير بابن الحاج، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ —
- ٤٣- مسألة المرابطة بالثغور أفضل من المجاورة بمكة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالسلام الحراني، تحقيق أشرف عبدالمقصود، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ —
- ٤٤- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راعب بن كحالة الدمشقي، مكتبة المتنبي، بيروت
- ٤٥- نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبدالحفي الحسني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، ط٢، ١٣٩٨هـ —
- ٤٦- نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعيبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، أحمد الحضراوي المكي الهاشمي، تحقيق محمد المصري، ناستر وزارة الثقافة بسوريا، ط١، ١٩٩٦م —
- ٤٧- نفع الطيب وغصن الأندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ —
- ٤٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر
- ٤٩- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ —



٥٠ - الوراقة في منطقة نجد، د. الوليد الفريان، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١،

١٤٣٣هـ

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	قواعد النشر
٩	مقدمة العدد
١١	١ / دعوة النخب الغربية بالإعجاز التشريعي في القرآن الكريم "دراسة تحليلية"
٦٣	٢ / بناء شخصية الداعية الاجتماعية على ضوء الأحاديث النبوية السائرة مسار المثل
١١٩	٣ / الدلالات الدعوية في وصية ابن الجوزي لولده المشهورة بـ "لفتة الكبد إلى نصيحة الولد"
٢٠٣	٤ / منهج الدعوة الإسلامية في تحقيق الأمن الاقتصادي
٢٥٧	٥ / استراتيجيات الخطاب والتواصل مع المدعويين "الاستراتيجية التضامنية أمودجا"
٣٢١	٦ / المنهج الدعوي لمجلة الدعوة السعودية في تحقيق أهدافها
٤٠٩	٧ / المجاررون بمكة في القرن الثالث عشر الهجري وجهودهم الدعوية
٤٥٣	فهرس الموضوعات









<https://dawa.center>



الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

## الرؤية :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

## الرسالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

## الأهداف :

- تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-
- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.